

عبده مباشر

يوميات اكتوبر في سيناء والجولان

يوميّات أكتوبر
في سيناء والجولان

عبده مباشر

يوميّات أكتوبر
في سيناء والجولان



دار المعارف بمصر

الناشر : دار المعارف بمصر - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

إهـــداء

إنى لأشعر بأعمق الحب لأبى وأمى ، فبفضل من الله وجهودهما بدأت رحلة حياة ، وبرضاء من الله ورضائهما أواصل المشوار .

وفى عالمى هما من أوائل الشهداء . ولم يرحلا من عالمنا إلا بعد أن غرسا فينا – أنا وإخوتى – كل القيم النبيلة ، كما رعيا طموحنا ، ولم يبخلا بشىء لإعدادنا لمواجهة الحياة . . والمستقبل . .

بذلا الحياة من أجلنا . .

فلهما . . أبى وأمى . .

تحية وذكرى . . وإهداء .

عبده مباشر

مقـــدّمة

للمقاتلين من أبناء مصر دور كبير ، بل يمكن القول إنه دور من أكبر الأدوار على امتداد تاريخها . .

ومن بين صفحات التاريخ العسكرى المصرى تولد عندى هذا الاقتناع . . وكلما قرأت أكثر كنت أزداد اقتناعاً بهذا الدور وبهؤلاء المقاتلين وعظمتهم وقدرتهم الفذة على البذل من أجل مصر . .

وأتى أكتوبر . . وانتصب التاريخ بكل عظمته ليسجل من جديد للمقاتلين من أبناء وادى النيل تضحياتهم . . إيمانهم بالله . . وبمصر . . ولأسباب كثيرة كنت واحداً من المدنيين القلائل الذين أتيحت لهم الفرصة ليكونوا شهوداً على هذه الحرب . .

واتخذت قرارى بألا اكتم الشهادة . . ولكن كيف أبدأ . . وماذا اكتب ؟ وخرجت من تساؤلاتى بهذا الكتاب . . نعم فيه الكثير من التركيز على الجانب المضىء من الحرب والقليل من السلبيات . .

ولكنى أعترف أيضاً أننى كنت مبهوراً بأداء المقاتل المصرى فى الميدان . .ومقتنعاً بأن انتصارنا نتيجة فذة لو أدركنا البعد التاريخى للعسكرية المصرية . . فلم أشأ أن يكون كتابى نقدا . .

شئ آخر . . لقد قضيت شهوراً طويلة أبحث عن معلومة هنا ومعلومة هناك ، أستكمل بها السجل الذى دونته أثناء العمليات . . نعم كنت أتوقع معاونة من البعض . . ولم أحصل عليها . . فقط سمعت اتهامات توجه للكتاب والصحفيين . . ونسوا أن الكتاب والصحفيين ليسوا بمنجمين أو سحرة يسطرون صفحاتهم من قراءة الغيب أو الطالع ، أنهم بشر . . وعندما يكتبون فإنهم بحاجة إلى وقائع ومراجع . .

وأخيراً أوجه شكرى للأستاذ محمد عوض الله رئيس قسم المراجعة والتصحيح بجريدة الأهرام لمعاونته القيمة فى إعداد هذا الكتاب وجهده الصادق .

وأشكر أيضاً هؤلاء الذين توقعت منهم المعاونة . . فقد تعلمت من ذلك درساً . .

عبده مباشر



الباب الأول



الفصل الأول

من التاريخ

واخترقت نيران العدو صدور جنود مصر وهم يهاجمون . . كم أتمنى أن أكتب هذه الجملة آلاف المرات . .

واخترقت نيران العدو صدور جنود مصر وهم يهاجمون . . وسقط لنا شهداء . . يسقطون والنار تحرق صدورهم . . تحرق صدورهم وتروى ظمأ مصر وظمأهم . .

ويستشهدون وهم يهاجمون . . كم من سنوات عاشتها مصر تمضغ أحزانها . . وتخرج إلى الوجود أجيال . ومن بعدها أجيال . .

ومصر لا تمل الحزن . . ولا تفقد الأمل . . تاريخها . . انتصاراتها . . وكبرياء شعبها سيد إرادته وأرضه . . علمها مرفوع الهامة عزيز المكانة دائماً . . مغروس فى قلوب أبنائها قبل أن تحمله الصوارى . .

وقد حملته الصوارى . . منذ بدأت مصر تاريخها المعاصر . . فى الجزيرة العربية والشام وآسيا الصغرى واليونان وشبه جزيرة القرم . .

فوق عشرات المدن البعيدة عن أرض مصر ارتفع علمها خفاقاً . . وفوق مياه بعيدة ليست مياهها الإقليمية كان علمها يطاول السماء .

فقد استطاع الجيش المصرى خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ، أن يحقق انتصارات متوالية فى ميادين عديدة شرقاً وغرباً . . شمالا وجنوباً . . بحرًا وبرًّا . .

وسمع العالم كله وقع أقدام القوات المصرية وهى تتقدم . . ووقف مبهوتاً وهو يرى جيش مصر يقهر جيش الإمبراطورية العثمانية فى معركة إثر أخرى . . ويواصل تقدمه فى الطريق إلى العاصمة . . وكان هذا أكثر مما يقبله العالم . . والقوى الكبرى آنذاك . .

وبدأ التدخل . . وتتابعت المؤامرات . .

تحطم الأسطول المصرى فى نفارين وبدأ الجيش المصرى يتراجع . .

وأخيراً تم توقيع معاهدة لندن عام ١٨٤٠ . . وأرغمت القوى الكبرى مصر وحاكمها الطموح محمد على وقائدها الشجاع إبراهيم باشا على الرضوخ . .

وعرف إبراهيم القائد المنتصر السكون بعد الحركة . . وتبعثرت القوات المصرية بعد تحديد حجم الجيش المصرى . . وأغلقت المصانع العسكرية أبوابها . .

انطوت صفحة الانتصارات العسكرية ، وبدأت الروح التى بعثها محمد على فى الشحوب .

ويمكن القول إن الجيش المصرى منذ هذا التاريخ بدأ يخوض معارك دفاعية مستمرة وبدأ يواجه أيضاً هزائم مستمرة . .

فالحرب هى الهجوم ، والهجوم هو النصر . . أما الدفاع فهو الجمود . . هو الهزيمة . .

واجه الجيش المصرى الهزيمة أمام قوات الاحتلال البريطانى عام ١٨٨٢ برغم بسالته الشديدة فى القتال دفاعاً عن الأرض . . وبرغم الانتصارات الأولية التى حققها فى الميدان الغربى . .

واستمر الموقف هكذا حتى بدأت القوات المصرية تواجه التحدى الإسرائيلى . . خلال هذه الفترة لقيت القوات المسلحة ثلاث هزائم متصلة خلال عشرين عاماً . . ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ . .

وأيًّا كانت الأسباب المباشرة أو غير المباشرة لهذه الهزائم فإنها تمثل استمراراً للهزائم التى لقيها الجيش المصرى منذ السنوات العشر الأخيرة من النصف الأول للقرن التاسع عشر.

وخلال هذه الجولات الثلاث مع العدو كان الأداء العسكرى المصرى يزداد سوءاً باستمرار . .

قاتل الجيش المصرى عام ١٩٤٨ أفضل مما قاتل عام ١٩٥٦ .

وقاتل عام ١٩٥٦ أفضل مما قاتل عام ١٩٦٧ . .

وكان خوض معركة ١٩٦٧ أساساً ابتلاعاً لطعم أعده العدو . . واندفاعاً بلا ترو نحو الهاوية .

هذه الهزيمة لم تكن أبداً هزيمة للجندى المصرى أو الضابط المصرى . . فكل من الجندى والضابط لم تتح له فرصة التدريب والإعداد الجيد ، ولم تتح له الفرصة أيضاً

ليقاتل فى ظروف متكافئة . .

وقبل أن يبدأ القتال فى يونية ١٩٦٧ أصيبت القيادة بالانهيار وأصدرت الأمر بالانسحاب . . أبداً لم يقاتل . . وأبداً لم يهزم الجندى المصرى والضابط المصرى . . لم تتح الفرصة للجنود والضباط ليكشفوا عن حقيقة معدنهم . .

واستغلت القوى المعادية هذه الهزائم لشن حملة ضارية على الجيش المصرى قادة وضباطاً وجنوداً .

وإذا كانت الجيوش تمشى على بطونها فإنها تندفع للقتال بروحها المعنوية العالية وكبريائها . . وحاولت هذه القوى تحطيم هذه الروح وهذا الكبرياء . .

واستمرت الحملة . . وعندما كان هناك من يريد أن يدافع عن الجيش المصرى والجندى المصرى . . كان يضع السم فى كلماته . . فقد كان يعتمد فى دفاعه على بسالة الجيش والجندى فى الدفاع . . وهذا يعنى أن الجيش المصرى غير قادر على الهجوم . . والهجوم هو الحرب . .

وعندما تكلم نابليون عن الدفاع قال إن خير وسيلة للدفاع هى الهجوم . ولكن فى إطار الدفاع عن سمعة الجيش المصرى والجندى المصرى كانوا يريدون أن يؤكدوا عدم فاعلية القوات المسلحة المصرية . .

نعم . . مرت بنا فترة كنا نبحث فيها عن الذات . . ومرت مراحل تجرعنا فيها مرارة الهزيمة بل الهزائم المتكررة . . إلا أننا لم نقع أسرى هذه الحملة . .

كان فى أعماق الكثيرين منا إيمان عميق بالقدرة على الانتصار . . وكان واضحاً أمام الكثيرين أسباب الهزائم . . وكان تجاوز هذه الأسباب فى قدرتنا . . وكنا جميعاً عطشى للنصر . . وانتظرنا وانتصرنا .

انتظرنا ما يقرب من ١٤٠ عاماً . . وكنا نعلم أنه كم هو صعب أن يخوض الجيش المصرى معركة أخرى . . وكم هو صعب أن يخوض معركة هجومية . . أن يتحول بعد أكثر من ١٣٠ عاماً من الدفاع إلى الهجوم . . وكم هو بعيد عن التوَقع أن يحقق الانتصار فى مثل هذه المعركة . .

ومع هذا استطاع الجيش المصرى أن يتحول من الدفاع إلى الهجوم . . واستطاع أن

ينتصر فى معركة من أصعب المعارك التى يمكن أن يخوضها جيش . .

أما لماذا تعتبر المعركة مع إسرائيل معركة صعبة ؟ فإننا إذا تجاوزنا عقبات المانع المائى الصناعى : قناة السويس ، والساتر الترابى المرتكز على حافة الماء مباشرة والموانع القوية لخط بارليف المنيع فإن هناك القوات المسلحة الإسرائيلية القوية التى كانت تعيش انتصاراتها المستمرة ومعنوياتها العالية . .

وبعد معركة ١٩٦٧ ازدادت هذه القوات غروراً وصلفاً وتجاوزت ثقتها بالنفس كل حد . . وتأله قادتها . .

نعم إن التاريخ يذكرهم كشعب لحقته الهزيمة بصفة مستمرة طوال الفترات القصيرة التى عاشها كدولة . . كما يذكر التاريخ أنهم شعب يرفض القتال ويفر منه . . فهم الذين قالوا لموسى « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون » .

إلا أن المعارك وإن تأثرت بالعوامل التاريخية فإنها تتأثر أساساً بميزان القوى بين الأطراف المتحاربة والفكر العسكرى الاستراتيجى والتعبوى والتكتيكى ومدى ارتفاع الكفاءة القتالية للجنود والقدرات والمواهب القيادية للقادة . .

إن نجاح إسرائيل العسكرى أكثر من مرة ليس فيه أسرار ولا ألغاز ، ولكنه من أوله إلى آخره استيعاب لنظريتين أساسيتين :

* نظرية الحرب الخاطفة من ناحية .
* ونظرية الإدارة الحديثة من ناحية أخرى .

وفى تعريف « الحرب الخاطفة » فليس هناك وصف أبلغ من وصف الجنرال الألمانى « هاينز جودريان » بطل نظرية هذه الحرب فى القرن العشرين ، وكان تطبيقه لها فى فرنسا عام ١٩٤٠ معجزة من المعجزات .

يقول الجنرال « جودريان » فى كتابه « قائد البانزر » (القوات المدرعة الألمانية) التى كان هو صاحب الفضل فى إنشائها وتخطيط الأسلوب الجديد لعملها . . ما يلى :

« الحرب الخاطفة هى أن تستعمل مقدرة الحركة العسكرية السريعة كسلاح نفسى . لا تتحرك لكى تقتل ، ولكن تحرك لكى تتقدم . لا تتقدم لاحتلال مواقع ولكن تقدم لكى تثير الخوف والرعب ، لكى تصيب عدوك بالذهول ، لا تأسر ولكن اتركه أسيراً

للحيرة والتوتر والشك لكى تصبح خطوطه الخلفية فوضى شاملة تمزقها الإشاعات وتفترسها التهويلات . . إن الذعر سوف يتحول إلى وحش تجرى أمامه رعباً فلول عدوك وتنهار قيادته وتصاب بالشلل حكومته . وقبل أن يتبين أحد ماذا جرى تكون قد انتصرت » .

تلك كلمات « جودريان » حرفيًا تكاد تصور ما حدث فى معركة ١٩٦٧ ، كأنما هى رجع الصدى ، كأن واضعى خطة إسرائيل فيها كانوا مجرد تلاميذ مخلصين لقائد قوات « البانزر » الشهير .

كان السباق بين الجنرالات الثلاثة « يوفيه و شارون و تال » وهم الذين قادوا الطوابير الإسرائيلية الثلاثة فى معركة ١٩٦٧ – سباقاً للوصول إلى قناة السويس .

لم يتوقف أحدهم لاحتلال مواقع ، أو لتصفية مقاومة خلفه ، أو لجمع أسرى أو غنائم . كل واحد منهم كان يتحرك بأسرع ما يمكن .

سرعة حركته هى نفسها سرعة تقدم أول دبابة فى طابوره المدرع .

وكانت النتيجة شيئًا مما وصفه جودريان وهو يتحدث عن الحرب الخاطفة .

وهناك ظاهرة تلفت النظر فى القيادة الإسرائيلية . . إن أى ضابط إسرائيلى لم يصل إلى مرتبة القيادة قبل أن يجلس طالباً فى دراسة عن الإدارة الحربية فىواحدة من الجامعات الأمريكية أو الإسرائيلية على الأقل . .

كل جنرالات إسرائيل جلسوا على مقاعد الدراسة فى المناهج المختلفة لعلم الإدارة فى « كولومبيا » أو « هارفارد » أو « ييل » أو غيرها من كبريات الجامعات الأمريكية . .

وعلم الإدارة . . هو علم استخدام الموارد والوسائل المتاحة بأعلى كفاءة للحصول على أكبر نتيجة . .

وإذا كان الأمر كذلك فى الصناعة والتجارة فهو أيضاً كذلك فى الحرب . .

وإذا نظرنا إلى ظروف إسرائيل لوجدنا أن حاجتها إلى علم الإدارة الحربية ضرورة لا بديل لها لأن أهدافها أكبر بكثير من الموارد والوسائل المتاحة ، ولعل ذلك يفسر نسبيًا أن الجيش الإسرائيلى يستعمل عدداً من الحواسب الالكترونية لا يستعمله أى جيش آخر فى حجمه ، فضلاً عن أن جزءاً كبيراً من أبحاثه ومعلوماته يعتمد اعتماداً كاملاً على الجامعات والمعاهد ومراكز الدراسة فى مختلف التخصصات .

ولقد قام الجيش الإسرائيلى على سياسة الهجوم ، وذلك وفقاً للأوامر الخمسة المستديمة التى هى أول درس يلقى على المجندين فى الجيش الإسرائيلى فى أول يوم من خدمتهم فى صفوفه وقد عدها « ليوهايمان » فى دراسة نشرها فى أمريكا على النحو التالى :

* اهجم دائماً .
* تحرك دائماً .
* قاتل من المركبات المتحركة كلما أمكن .
* الزم الصمت أثناء التحرك واصرخ بأعلى صوتك وأنت تنقض خصوصاً عند الهجوم الليلى فإن الجندى عندما يصرخ بأعلى صوته وهو يهاجم يخيف عدوه ، كما أن قوته البدنية تزداد إلى الضعف وذلك ثابت علمياً .
* كل دورية أنت فيها سوف تكون قوية بحيث تستطيع القتال .

ويمكن القول إن القوات المسلحة الإسرائيلية هى إحدى القوات المسلحة المحترفة التى تستخدم الأساليب الصدامية فى القتال وفق خطط يضعها قادة مغامرون ميالون إلى العمليات المتسمة بالتجديد التى تتم فى ظل تفوق استراتيجى مؤكد مع العمل على تحقيق التفوق التكتيكى فى زمان المعركة ومكانها .

وتضم القوات المسلحة الإسرائيلية البرية والجوية والبحرية حوالى ٩٥ ألف رجل من بينهم ٢٣ ألف كادر ، وتعتمد هذه القوات على نواة من المتطوعين المحترفين وعدد ممن يؤدون الخدمة العسكرية .

وتعتبر مجموعة القتال التى تضم عناصر من المدرعات والمشاة الميكانيكية معززة بعناصر من مختلف الأسلحة المعاونة كالمدفعية ذاتية الحركة والمهندسين والإشارة هى الوحدة التكتيكية الأساسية .

ويختلف حجم مجموعات القتال باختلاف المهام وطبيعة المحاور التى تقاتل عليها .

ولم تقاتل هذه القوات معارك دفاعية منذ عام ١٩٤٨ إلا خلال فترة الاستنزاف .

وكانت القيادة السياسية العسكرية تحرص دائماً على وضع الجيش فى حالة تفوق استراتيجى مما يحقق لها النصر قبل بدء القتال مما أعطى هذه القوات ثقة كبيرة بالنفس ومعنويات عالية .

وتتميز القوات المسلحة الإسرائيلية بسرعة حركتها ودقة اتصالاتها وسرعة عملياتها الإدارية الخاصة بالإمداد والتموين والإخلاء نظراً لاعتمادها على قاعدة تكنولوجية متقدمة .

ولا يمثل رقم الـ ٩٥ ألف رجل سوى القوات الموجودة تحت السلاح والتى ترتفع أعدادها إلى رقم يتراوح بين ٣٠٠ ، ٣٢٥ ألف رجل عند إعلان حالة التعبئة العامة . وتعتمد الخطط الاستراتيجية الإسرائيلية كلها على سرعة تنفيذ التعبئة العامة ودقتها وارتفاع المستوى القتالى للجنود والاحتياطيين والقدرة على تنفيذ التعبئة العامة خلال فترة لا تزيد عن ٧٢ ساعة .

ويمثل الطيران فى القوات المسلحة الإسرائيلية عنصراً من عناصر حسم المعركة ، ويملك سلاح الجو الإسرائيلى ما يقارب من ٦٠٠ طائرة بالإضافة إلى طائرات النقل والهيليكوبتر .

وبنى الإسرائيليون نظرياتهم العسكرية بالنسبة للأمن والردع على امتلاك التفوق الجوى الساحق وقدرة السلاح الجوى على خلق أفضل الظروف القتالية الملائمة لعمل القوات البرية حرصا على كفاءتها القتالية كما يعطيهاتفوقاً يزيد عن حجمها الحقيقى . .

وتملك طائرات السلاح الجوى الإسرائيلى قوة نارية كبيرة نتيجة لقدرتها على حمل كميات من الذخائر والصواريخ .

ويحتل الجيش فى إسرائيل المرتبة الثانية بعد الطيران ، وتعتمد تكتيكات وخطط حشده وتحركه على وجود سيطرة جوية . وأبرز أسلحة الجيش سلاح المدرعات الذى يضم حوالى ٢٠٠٠ دبابة من طرز حديثة .

وترجع ضخامة هذا السلاح إلى رغبة إسرائيل فى مواجهة المدرعات العربية على أكثر من جبهة واحتمالات القتال فى الصحراء وتعويض النقص البشرى بزيادة قوة النار والصدمة .

وتملك معظم الدبابات الإسرائيلية مدفعاً عيار ١٠٥ ملليمترات يصل مداه إلى ثلاثة كيلو مترات ونصف .

كما أن وحدة عيار مدافع الدبابات تيسر عملية الإنتاج والامداد والتشوين والاستخدام

ويستخدم الإسرائيليون دباباتهم فى القتال داخل كتل ضخمة ، ويدعمون المجموعات المدرعة بوحدات من المشاة الميكانيكية والمدفعية ذاتية الحركة والمهندسين والمدافع المضادة للطائرات .

وتضم القوات المسلحة الإسرائيلية ألوية مشاة ميكانيكية محمولة على ناقلات جنود مدرعة نصف جنزير طراز م٣ وجنزير كامل من طراز م١١٣ الأمر الذى يحقق لها خفة الحركة والقدرة على المناورة ومتابعة الدبابات .

وتضم القوة الضاربة الإسرائيلية وحدات مظلات على درجة عالية من الكفاءة وتعتمد القيادة الإسرائيلية على هذه الوحدات لأداء المهام الصعبة .

والمدفعية الإسرائيلية تعتمد على المدفعية ذاتية الحركة البعيدة المدى م١٠٧ عيار ١٧٥ ملليمتر ، والهاوتزرم ١٠٩ ، م . د عيار ١٥٥ ملليمتر والهاوتزر م ٧ ب ١ ، أم أكس - ٢ عيار ١٠٥ ملليمتر بالإضافة إلى مدافع مجرورة من عيارات مختلفة وبالإضافة إلى الهاونات . هذا غير الصواريخ أرض - أرض عيار ٤٢٠ ، ٣٢٠ ، ٢٤٠ ، ٢١٦ ، ١٣٠ ملليمترا .

وتملك البحرية الإسرائيلية عددًا من لنشات الصواريخ من طراز « سعر » المزودة بصواريخ جابرييل بالإضافة إلى عدد محدود من الغواصات وقوارب الطوربيد ولنشات الدوريات .

وكانت إسرائيل تضع فى اعتبارها أن تكون قواتها المسلحة متفوقة على القوات المسلحة للدول العربية فى ميدان التسليح والصناعات الحربية ومستوى التدريب والأداء القتالى ، لتعويض النقص لديها فى ميدان الطاقة البشرية لضآلة مواردها ، ومع هذا فقد كان لها عند بداية القتال حوالى ٥٠ لواء . . مثل هذا الرقم يحقق لها التفوق العددى أيضاً من ناحية القوات العاملة فى المسرح . .

هذا التفوق المطلق الذى حافظت عليه القيادة الإسرائيلية كان فى إطار نظريتها للأمن التى تقوم على الأسس التالية : -

* تفوق عسكرى ساحق يجعلها قادرة على حسم أى تهديد ضدها فى أسرع وقت .
* هذا التفوق يتطلب وجود جيش غير قابل للهزيمة تحت أى ظرف من الظروف .
* قدرة هذا الجيش على الاحتفاظ بزمام المبادأة فى يده مع ضرورة نقل المعركة إلى أرض العدو خلال الساعات الأولى لها .
* مراعاة العمل على جبهة واحدة مع تثبيت باقى الجبهات ، وبعد أن يفرغ من هذه الجبهة

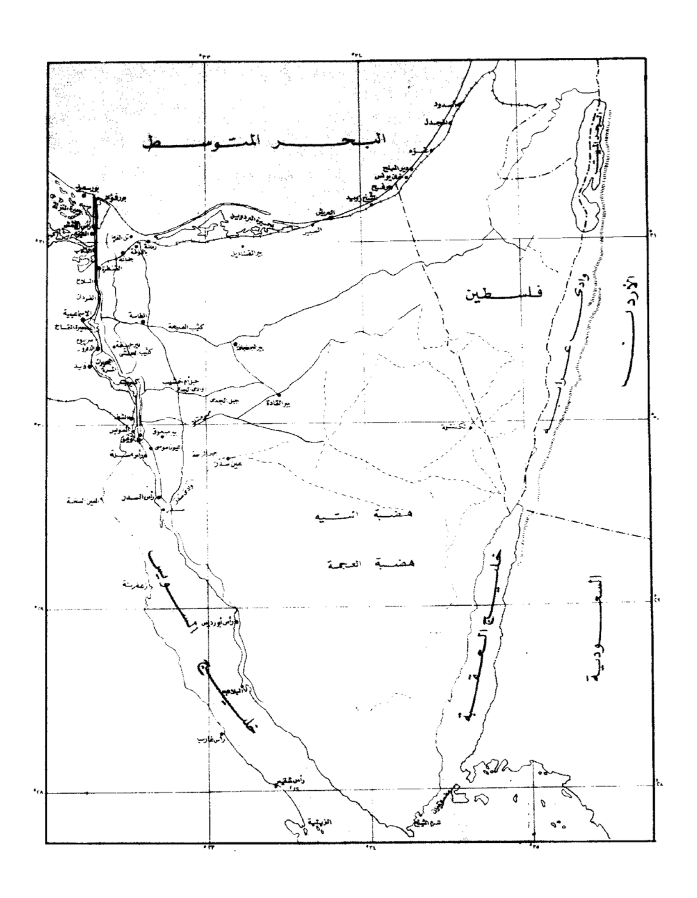
يستدير للعمل على الجبهة التالية . وأن تكون القوة التى يضعها فى مواجهة جبهة لتثبيتها قادرة على القتال ومنع العدو من تحقيق أى مكاسب تكتيكية .

* ضرورة حسم المعركة خلال فترة قصيرة ، ذلك أن استراتيجية إسرائيل تعتمد أساساً على أسلوب الحرب الخاطفة .
* تأكيد قدرة القوات المسلحة الإسرائيلية على الردع بصفة مستمرة . .

وكان على مصر أن تقبل التحدى وهى تعلم تماماً أن للعدو التفوق الجوى . . وتعلم أيضاً مدى كفاءة أسلحته البرية . . وتعلم قدرته على الحشد والمناورة . . وتدرك أيضاً أبعاد نظرية الأمن الإسرائيلى ومتطلباتها .

وتدرك أن النجاح يقود إلى مزيد من النجاح . . وإن الفشل يتلوه فشل آخر وأن تجاوز الفشل يحتاج إرادة قادرة على النجاح وتخطى حاجز الفشل . . وتخطى حاجز الرهبة . .

وكان قبول التحدى يعنى فى نفس الوقت دراسة مشاكل العمل العسكرى المصرى والوصول إلى حلول وقرارات . .


البحر المتوسط
فلسطين
الأردن
السعودية
وادى عربة
هضبة التيه
هضبة العجمة
خليج العقبة
خليج السويس
العريش
بورسعيد
الإسماعيلية
السويس
رأس السدر
رأس غارب
شرم الشيخ

الفصل الثانى

القرار

الذى لا شك فيه أن القوات المسلحة كانت تستعد لمعركة قريبة قادمة بعد أيام يونية – الحصاد – فقد كانت هناك عقبات الإمداد بالسلاح والذخيرة والتغيير المستمر فى الخطط الموضوعة للمعركة ، كل خطة منها فى إطار مصغر وهدف ينبغى تحقيقه .

وكل خطة من هذه الخطط – وبعد موافقة كبير الخبراء الروس عليها – تتضمن قائمة باحتياجات الجيش من الأسلحة والمعدات والذخائر لتنفيذها ، ويسافر وفد ويأتى وفد ، وتعود العجلة لتدور من جديد لوضع خطة أخرى لعدم قدرة الاتحاد السوفييتى على الوفاء باحتياجات هذه الخطة وهكذا . .

وفى مرحلة ثانية عام ١٩٧٢ زار جريتشكو مصر ووافق على خطة انتهى إعدادها . . وتصورت القيادة أن مشكلة الحصول على الأسلحة والمعدات المطلوبة قد حلت ، وكانت المفاجأة مماطلة الجانب السوفييتى وعرض أسلحة لا تفى باحتياجاتنا وبأسعار أكثر كثيراً من الأسعار العالمية لنفس الجيل من السلاح فى الغرب بل وأكثر من الأسعار التى باع بها لسوريا .

واستمرت مناورة الاتحاد السوفييتى ومماطلته ، وتجاوز عدد الخطط الموضوعة ١٨ خطة ، أجهدت هيئة العمليات المصرية فى إعدادها .

وخلال هذه المرحلة كان رئيس الأركان المصرى يدرس الإمكانيات المتوفرة لدى القوات المسلحة ومدى ما تستطيع تحقيقه بهذه الإمكانيات ، ووصل إلى نتيجة عرضها على الرئيس السادات القائد الأعلى . . محصلتها . . أن القوات المسلحة بإمكانياتها الحالية قادرة على خوض معركة ناجحة لاقتحام القناة واكتساح النقاط الحصينة لخط بارليف وإنشاء عدد من رؤوس الكبارى يتم التمسك بها والدفاع عنها .

واستمرت الاجتماعات للدراسة وبحث مختلف وجهات النظر وردود الأفعال المختلفة .

وخلال أبريل ١٩٧٣ اتخذ الرئيس السادات قراراً بالحرب ، لم يكن القرار جديداً . . فقد كان ذلك اتجاهاً رئيسياً وفكراً يسعى إلى تحقيقه .

والتقى الرئيس السادات بالرئيس الأسد وبعد أن وافق الرئيس السورى على خوض المعركة إلى جانب مصر ظل الأمر سراً بينهما حتى صيف ١٩٧٣ .

ولم يعلم بهذا السر خلال الفترة التى أعقبت اللقاء سوى وزيرى الحربية فى البلدين .

وقرار الحرب الذى اتخذه الرئيس السادات أهم أسباب المفاجأة الاستراتيجية .

فكل الدراسات عن الوضع والظروف التى تمر بها كل من مصر وإسرائيل قادت إلى عدم إمكانية مصر خوض تجربة قتال مسلح مع إسرائيل .

وكان واضحاً أمام الخبراء العسكريين فى العالم كله مدى تفوق الجيش الإسرائيلى فى ميدان التسليح من ناحية الكم والكيف .

ولم يكن سراً أن إسرائيل لها التفوق الجوى . . وتملك تفوقاً فى ميدان الحرب البرية لكفاءة قواتها المدرعة ومشاتها الميكانيكية ، كما كان يتوفر لإسرائيل نظام متكامل للدفاع الجوى والإنذار المبكر ولم يكن لدى مصر أسلحة قادرة على الوصول إلى العمق الإسرائيلى للردع فى حالة قيام إسرائيل بتوجيه ضربات إلى العمق المصرى . .

وباختصار كانت إسرائيل فى الوضع الأفضل سياسياً وعسكرياً واقتصادياً واجتماعياً ونفسياً بعد يونية ١٩٦٧ . .

وكانت مصر فى الوضع السيء سياسياً وعسكرياً واقتصادياً واجتماعياً ونفسياً ، ولم يكن ذلك راجعاً لهزيمة يونية ١٩٦٧ ، بقدر ما كان يرجع إلى الأسباب التى أدت إلى هزيمة يونية ١٩٦٧ .

وكانت توقعات كل أجهزة المخابرات ، خاصة الأمريكية والإسرائيلية ، أن مصر لن تدخل حرباً طالما كان التفوق فى جانب إسرائيل ، فليس من المنطق أو المعقول أن تختار مصر الانتحار وتقرر دخول تجربة جديدة ، يكفيها تجربة ١٩٦٧ .

وكانت هذه النتائج التى توصلت إليها هذه الأجهزة نتيجة دراسة وتقييم للمعلومات

اشتركت فيها مراكزعديدة للبحوث والدراسات ونتائج حصلوا عليها من الحواسب الإلكترونية بعد إمدادها بكل المعلومات والتفاصيل .

ولكن أجهزة المخابرات ومراكز الدراسات والحواسب الإلكترونية لم تضع فى اعتبارها شيئاً هاماً ، هو قدرة مصر على التحدى . . وصلابتها وإرادتها وإصرارها على الثأر خاصة وأن جزءاً من الوطن المصرى محتل ، لم تعد القضية هل مصر قادرة أم غير قادرة ؟ وإنما أصبحت قضية الإحساس والكبرياء والكرامة الوطنية .

وكان السادات بقراره – الذى لم يشاركه فيه أحد والذى يتحمل مسئوليته أمام التاريخ وحده – تجسيداً لكل هذا ولإحساسه بقدرة الشعب المصرى على البذل . وأهم من هذا أو ذاك الإيمان العميق بأن الله سيمد جيش مصر بنصر من عنده . وهو إيمان وصل إلى حد اليقين .

وبعد أن اتخذ الرئيس قراره واستقر رأيه على الحرب بدأت العجلة تدور فى هذا الاتجاه .

اجتمع المجلس الأعلى للقوات المسلحة سبع مرات خلال الفترة من ٢٨ أكتوبر ١٩٧٢ حتى أول أكتوبر ١٩٧٣ . .

الاجتماع الأول ٢٨ أكتوبر ١٩٧٢

الاجتماع الثانى ١٤ نوفمبر ١٩٧٢

الاجتماع الثالث ٩ يناير ١٩٧٣

الاجتماع الرابع ٦ مارس ١٩٧٣

الاجتماع الخامس ١٩ يوليو ١٩٧٣

الاجتماع السادس ٢١ أغسطس ١٩٧٣

أى قبل المعركة بحوالى ستة أسابيع ، وكان اجتماع للمجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية والسورية عقد بمبنى قيادة القوات البحرية برأس التين بالإسكندرية .

ودرس المجتمعون القرار وناقشوا تفصيلات تنفيذه .

الاجتماع السابع الأثنين أول أكتوبر ١٩٧٣ . . وعقد برئاسة الرئيس السادات القائد الأعلى للقوات المسلحة بوزارة الحربية بكوبرى القبة .

وفى هذا الاجتماع تقرر بدء القتال والعمليات الحربية مع العدو يوم السادس من أكتوبر ، العاشر من رمضان .

وشرح الرئيس السادات الموقف السياسى ونتائج المباحثات التى تمت بين حافظ إسماعيل وكل من نيكسون وكيسنجر فى الولايات المتحدة وإصرارهم على التفاوض مع إسرائيل مباشرة ، ومحادثاته مع فالدهايم ونتائج محادثات فالدهايم مع إسرائيل . وقال لهم إن الخروج من هذا المأزق لن يتم إلا بالقتال .

وقال إنه يعلم كل شىء عن القوات المسلحة وموقفها وموقف كل سلاح على حدة ، وأنه لا يطلب منهم سوى أن يؤدوا كل ما يستطيعون أداءه وبدأ القادة فى الحديث عن موقفهم وموقف قواتهم وأسلحتهم وقرارهم بعد شرح مطالبهم وإمكانيات كل منهم .

تكلم كل منهم مؤيداً بدء العمليات الحربية فى الموعد الذى اختاره الرئيس السادات .

وعاهدوا الرئيس السادات على بذل أقصى الجهد لتحقيق النصر ، وقرأ الجميع الفاتحة فى نهاية الاجتماع الذى استمر ١٠ ساعات وصدق الرئيس على الخطة كتابة .

وفى أواخر أغسطس ١٩٧٣ وبعد الاجتماع المشترك للمجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية والسورية زار الرئيس السادات سوريا واجتمع بالرئيس الأسد بالقصر الجمهورى بدمشق واتفقا على تاريخ بدء العمليات الحربية على ضوء ما تقرر فى اجتماع المجلس الأعلى .

وحدثت بعد ذلك وقبل بدء العمليات بأيام خلافات داخل الجيش والحزب حول قرار المعركة ، وكانت هناك وجهات نظر تقول بعدم دخول المعركة طالما كان قرار القتال مصرياً ، ودور سوريا هو دور المؤيد للموقف المصرى .

ورأى البعض تأجيل المعركة حتى ربيع ١٩٧٤ كى تتاح لسورية فرصة استكمال تسليحها بوصول الصفقات المتعاقد عليها ، كما شملت الخلافات يوم « ى » يوم بدء العمليات الحربية وساعة « س » ساعة بدء العمل لتحرير الأرض ، وأمام صدى الخلافات التى تجاوزت مرحلة الهمس سافر وزير الحربية المصرى إلى دمشق فى زيارة سرية يوم ٣ أكتوبر واجتمع بالرئيس الأسد وأخبره أن هناك وحدات مصرية ، خاصة الوحدات

البحرية ، قد تحركت إلى أعالى البحار لأداء دورها ، أى أن عجلة القتال فى مصر قد دارت ولن تتوقف أبداً ، وأن الرئيس السادات مصر على بدء العمليات الحربية فى الموعد المحدد لها ، دخلت سوريا الحرب أم لم تدخل .

واستمر النقاش طويلاً حول يوم « ى » وساعة « س » بعدها أعلن الرئيس الأسد التزام سوريا بالقرار الذى اتفق عليه مع الرئيس السادات .

وقد اجتمع الرئيس بمجلس الأمن القومى يوم ٣٠ سبتمبر ٤ رمضان وناقش معهم الموقف السياسى والعسكرى وطلب منهم إبداء الرأى حول الحلول الممكنة وخاصة الحل العسكرى ، وقد أيد البعض واعترضت الأغلبية على اللجوء إلى القوات المسلحة .

ولم يخبر الرئيس السادات أعضاء المجلس عن قرار القتال الذى سيبدأ بعد أسبوع من الاجتماع خوفاً من تسرب السر .

زيارة وزير الحربية للجبهة

قام وزير الحربية بزيارة الجبهة يومى ٢٣ ، ٢٤ سبتمبر وكانت آخر زيارة يقوم بها القائد العام للجبهة ، وبعدها عاد إلى مركز القيادة المقام على عمق تحت أرض الصحراء المجاورة للقاهرة .

يوم ٢٣ سبتمبر زار الوزير قيادة الجيش الثالث الميدانى واجتمع بالقائد والقادة ، وبعد أن ناقشهم فى مهامهم طلب منهم أن يوقع كل منهم على وثيقة يؤكد فيها قدرته على تنفيذ المهمة المكلف بها .

ولم ينصرف إلا وفى حقيبته وثائق موقعة من كل القادة حتى مستوى اللواء يؤكدون فيها قدرتهم على تنفيذ المهام الموكولة إليهم .

ويوم ٢٤ سبتمبر اجتمع بقائد وقادة تشكيلات الجيش الثانى الميدانى وقائد قطاع بور سعيد واستمع إلى خططهم الهجومية وطلب منهم أن يوقعوا على وثائق مثيلة للتى حصل عليها من الجيش الثالث .

وانتقل الوزير إلى منطقة البلاح حيث شاهد بياناً عملياً كان جزءاً من خطط الخداع وقد جرى أمام أعين العدو .

وقد أمر الرئيس السادات بإعداد غرفة عمليات بقصر الطاهرة ليتابع منها سير العمليات فى الوقت الذى يكون فيه بعيداً عن مركز العمليات (١٠)

وبهذه الغرفة أجرى الاجتماعات واللقاءات السياسية طوال فترة الحرب وهو يرتدى زى القائد الأعلى للقوات المسلحة .

ويوم السادس من أكتوبر مر وزير الحربية على الرئيس السادات فى قصر الطاهرة فى الساعة الواحدة والربع لاصطحابه إلى مركز القيادة ، وبعد عشر دقائق وصل الرئيس إلى غرفة العمليات استعداداً وانتظاراً لانطلاق الهجوم المصرى .

الفصل الثالث

خطة الخداع الاستراتيجى والتعبوى

الخطة « ضباب الحرب »

وتقرر أن نقاتل . . . .

لم يكن قراراً جديداً . . كان ميلاداً جديداً لقرار سبق اتخاذه من قبل بعد دراسة وتقييم للإمكانيات المتاحة والمحتملة . . وللموقف السياسى والعسكرى والاقتصادى . . المحلى والعربى والعالمى . . بعدها بدأت القيادة العامة فى وضع الخطط النهائية فى إطار الظروف الجديدة . .

ومع إعداد خطة القتال كان يتم فى نفس الوقت إعداد خطة أخرى لخداع العدو سنطلق عليها « خطة ضباب الحرب » .

وعلى مدى كفاءة خطة ضباب الحرب تتوقف نتيجة خطة القتال . . ويمكن القول إن نجاح خطة خداع العدو يمثل ٥٠٪ من نجاح خطة القتال . . وتهدف خطة ضباب الحرب إلى خداع العدو استراتيجياً وتعبوياً وتكتيكياً .

وقد نجحت خطة ضباب الحرب نجاحاً كبيراً فى تحقيق الهدف منها :

المفاجأة الاستراتيجية

خدعنا العدو عن احتمال استخدام القوات المسلحة فى صراع مسلح . . أى أخفينا نية الهجوم .

خدعناه عن تصور حقيقة فكرة العمليات – هل هى حرب شاملة ؟ أم مجرد معارك استنزاف ؟ .

خدعناه عن تصور إمكان أن تقوم مصر وسوريا بشن الحرب بخطة مشتركة منسقة وفى وقت واحد .

المفاجأة التعبوية

لم يتمكن العدو من معرفة توقيتات الهجوم .
خدعناه عن معرفة حجم القوات المشتركة فى الحرب .
خدعناه عن معرفة اتجاه الضربات الرئيسية للقوات المسلحة وكذلك داخل الجيوش الميدانية .

المفاجأة التكتيكية

خدعناه عن أساليب هجومنا

مثلا :

الهجوم على المواقع الحصينة فى خط بارليف من المواجهة وليس من الأجناب أو الخلف كما توقع .
ترك الكثير من المواقع الحصينة فى خط بارليف دون الهجوم عليها فى أول يوم وحصارها والاستيلاء عليها ثانى أوثالث يوم .
فتح الممرات فى السائر الترابى بضخ المياه .
ومثل هذه النتيجة ألحقت عاراً كبيراً بالقيادتين السياسية والعسكرية فى إسرائيل وفشلا مؤكداً للمخابرات الإسرائيلية المعروفة بكفاءتها وتاريخها . .
وبالإضافة إلى هذا ، فقد فشلت المخابرات المركزية الأمريكية فى اكتشاف حقيقة النوايا والتحركات المصرية . . ويضاعف هذا من نجاح خطة ضباب الحرب . .
وكان إخفاء نوايا التحركات المصرية العسكرية ضرورة حياة وأمن وسلامة للقوات المسلحة . .

فالعدو يؤمن بأسلوب الضربة الوقائية أوالحرب الوقائية كجزء من نظريته عن الأمن التى تعنى توجيه ضربته عندما يكتمل استعداد القوات المسلحة فى الدول المجاورة وخاصة مصر « العدو الأخطر والأقدر » على مواجهته .

وإسرائيل ترى من الضرورى لأمنها إجهاض أى استعدادات عربية للقتال وإعادتها إلى نقطة البداية قبل أن تتحرك لتبدأ من جديد . . وضرب أية حشود عسكرية قبل أن تبدأ هجومها . .

واكتشاف الحشد العسكرى المصرى كان يعتبر أمراً يسيراً على المخابرات الإسرائيلية . . أو أية مخابرات تمتلك مثل إمكانياتها الممتازة .

والجيوش المتحاربة تفترض دائماً وجود عملاء يرصدون تحركاتها . . وللمخابرات الإسرائيلية عيون فى مصر والعالم العربى ، وكان لابد من خداع هذه العيون . . قطعاً فإن هذه العيون سترى أشياء وستسمع أشياء أخرى ، وكان على التخطيط العسكرى أن يضع فى اعتباره مواجهة مثل هذه الاحتمالات . .

وعلى بعد أمتار هى عرض قناة السويس كانت القيادة العسكرية الإسرائيلية قد أقامت أبراجاً ثابتة للملاحظة والمراقبة بارتفاع ٢٤ متراً على امتداد الضفة الشرقية للقناة . . وأكثر من هذا فقد زودت القيادة الإسرائيلية فى سيناء قواتها الموجودة على خط المواجهة بمجموعة أخرى من الأبراج المتحركة المركبة على شاسيهات دبابات « شيرمان » لتعمل فى المناطق التى لا توجد بها أبراج مراقبة ثابتة . . وكانت هذه الأبراج تستطيع كشف أية تحركات على امتداد مسافة ٢٥ كيلومتراً غرباً فى عمق الجيوش الميدانية المصرية أى أنها – أى القيادة الإسرائيلية فى سيناء – كانت تستطيع ملاحظة أية عربات متحركة فى هذا العمق أو أية تجمعات بشرية . .

وباستمرار كانت هناك دوريات استطلاع جوية للسلاح الجوى الإسرائيلى بطائرات مجهزة بمعدات اليكترونية وآلات التصوير والالتقاط البعيد . . كانت الطاعات الجوية إما للاستطلاع الإلكترونى أو للتصوير ، وكانت طائراته تستطيع التصوير حتى مسافة ٤٠ كيلو متراً فى عمق الجيش الميدانى إذا طارت شرقى القناة بحوالى ١٥ أو ٢٠ كيلو متراً بالإضافة إلى مراكز الاستطلاع والتصنت اللاسلكى . .

وهناك بالإضافة إلى كل هذا الأقمار الصناعية التى تمرح فى سماء الكرة الأرضية . .

أما نوايا الحشد فلابد من إخفائها . . كانت القيادة على يقين من أن العدو سيستطيع بوسائله المختلفة معرفة أو اكتشاف الحشد المصرى . . وكان الهدف الذى تعمل من أجله

هو إخفاء نوايا هذا الحشد وبصورة تسمح ليس فقط بحماية القوات المسلحة من الضربة الوقائية بل بإتاحة كل الظروف أمام هذه القوات لعمل هجومى ناجح تتحقق به مفاجأة العدو وتمسك فيه بزمام المبادأة . .

كان أول ما تحتاج إليه الخطة كتمان « قرار القتال » . . والقرار الخاص بتحديد يوم « ى » يوم بدء العمليات الحربية . .

وقد ظل القرار الخاص بيوم « ى » محصوراً بين القائد الأعلى والقائد العام للقوات المسلحة . . لم يعلم به أحد سواهما . . وحتى عندما بدأ العد التنازلى من يوم « ى » بالناقص ، كان ذلك قبل شهر من بدء العملية ، ى — ٣٠ ، ى — ٢٩ ، ى — ٢٨ وهكذا فإن السر ظل محصوراً . . وقبل أيام قليلة من يوم « ى » بدأ إنزال القرار بالتدريج إلى القيادات التالية طبقاً لتقدير دقيق للموقف واحتياجات سير العمل وانتظامه . . وظل القرار ينتقل درجة درجة إلى القيادات الأدنى . . من القائد العام . . إلى رئيس الأركان ورئيس هيئة العمليات وقادة أفرع القوات المسلحة الجوية والبحرية والدفاع الجوى . . ومديرى إدارات القوات المسلحة طبقاً لدورها فى الخطة . . وقادة الجيشين الثانى والثالث .

بعدها انتقل القرار إلى قادة التشكيلات فقادة الوحدات . . فقادة الوحدات الصغرى . . فالوحدات الأصغر . . فالقادة الأصاغر . . فالصف ضباط والجنود .

لم يكن قرار يوم « ى » يبلغ إلى قائد إلا فى الوقت الذى يحتاج إليه هذا القائد لاستمرار دوران عجلة الإعداد للقتال . . لم يصل القرار أبداً مبكراً عن هذا الموعد . . ولم يصل كذلك متأخرًا منه .

وكان معنى ذلك أن الخطة قد اكتملت إلى آخر التفاصيل . . بل تفاصيل التفاصيل وكان ذلك طوال الوقت بالتنسيق مع سوريا . .

وعندما تقررت ساعة « س » ساعة بدء العمليات الحربية فى اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم الاثنين أول أكتوبر ظل الأمر سراً . .

وسافر وزير الحربية إلى سوريا لمناقشة القرارمع القيادة السورية ، وبعد الموافقة على القرار تقرر أيضاً فى نفس الوقت تطبيق خطة الخداع . . خطة « ضباب الحرب » بنفس الضوابط التى تطبق بها فى الجبهة الغربية عند قناة السويس . .

وقد وضعت القيادة السورية خطة إخفاء قرار يوم « ى » وساعة « س » موضع التنفيذ بدقة . .

وروعى فى إبلاغ قرار ساعة « س » إلى القيادات المختلفة نفس القاعدة الخاصة بقرار يوم « ى » . .

وكان هناك من بين القادة من علم بالقرار قبل يوم « ى » بأسبوع ومن علم قبله بـ ٧٢ ساعة ومن قبل ٤٨ ساعة أو ٢٤ ساعة وهناك من لم يعلم بالقرار إلا قبل بدء الهجوم بساعات . . بل إن هناك من تم إبلاغه أثناء التحرك مباشرة . .

أما إخفاء نوايا القيادة المصرية والسورية من وراء حشد القوات على الجبهتين فقد تطلب خطوات أكثر تعقيداً مما احتاج إليه إخفاء قرارى يوم « ى » وساعة « س » .

وبالنسبة لسوريا . . فقد استدرجت القوات الجوية الإسرائيلية القوات السورية إلى معركة جوية فوق الساحل الشمالى لسوريا يوم ١٣ سبتمبر ، وكان حشد القوات السورية يمكن تبريره بالاستعداد لمواجهة أية نوايا إسرائيلية محتملة بعد هذه المعركة . . وفى نفس الوقت بدأت القوات المسلحة السورية موسم مناوراتها وبدأت القوات تحتشد للهجوم خلف هذين الساترين ، وسرعان ما أضافت الظروف ساتراً آخر جديداً بعد نجاح عملية اختطاف قطار المهاجرين بالنمسا وتوقع عدوان إسرائيلى رداً على نجاح الفدائيين . . وقد ابتلعت المخابرات الإسرائيلية الطعم . . ومعها القيادة الإسرائيلية بالكامل . .

وهنا فى مصر كان الأمر أكثر تعقيداً .

فقد عمدت القيادة المصرية إلى تسريب بعض الأنباء لتضليل العدو . . ونشر أول هذه الأخبار يوم ٤ أكتوبر عن سماح وزير الحربية للضباط وأفراد القوات المسلحة بأداء العمرة هذا العام .

« وافق الفريق أول أحمد إسماعيل وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة على السماح لضباط وأفراد القوات المسلحة بأداء العمرة هذا العام » .

وقد تحدد يوم الخميس القادم ١٥ رمضان المبارك كآخر موعد لتلقى طلبات الراغبين » .

وكان معنى هذا الخبر أنه إذا كانت القيادة العامة تسمح للضباط والجنود بأداء العمرة فإنه لن تكون هناك عمليات حربية . . . . وأن هذه الحشود والتحركات التى تجرى على

المسرح إنما هى للتدريب . . فقط لإجراء مناورات الخريف . . . أو على الأكثر كانت تعبيراً عـن القلق الدفاعى ولمواجهة أية اعتداءات إسرائيلية متوقعة بعد المعركة الجوية فى سماء سوريا يوم ١٣ سبتمبر واختطاف الفدائيين لقطار المهاجرين عند اجتيازه الحدود النمساوية قادماً من تشيكوسلوفاكيا يوم ٢٧ سبتمبر . . وبالتالى فليس لدى القيادة المصرية أية نوايا للهجوم . . وإلا ما سمحت للضباط والجنود بالقيام برحلات خارجية . .

* وأيضا سفر نائب رئيس الجمهورية ومعه وفد كبير للشرق الأقصى .
* وجود وزير الخارجية فى نيويورك .
* وجود ٦ وزراء فى الخارج .
* تسرب أخبار عن وصول معدات عسكرية فى منتصف عام ١٩٧٤ .

وتصاعدت القيادة بخطة خداع العدو وتضليله بتسريب نبأ كاذب آخر صباح يوم ٥ أكتوبر قبل بدء العمليات بيوم واحد ، وكان الخبر الجديد عن وصول وزير دفاع رومانيا إلى القاهرة صباح يوم الاثنين ٨ أكتوبر . .

« يصل إلى القاهرة صباح يوم الاثنين القادم الجنرال أيون أيونيفا وزير الدفاع الرومانى على رأس وفد عسكرى فى زيارة لمصر بدعوة من الفريق أحمد إسماعيل على وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة »

ويعنى هذا ببساطة أن وزير الحربية المصرى سيكون مشغولاً خلال الساعات القادمة بالاستعداد لاستقبال ضيفه ، ولن يجد وقتاً قبل الزيارة أو خلالها للنظر فى أمور أخرى . . خاصة إذا كانت إدارة وقيادة صراع عسكرى وعمليات حربية . . لن يكون فى مكنته أن يخوض حواراً بالدم والحديد والنار . .

كما لجأت القيادة إلى حشد القوات المسلحة تحت ستار إجراء مناورات الخريف . . وهذا هو موسم مناورات القوات المسلحة فعلاً . . أى أن المناورات تتم فى موعدها . .

ليس ذلك فقط ، بل لجأت القيادة العامة إلى خطة خداع العدو عن حقيقة الحشد العسكرى وتحركات القوات المسلحة . . كانت القيادة تدفع إلى الميدان بلواء فى الصباح وتعود لتسحب كتيبة منه ليلاً ، حتى تشعر العدو أن القوات التى ذهبت إلى الميدان

كانت فى إطار المناورات التى تتم . وأنها قد عادت مرة أخرى ، كانت تحركات الاستعداد تصحبها دائماً تحركات أخرى للخداع . .

وقد أعلنت القيادة العامة بين القوات المسلحة أن هناك مناورة ستبدأ صباح يوم أول أكتوبر وتستمر حتى السادس من أكتوبر .

وأصبح مفهوماً بالتالى لماذا استدعت القيادة عناصر من الاحتياطى . . وكان هذا الإعلان فى إطار خطة الخداع حتى إذا علم العدو باستدعاء الاحتياطى فإنه سيعلم فى نفس الوقت أن هناك مناورات تحدد لها موعد بداية ونهاية . . وكانت القيادة فى حاجة إلى استدعاء قوات احتياط وبأعداد كثيرة ، وقد كانت هذه القوات تستدعى للتمرين ابتداء من أول العام وبعد التمرين يتم إعادة الأفراد إلى مواقع عملهم ، دفعة فى إثر دفعة ، وعندما اقترب موعد القتال كان لابد من طلب دفعات كثيرة طبقاً لحاجة العمليات ودفعات أخرى لا تحتاج إليها القوات المسلحة حتى يمكن خداع العدو عند تسريحها . . ومع نهاية يوم ٤ أكتوبر أصدرت القيادة قراراً بتسريح هذه الدفعات التى تمثل ٥٠ ./° من الاحتياط الذين تم استدعاؤهم . . وراعت القيادة أن تكون هذه العناصر من بين المواطنين الذين يعملون فى مناطق التجمعات ، حتى ينتشر خبر تسريح الاحتياط . . وبالتالى يسود الاعتقاد بأنه ليس هناك شيء جدى يتم إعداده . . نفس الأسلوب الذى لجأت إليه القيادة الإسرائيلية قبل بداية جولة ١٩٦٧ . .

وكانت خطة الحشد تقتضى إخراج معدات وأسلحة من المخازن ، وقد أخرت القيادة العامة هذه الخطوة إلى آخر حد ممكن ، وهناك معدات كبارى وعبور تم إخراجها قبل بدء العمليات الحربية بـ ٤٨ ساعة فقط . لأن المعنى الوحيد لإخراج هذه المعدات والأسلحة من المخازن هو الإعداد لعملية هجومية . . وكان من المؤكد أن تلفت هذه المعدات نظر العدو . . وكان هذا كفيلاً بتنبيهه إلى حقيقة النوايا المصرية . . وعندما تقرر إخراج هذه المعدات صنعت لها صناديق خاصة حتى لا يشعر أحد أن اللوارى الضخمة التى تحملها لوارى هندسية ، كما أعدت لها حفر خاصة بجانب القناة لإخفائها فور وصولها ، وبعدها أخفيت الحفر والمعدات بشباك تمويه . .

ولم تكن عملية نقل الكبارى ومعدات العبور بمثل هذه السهولة . . وإذا عرفنا أن

نقل الكوبرى الواحد يحتاج إلى عدد يتراوح بين ١٣٨ و١٥٠ عربة نقل يمكننا تصور صعوبة إخفاء مثل هذه التحركات ، واحتاج الأمر إلى وضع خطة منفصلة فى إطار خطة الخداع لإخفاء حقيقة تحركات عربات نقل الكبارى ومعدات العبور .

كما أن مناطق إنشاء الكبارى يمكن للعدو تحديدها على امتداد قناة السويس وبالتالى فالقيادة توقعت أن ينشر عيونه حول هذه المناطق ، وكان على الخطة أن تواجه مثل هذا الاحتمال ، وإلا فإن الخطة كلها ستتعرض للاكتشاف ، فنقل مثل هذه المعدات وتحريكها من المخازن أومناطق التدريب معناه الوحيد فى حالة تمكن العدو من الرصد الاستعداد لعمليات عبور للقناة واقتراب موعد تنفيذها وتضمنت خطة تحريك الكبارى . . أن يتم إخراج جزء منها من مناطق التدريب ونقله إلى منطقة أخرى ولتكن مدينة فى وسط الدلتا ، وبعد أن يمضى ليلة فى هذه المدينة تتم إعادته مرة أخرى وهكذا . .

وبالتالى فإن عيون العدو ستقوم بالإبلاغ عن هذه التحركات . . كبارى أوأجزاء كبارى يتجه تحريكها فى كل أنحاء الدلتا . . بعدها بدأت القيادة فى تحريك هذه المعدات فى اتجاه القناة . . وتترك هناك جزءاً وتعود بالباق . .

واستمرت هذه المناورات حتى قبل بدء العمليات . . وخلالها تم تشوين كل الكبارى والمعدات والمعابر والقوارب التى تحتاج إليها القوات .

وراعت القيادة استمرار وجود بعض الكبارى فى مناطق التدريب واستمرار عمليات التدريب فى هذه المناطق ، كما هى حتى تتضمن تقارير الجواسيس ما يفيد استمرار عمليات التدريب .

وهنا تجدر الإشارة إلى واقعتين ، فقد تحركت عشرات من سيارات نقل سلاح المهندسين تحمل معدات العبور وأجزاء الكبارى فى الطريق إلى القطاع الشمالى للجبهة . وكانت السيارات تمضى فى الموعد المحدد لها على الطريق مضيئة أنوارها . والذين يعرفون المنطقة بعد الإسماعيلية يدركون أن المسافة تضيق بين القناة والطريق الزراعى بشكل يسمح بالرؤية بالعين المجردة . .

وظهور أكثر من مائتى سيارة نقل على الطريق كفيل بلفت نظر العدو المتيقظ على الضفة الأخرى . .

وقبل أن تصل السيارات مدينة الإسماعيلية سقط ضباب كثيف غطى المنطقة بالكامل. وتعذرت الرؤية ، ودخلت السيارات إلى المناطق المحددة لها واستطاع الرجال أن يضعوا المعدات فى الحفر والأماكن المخصصة لها دون لفت نظر العدو . .

وفى نطاق الحديث عن المهندسين فقد كان الموقف يتطلب شراء طلمبات توربينية من الخارج لاستخدامها فى إزالة الساتر الترابى وفتح الثغرات والممرات وقد أخرت القيادة هذه الخطوة حتى الأسابيع الأخيرة للعملية حتى لا تثير انتباه العدو . .

وقد استغلت القيادة العامة فترة إجراء المناورات لتدريب القوات المسلحة على تنفيذ خطة اقتحام القناة واجتياح خط بارليف . .

بدأت بتدريب الوحدات الصغرى فالوحدات فالتشكيلات . . طبقاً لأسلوب إجراء المناورات وكان الخوف أن يكتشف العدو إجراء التدريب النمطى للقوات فيدرك النوايا المصرية . . ولم يكن هناك حل آخر . . فلا بد من تدريب القوات . . ونتيجة للنجاح فى إخفاء نوايا القيادة العامة من الحشد العسكرى فشلت مصادر المعلومات الإسرائيلية فى معرفة خطة تدريب القوات المسلحة خلال هذه الفترة . .

وبالنسبة للمدفعية فقد كانت الصعوبة هى كيفية حشد هذا العدد الهائل من وحدات المدفعية دون لفت نظر العدو .

وفى إطار خطة الخداع التعبوى بدأت عملية تعويد العدو على دخول وخروج وحدات المدفعية إلى مواقعها المختلفة لترويضه على التحركات المستمرة ، وخلال هذه المرحلة تمت عملية التجميع للهجوم مع الاستفادة بالمواقع الهيكلية .

ولم يتنبه العدو لدخول المدافع إلى مواقعها خلال المرحلة الأخيرة من الاستعداد أو لتشوين الأطنان من الذخيرة التى تحتاجها المدافع فى مرابض النيران .

واستطاعت القوات الجوية أن تؤدى دورها فى خطة الخداع بكفاءة . .

استمر معدل طلعات التدريب كما هو واستمرت الدوريات الجوية تقلع من نفس القواعد وتسير فى نفس خط السير ، وقامت بأداء دورها فى المناورة التى تجريها القوات المسلحة .

وخلال هذه الفتره منعت القيادة الطيارين من مغادرة القواعد الجوية والمطارات

كإجراء تتطلبه المناورات التى تجرى . . وأخفت القيادة كل المعلومات عن العملية الجوية حتى الساعات الأخيرة . .

وصباح يوم ٦ أكتوبر أقلعت الطائرات لأداء البرنامج اليومى للتدريب وخرجت الدوريات الجوية فى نفس توقيتاتها السابقة . . وطبقاً «للتلقين» المسبق ، اتجهت الطائرات إلى القواعد الجوية والمطارات التى ستقلع منها لأداء واجبها المحدد فى العمليات ، وحافظت على تضليل العدو بالاتجاه إلى نفس القواعد التى أقلعت منها ، بعدها اتجهت إلى القواعد والمطارات المحددة لها فى الخطة بعيداً عن رقابة العدو الرادارية ، وحافظت على الصمت اللاسلكى حتى لا يكتشف العدو أماكنها الجديدة . . كما اتجهت طائرات الهليكوبتر إلى مناطق التحميل تحت ساتر المناورات ، بينما اتجهت أعداد أخرى منها إلى المناطق التى ستقلع منها للعمليات على ارتفاعات منخفضة حتى لا تتمكن رادارات العدو من اكتشاف تحركاتها . .

أما عن القوات البحرية فكان ضروريًّا أن تحتل الوحدات البحرية أماكن معينة فى البحر دون أن تؤدى حركاتها إلى كشف نوايا الحشود ، ولتحقيق هذا الغرض أعلنت القوات البحرية عن تنفيذ مناورتها السنوية مع مناورة القوات المسلحة لاختبار نتائج التدريب السنوى اختباراً فعلياً .

وتحركت الغواصات إلى مناطق تدريبها ومعها مظاريف مقفلة بها مهام العمليات الفعلية على ألا تفتح إلا بأمر خاص ، واتخذت المدمرات بالبحر الأحمر مواقعها أثناء إجراء زيارة لدول المنطقة الصديقة .

وفى وقت مناسب تم شحن الصواريخ وأعداد الألغام كأحد إجراءات التدريب الفعلى دون أن يدرى أحد أنها للعمليات .

وكان دور الدفاع الجوى فى خطة الخداع هاماً ، فقد كان عليه أن يمنع العدو من الطيران بحرية لاستطلاع أعمال قواتنا غرب القناة وبالتالى معرفة نوايانا أثناء حشد أو تحريك قواتنا واستعدادها لعمليات الهجوم .

وقد سيطرت قوات الدفاع الجوى على نطاق أمن شرق القناة لمنع طائرات العدو من الاقتراب حتى أقصى مسافة ممكنة .

لم يكن هذا فقط دور قوات الدفاع الجوى ، كانت هناك ضرورة رفع درجات الاستعداد فى كل مواقع الصواريخ مع تضليل العدو عن أماكن تمركز كتائب الصواريخ المضادة للطائرات وزرع عشرات من مواقع الصواريخ الهيكلية لتضليل العدو عن المواقع الحقيقية وقد استغلت القيادة فترة إجراء المناورات ، وتحت ساتر القلق الدفاعى لتحريك قواتها والمناورة بها بين القواعد المختلفة مع إنشاء عدة مواقع هيكلية قادرة على إرسال نبضات مشابهة للمواقع الحقيقية . . .

وكان النجاح الكبير لقوات الدفاع الجوى يتمثل فى قدرتها على إخفاء كل المعلومات عن الصواريخ الموجهة المضادة للطائرات من طرازى سام ٦ وسام ٧ وكانت مفاجأة العدو كبيرة عندما اكتشف وجود هذين السلاحين بعد تزايد حجم خسائره على مسرح العمليات .

هذا على مستوى الخداع الاستراتيجى .

وعلى المستوى التعبوى كان هناك خطة خداع من ٦٥ بنداً وكان يجب وضع هذه الخطة بدقة موضع التنفيذ ، فالحشد العسكرى المصرى والسورى قبل بدء العمليات دفع العدو إلى زيادة شراهته للحصول على المعلومات . كانت طلعات الاستطلاع الجوى تتم بمعدل كل يومين أو ثلاثة أيام بعد الحشد تحولت إلى طلعات يومية بالإضافة إلى زيادة نشاط نقاط الملاحظة وأبراج المراقبة . . .

وكان لابد قبل بدء العمليات أن تحتل الوحدات مراكز القيادة . . .

وتضمنت الخطة - خطة الخداع - أسلوب التغلب على هذه المشكلة . . . فقد استغلت المناورات التى تجريها القوات المسلحة فى مثل هذا الوقت من كل عام . . . وتحت شعار التدريب أصدرت القيادة تعليمات مكتوبة بالكامل وصدرت قرارات بتشكيل لجان محكمين ووثائق عمل هذه اللجان ، واتجهت كل القوات المسلحة للتدريب ، واحتلال مراكز القيادة .

وكان آخر يوم فى التدريب هو يوم ٦ أكتوبر .

وإذا كانت الخطة استطاعت أن تحقق خداع العدو استراتيجياً فى ميدان تحريك القوات من مناطق تمركزها فى اتجاه الجبهة وحشدها للقيام بالهجوم فقد كان الجانب الآخر هو ضرورة النجاح فى تحريك هذه القوات على امتداد الجبهة لاحتلال المناطق المناسبة

بالنسبة لكل القوات وتحقق هذا فى إطار خطة الخداع التعبوى . . .

بدأت القيادة الميدانية فى إدخال المدافع والدبابات وإخراجها . . . أى تحريك المدافع والدبابات بصفة مستمرة تحت ساتر القلق الدفاعى بعد عملية الهجوم الجوى على سوريا وتوقع ضربة من العدو بعد نجاح عملية الفدائيين باختطاف قطار النمسا مما ترتب عليه إغلاق معسكر « شوناو » .

هكذا توفر للتحركات والتجمعات ساتر التدريب والقلق الدفاعى . . .

وكانت هذه التحركات عملية مرهقة جداً . . . فهناك مئات من القطع الميكانيكية تتحرك باتساع الجبهة لتحقيق هدفين الحشد الحقيقى للعمليات وخداع العدو بتحركات مضللة . . .

وكانت هناك مشكلة إعداد ساحات ومنازل إسقاط المعابر البرمائية والمعديات تحت سمع وبصر العدو . .

فى هذه المناطق يقف العدو على مسافة عشرات الأمتار . . . وعمليات إعداد ساحات ومنازل إسقاط المعابر تحتاج إلى استخدام « الدبش والدقشوم » حتى تتحمل الأرض فى هذه المناطق مرور المعدات الثقيلة . . .

وكان من المحتمل أن العدو سيكتشف هذه العملية . . إذا تمت ليلا . . اكتشفها نهارا . . . وإذا تمت نهارا فهى تحت بصره وسمعه . . . وكان القرار إعداد ساحات ومساقط المعابر عبر امتداد المواجهة ١٧٣,٥ كيلو متر هى كل طول القناة . . .

نعم . . جهد زائد على الحد . . وتكاليف باهظة . . ولكن هذا هو الحل الوحيد لتضليل العدو عن الاتجاهات الحقيقية للعبور وتشتيت فكره وعدم قدرته على تركيز نيرانه فى اتجاهات محدودة . . .

جانب آخر . . أن الشركات المدنية هى التى كانت تقوم بأداء هذا العمل وكان لابد من استمرار عملها ومهندسيها فى العمل حتى الثانية الأخيرة . . لا الدقيقة الأخيرة حتى لا يتنبه العدو إلى توقف العمل . . ويمكنه استنتاج النوايا المصرية . . واستمرار المهندسين والعمال فى العمل فى هذه المناطق الخطرة أو المحفوفة بالخطر كان يعطى العدو إحساساً بالأمان . . فوجودهم هنا معناه أن الوقت مازال مبكراً للقيام بالهجوم . . . وكان مؤكداً أن

يشعر بعض الرجال . . مهندسين وعمال ، بما يجرى حولهم خاصة خلال الساعات الأخيرة . . فلم يكن وجودهم فى هذه المناطق مقصوراً على إعداد الساحات والمساقط فقط . . كانوا يعملون أيضًا فى إعداد ساتر ترابى على امتداد الضفة الغربية ومصاطب للدبابات فوق هذا الساتر ومرابض المدفعية . .

وتجدر الإشارة إلى عدة بنود من خطة الخداع لطرافتها

* كانت هناك ضرورة استمرار الحياة العادية اليومية داخل المواقع المصرية حتى لا ينتبه العدو إلى وجود تغيير ما فى نمط الحياة اليومى . . وقد خصصت القيادة جماعات « كل » واجبها « مص القصب » و « أكل البرتقال » وكان لها واجب آخر غير الخداع وهو الاستطلاع اليومى المكشوف لتحركات العدو ، وأن تستمر فى القيام بهذا الواجب حتى الساعة الثانية ظهراً . . كانت هناك جماعات فى كل وحدة وكل موقع . .

* ومثلما يحدث أحياناً اتجهت مجموعات من الرجال للسباحة فى القناة فى الساعة الواحدة ظهراً . . وكان هؤلاء الرجال يعرفون بالعمليات ، واختاروا أن يقوموا بهذا الواجب بفدائية وروح عالية لقبول المخاطر . . نزلوا إلى مياه القناة « بالمايوهات » وبدون سلاح وهم يعلمون أن النيران ستهدر بعد قليل . .

* كما أعطيت تعليمات للجنود بعدم « لبس الخوذ » قبل بدء الهجوم . . لماذا ؟

كانت القيادة قد قرأت تصريحاً للجنرال ديان يسخر فيه من المصريين بقوله إنه يستطيع أن يعلم أن القيادة المصرية قد رفعت درجة الاستعداد عندما يضع الجنود المصريون الخوذ فوق رؤوسهم . .

وبعد توزيع القوارب على الجنود قبل الهجوم بيوم . . خشيت القيادة أن يقوموا بنفخها قبل الموعد كنوع من الاستعداد المبكر . . فقامت بإجراء تجارب أمامهم توضح لهم أن صوت نفخ القارب يمكن سماعه من مسافة تتراوح بين ٨٠٠ ، ١٠٠٠ متر ، وبالتالى إذا كان العدو على مسافة ٢٠٠ متر فإنه سيتمكن من سماع أصوات نفخ القوارب ويستطيع أن يدرك دون حاجة إلى كثير من الذكاء أن قواتنا تستعد للهجوم . . وبالتالى فقد التزم كل الرجال بعدم نفخ القوارب حتى الدقائق الأخيرة . .

واستطاعت القوات التى اندفعت فى المساء لاحتلال الخنادق الأمامية أن تقضى الليل

فيها دون أن تحاول إخراج رؤوسها منّها حتى لا يتمكن العدو من اكتشافها ، وظلوا جميعاً فى هذا الموقف الصعب حتى الساعة الثانية ظهراً . . توقيت بدء العمليات . .

وامتدت خطة الخداع التعبوى لتشمل اتجاهات الهجوم . . فقد هجمت القوات المسلحة على مواجهة طولها ٢٠٠ كيلو متر ابتداء من بورسعيد وبور فؤاد شمالا حتى منطقة عيون موسى جنوبا . . .

لم يكن هناك مائة متر إلا وبها قوات تهاجم . .

كانت منطقة المواجهة الحقيقية لا تزيد على ٥٠ أو ٦٠ كيلو متراً . . وهى المنطقة المناسبة لعمليات فرق المشاة الخمس التى شكلت موجات الهجوم الأولى . . ومع هذا خططت القيادة لعمليات هجوم خداعية على باقى ال ٢٠٠ كيلو متر حتى لا يستطيع العدو معرفة اتجاهات الهجوم الحقيقية . . وفى نفس الوقت تمت عمليات إبرار جوى فى مناطق جنوب خليج السويس وفى عمق سيناء حتى مسافة ١٠٠ كيلومتر . . وفوق منطقة الساحل الشمالى . . وكان معنى هذا امتداد الهجوم إلى مسافة ٢٠٠ كيلومتر أخرى طولاً . . و ١٠٠ كيلومتر عمقـاً . .

وبجانب الأهداف العسكرية لهذا الانتشار بالقوات فقد كان يحقق إرباك العدو وتضليله عن اتجاهات الهجوم الرئيسية ، حتى تتمكن قواتنا من إنشاء رؤوس الجسور وإنشاء الكبارى والمعابر والمعديات خلال هذه الساعات الثمينة الغالية والحاسمة التى ستضيع من العدو حتى يستطيع أن يعلم أين – على وجه التحديد – يوجه ضرباته . . وإذا مرت هذه الساعات الحاسمة فلن يكون لدى العدو القدرة على حشد نيرانه فى مواجهة مناطق مؤثرة على الهجوم وسيتيح هذا فرصة لقواتنا لتواصل عملها بنجاح ودون تدخل مؤثر من العدو . .

ولمواجهة محاولات العدو للتدخل جواً ضد الكبارى ومناطق عبور القوات وضعت خطة معقدة للمناورة بالكبارى وتغيير محلاتها باستمرار حتى لا يتمكن العدو من التأثير بنيرانه عليها . . فبعد اكتشافه لمحلاتها ومحاولة الهجوم عليها بنيران المدفعية أو القوات الجوية تكون قد انتقلت إلى مناطق أخرى ولا يجد عند الهجوم سوى مياه القناة يلقى فيها بقنابله

وقذائفه . . وكانت هذه المرونة سبباً فى عدم قدرة نيران العدو خاصة القوات الجوية على التأثير على عملية اقتحام القناة .

• نعم كانت هناك إصابات لحقت ببعض الكبارى ولكنها كانت فى حدود « المتوقع والمقبول » أثناء عمليات حربية ضد عدو له مثل هذه السمعة الأسطورية .

يوم « ى »

وكان اختيار توقيت يوم « ى » يوم بدء العمليات الحربية عملا علمياً على مستوى رفيع سوف يدخل التاريخ العلمى للحروب كنموذج من نماذج الدقة المتناهية والبحث الأمين ، فقد كان المطلوب فى يوم « ى » :

* ليلة مقمرة يتصاعد فيها القمر مع القوات المصرية فى الساعات الحاسمة .
* ليلة يكون تيار القناة فيها مناسباً للعبور من ناحية السرعة .
* ليلة يكون عملنا فيها بعيداً عن توقعات العدو .
* ليلة لا يكون فيها العدو نفسه مستعداً للعمل . .

وهذه الميزات توفرت فى يوم ٦ أكتوبر . . فالحسابات الفلكية توضح :

* أن القمر ينمو فى أول الليل ثم يغيب فى آخره
* بعد دراسة تقارير هيئة قناة السويس لسنوات طويلة سبقت لحساب سرعة التيارات فى كل يوم من أيام السنة تبين أن يوم ٦ أكتوبر أكثرها مناسبة .
* كما أن السادس من أكتوبر يوافق العاشر من رمضان والعدو الذى درس عاداتنا يعرف عنا أننا لا نعمل خلال شهر رمضان ، وبالتالى لا يتوقع منا أن نعمل خاصة إذا كان العمل الذى يتوقعه هو القتال وبمعنى أدق الهجوم خلال هذا الشهر .
* كان العدو مشغولا خلال هذه الفترة بمناسبات مختلفة من بينها الانتخابات العامة التى تشد اهتمام الجميع .
* كان يوم ٦ أكتوبر يوافق يوم سبت وهو يوم الراحة الأسبوعية للاسرائيليين ، ليس ذلك فقط ، بل كان أيضاً يوم عيد الغفران . . أو عيد الكفارة « كيبور » وهو العاشر

من الشهر اليهودى تشرى وفيه تم تدمير هيكل سليمان ، أى أن العيد عيد قديم عند اليهود ، وزاد من أهميته استيلاء بختنصر على القدس فى نفس اليـــوم ويصوم فيه اليهود حوالى ٢٧ ساعة متوالية من قبيل غروب شمس التاسع من تشرى إلى ما بعد غروب العاشر منه ، ويحرصون على تمضية الوقت بالمعابد .

ساعة « س »

وقد ظل تحديد ساعة « س » ساعة الصفر موضوع مناقشة مع السوريين حتى أيام قبل بدء القتال . كان السوريون لعدة أسباب من بينها اتجاه الشمس معهم وضد العدو يفضلون العمل مع أول ضوء . . فى الفجر . .

وكان المصريون لعدة أسباب من بينها اتجاه الشمس وضرورات العبور ونصب الكبارى وفتح الطريق لدخول الدبابات والمعدات الثقيلة فى ظلام الليل يفضلون العمل فى آخر ضوء . فى المساء . .

وقد تحددت ساعة « س » فى اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم أول أكتوبر وسافر وزير الحربية المصرى إلى سوريا يوم ٢ أكتوبر ، وبعد دراسة تفصيلية صدق عليها الرئيس السورى تحددت الساعة الثانية بعد الظهر موعداً لساعة « س » .

كان هذا الموعد يحقق الكثير من المزايا للقوات المصرية المقاتلة ، فالشمس خلال هذا الوقت تكون خلف القوات المصرية وبالتالى تمكنها من رؤية أوضح وتكون فى مواجهة الإسرائيليين مما يقلل من وضوح الرؤية لديهم ، كانت الشمس تظاهر المصريين المهاجمين وتعوق عمل المدافعين . . كما أن الشمس تغيب بعد ثلاث ساعات وست وثلاثين دقيقة أى أن فترة الضوء ستكون قصيرة إلى درجة لا تسمح للقوات الجوية المعادية بالعمل بكفاءة للتأثير على سير الهجوم المصرى ، وفى نفس الوقت فإن هذا العامل سيحد من قدرة القوات الإسرائيلية على شن هجمات مضادة رئيسية ضد رؤوس الجسور المصرية . . وفى نفس الوقت سيكون الإظلام عاملا رئيسياً يعطى القوات المهاجمة الفرصة لإنشاء الكبارى والمعديات والمعابر ودفع المعدات الثقيلة والدبابات إلى الشرق لدعم رؤوس الجسور لمواجهة أية

هجمات مضادة كبيرة يمكن أن يقوم بها العدو صباح اليوم التالى . . كما أن وقت الظهيرة هو الوقت الذى يتوقع فيه العدو أن يكون أفراد القوات المصرية فى حالة كسل تام خاصة خلال أيام رمضان ، وبالتالى تضعف رقابته ويتضاءل حذره إلى الحد الأدنى . .

وكل المؤشرات السابقة تؤكد أنهم لازالوا أسرى دراستهم لعاداتنا وكان علينا أن نستفيد من هذا الموقف . . .

كما سيكون العدو خلال يوم عيد كيبور فى يوم عطلة ، وإذا شعر أن الوقت الذى يمكن أن نقوم فيه بأية أعمال عسكرية قد مر وليست هناك أية احتمالات لعمل عسكرى فإن التراخى سوف يسود كل الجبهة ، وكان علينا أن نستفيد من هذا الموقف . .

كما كان هذا التوقيت جديدًا ومبتكرًا فى التاريخ العسكرى . . لقد درج القادة على بدء عملياتهم الحربية إما عند أول ضوء . . أو عند آخر ضوء وكان التجديد الذى أضافته إسرائيل بدء هجومها يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ الساعة السابعة صباحاً ، الثامنة بتوقيت القاهرة الصيفى . . ولم يبتعد هذا التوقيت كثيراً عن أول ضوء . .

وكان اختيار ساعة « س » عاملا هاماً لتحقيق مفاجأة العدو واحتفاظ القوات المهاجمة بالمبادأة . . وكان عاملا مساعداً على تحقيق خطة خداع الحرب .

وفى ميدان المفاجأة التكتيكية اهتم قادة الجيشين والفرق بأسلوب تحقيق المفاجأة التكتيكية واستغلال أفكار العدو وتصوره لنا كجيش مسالم ومقاتلين حسنى النية . . ومؤسسة عسكرية أكاديمية الأسلوب لا تتمتع بالمرونة . .

ومع اقتراب ساعة « س » بدأ وضع خطة الخداع التكتيكى موضع التنفيذ طبقاً لظروف كل فرقة . .

وفى قطاع الفرقة الثانية المشاة استغلت منطقة مثالية تصلح لإنشاء كوبرى عند الكيلو ٧٤ . . فهو مكان طبيعى لإنشاء كوبرى ، وتقود مباشرة إلى الطريق الأوسط وتوجد بها طرق أسفلتية تخترقها من الجهتين .

وقبل بدء العمليات تم إعداد ساحة إسقاط ضخمة أمام هذه المنطقة وتم تمهيد الطريق أمامها بشكل جعل العدو يركز على رفع الساتر الترابى أمام هذه المنطقة لاعتقاده بأن القوات جادة فى إقامة كوبرى . .

واستغل القائد ابتلاع العدو للطعم فأجرى ملاحظات واستطلاع مهندسين ودرس حركة المياه فى القناة بهذه المنطقة من ناحية سرعة التيار ودرجة ميل الشاطئين والمد والجزر وأظهر أمام العدو فى هذه المنطقة أفراداً كثيرين .

وقبل المعركة بنصف ساعة أسقط كوبرى هيكلى ضخم وجذب هذا الكوبرى نيران مدفعية العدو البعيدة المدى وقوات العدو الجوية خلال أيام ٦ ، ٧ ، ٨ أكتوبر ، ولإتمام الخدعة واصلت وحدات المهندسين إصلاح الكوبرى كلما تعرض للدمار وواصلت عناصر من القوات العبور عليه حتى تم تدميره يوم ٨ أكتوبر بعد أن استطاع أن يجذب نيران العدو خلال الساعات الحاسمة وتكررت خطة إنشاء الكبارى الهيكلية على امتداد القناة فى المناطق التى يتوقعها العدو وبعيدًا عن الاتجاهات التى تقرر إقامة الكبارى الحقيقية عليها . . ونجحت هذه الكبارى فى تحقيق هدفها . . وفى نفس الوقت أقيم باقى الكبارى فى أماكنها وتدفقت عليها القوات خلال الليلة الأولى دون تدخل يذكر من جانب العدو .

وراعت بعض الفرق ترك إنشاء مصاطب الدبابات التى تواجه النقط القوية حتى المرحلة التى سبقت العمليات مباشرة . .

وقبل بدء العمليات تم فعلا إنشاء هذه المصاطب بارتفاع وحجم كبيرين يجعلها أعلى من النقط القوية والساتر الترابى الشرقى ، وكان من نتيجة ذلك أن رفع العدو الألغام من الساتر الترابى لتعليته وإقامة تجهيزات هندسية جديدة . . وبدأت المعركة . . . وبعض النقط القوية مثل الفردان والملاجئ بلا ألغام حولها . .

وقبل بدء العمليات قرر قائد الجيش الثانى الميدانى استخدام مركبات برمائية لعبور بحيرة التمساح سواء لمعاينة رأس الشاطئ جنوب الإسماعيلية أو رأس الشاطئ شمال الإسماعيلية ، وبالتحديد تقرر تحقيق المفاجأة باستخدام عبور المركبات البرمائية يوم ٢ أكتوبر وفعلا مع بدء العمليات كانت كتيبتان برمائيتان تعبران بحيرة التمساح . . إحداهما فى قطاع الفرقة الثانية شمالا والثانية فى قطاع الفرقة ١٦ مشاة . .

وقد نجحت الكتيبتان اللتان عبرتا قطاع الفرقة الثانية فى مفاجأة العدو وتمكين الفرقة من الاستيلاء على النقط الثلاث القوية فى منطقة بحيرة التمساح ولسان التمساح والملاجئ ونمرة ٦ .

ونجحت الكتيبة التى عبرت قطاع الفرقة ١٦ فى تأمين جانبها الأيسر ضد احتمالات الهجوم المدرع .

وبعد دهشة العدو أصدر بلاغًا فى الساعة الثانية والنصف يتضمن تدفق القوات المدرعة المصرية عبر سيناء اعتباراً من الساعة الثانية ظهراً .

لقد حقق الجيش الثانى هذه المفاجأة نتيجة صعوبة استخدام المركبات البرمائية عبر بحيرة التمساح وإجماع آراء الخبراء بما فيهم الإسرائيليون على هذا الرأى . .

كما كان العدو قد أقام حقل ألغام شرق البحيرة بعمق ٣٠٠ متر ومصاطب للدبابات وبرغم هذه المشاكل فإن هذه المنطقة كانت تشكل ثغرة فى خط بارليف وكان لابد من النجاح فى استغلالها .

ولجأت بعض الفرق إلى إقامة مراكز قيادة هيكلية وشبكات لاسلكية لها كل مواصفات مراكز القيادة الحقيقية مثل :

١ – محاور تمد بعناصر شرطة عسكرية
٢ – دفع عناصر استطلاع أمامها .
٣ – عناصر شرطة لفتح محاور التقدم وتمييزها بعلامات نهارًا وفوانيس ليلاً
٤ – وضع مركبات قيادة تقليدية دون استخدامها .
٥ – إدخال خطوط تليفونات عديدة لإرضاء لهفة العدو فى البحث عن مراكز القيادة لتدميرها . .

وواصلت هذه الفرقة إدارة المعركة من أماكن أخرى . .

وعند الاستعداد للهجوم تقف القوات فى أوضاع معينة وعلى مسافات معينة . . واختارت بعض الفرق الهجوم من أوضاع الدفاع دون تغيير لحرمان العدو من اكتشاف نوايا الهجوم المصرى وقرر البعض الآخر استغلال فترة المناورات المحلية وإدخال القوات إلى المسرح وإخراجها لاتخاذ أوضاع الهجوم دون إتاحة الفرصة للعدو لكى يعلم حقيقة ما يجرى .

واستغلت بعض الفرق المركبات البرمائية وناقلات الجنود البرمائية المدرعة فى نقل الجنود عبر القناة لتحقيق مفاجأة العدو وسرعة تدفق القوات .

وكان انحدار جانبى القناة الحاد والمكسى بالدبش وألواح الصلب يحول دون عبور المركبات البرمائية .

وكان القرار باستخدامها كقوارب لنقل القوات بين الضفتين فى رحلات متصلة عاملا لتحقيق المفاجأة التكتيكية .

استخدمت القوات المهاجمة معدات حديثة للتشويش على العدو والتدخل فى شبكاته اللاسلكية لتحقيق المفأجاة التكتيكية .

وكان ذلك فى إطار الحرب الإلكترونية ، فلم يكن العدو يتوقع أو يعلم مدى كفاءة الأجهزة الموجودة بالقوات المسلحة وقدرة الرجال على استخدامها .

نعم ، دعا ذلك إسرائيل إلى الحصول على معدات أحدث ، إلا أن المفاجأة خلال المراحل الأولى للحرب حققت أهدافها تماماً :

كيف ابتلعوا الطعم ؟ :

والسؤال الآن . . كيف ابتلعت القيادة الإسرائيلية الطعم ؟ وكيف لم تستطع برغم كل الإمكانيات والخبرة المتوفرة لديها أن تدرك حقيقة النوايا المصرية السورية ؟ . .

وبرغم كل المحاولات التى تبذلها إسرائيل الآن ومعها بعض المصادر الخارجية لكى تقول للعالم إنها « كانت تعرف ولكنها انتظرت » لكى لا تكون البادئة بالعدوان . . فإن الأمر المؤكد هو أن إسرائيل ابتلعت الطعم كاملا . . وأنها قد فوجئت تماماً بالهجوم المصرى السورى المنسق . . فوجئت استراتيجياً وفوجئت تعبوياً . .

نعم استطاعت القيادة الإسرائيلية فى الساعة الرابعة والعشرين أن تخرج ببعض . الاستنتاجات عن هجوم مصرى سورى . . ولكن كان الوقت متأخراً للإقدام على أى عمل فعال . .

ويقينا علمت القيادة العسكرية الإسرائيلية أن الهجوم المصرى آت بعد ساعات وذلك فى الساعة الخامسه صباح يوم السبت السادس من أكتوبر . . واجتمعت القيادة الإسرائيلية فى تل أبيب لمناقشة الموقف وتقرر إبلاغ القيادة الجنوبية فى بئر سبع للاستعداد لصد الهجوم ، وكان من الطبيعى فى جيش عصرى له شبكات مواصلات جيدة جداً أن يصل

الأمر بعد ثوان من بئر سبع إلى قيادات سيناء الشمالية والوسطى والجنوبية ومنها إلى كل الوحدات فى سيناء والنقاط الحصينة على امتداد قناة السويس ولكن الذى حدث أن الأمر لم يخرج من القيادة الجنوبية فى بئر سبع . .

وعند البحث عن إجابة كيف استطاعت القيادة المصرية أن تضبط القيادة الإسرائيلية وقد « نشرت غسيلها على خطوط الجولان وبارليف » وأن تفاجئها تماماً . . فمن الأفضل أن نعود إلى الخلف قليلا إلى عام ١٩٦٧ . .

فبعد نجاح حرب الأيام السته تملك الإسرائيليين إحساس بالزهو والغطرسة كما اعترفوا هم أنفسهم . . . فقد كانوا على مسافة ساعتين زمنياً من دمشق وثلاث ساعات من القاهرة ، وبالتالى لم يكن هناك أحد فى القيادة الإسرائيلية السياسية أو العسكرية يمكنه أن يتوقع أن تتحول هذه القوات التى لقيت الهزيمة عام ١٩٦٧ إلى الهجوم . . لم يحمل أحد حشد القوات المصرية والسورية للهجوم محمل الجد . .

وليس هذا هو الاعتبار الوحيد هناك اعتبارات أخرى . .

فالجيش الإسرائيلى والقيادة الإسرائيلية عاشا انتصارات متوالية منذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٧ . . واستطاعت إسرائيل أن تلاحظ بوضوح أن أداء القوات العربية خاصة المصرية . . يزداد سوءاً باستمرار . . . فالجيش المصرى قاتل عام ١٩٤٨ أفضل مما قاتل عام ١٩٥٦ . . وقاتل عام ١٩٥٦ أفضل مما قاتل عام ١٩٦٧ .

وخلال هذه السنوات حاولت إسرائيل أن تزرع فينا مشاعر الهزيمة . . وخاصة فى أفراد القوات المسلحة . . . أى زرع النزوع إلى الفزع والخوف عند مواجهة القوات الإسرائيلية . . واستغلت إسرائيل انتصاراتها المتواصلة . . وقدرة جيشها على البطش باستمرار. واستغلت آلاف الأسرى الذين وقعوا فى أيديها خلال هذه الحروب . . وشنت حملات متواصلة لتأكيد هذه المفاهيم فى أذهاننا . . وفى أعماقنا . .

وقبل عام ١٩٧٣ . . أى خلال الفترة منذ عام ١٩٦٧ حتى أكتوبر ١٩٧٣ تصورت أنها قد نجحت فى تحقيق هدفها . .

وبالتالى فقد كانت القيادة الإسرائيلية على يقين أن القوات العربية خاصة قوات دول المواجهة لن تهاجم وإذا هاجمت فسوف تتمكن من سحقها خلال ساعات . .

إن الجيوش دائماً تستفيد من التاريخ العسكرى . . ومع هذا فهى تقع أسيرة آخر معارك تنتصر فيها . . وتتعلم بشكل مفرط دروس آخر حرب خاضتها . . ولم يشذ الجيش الإسرائيلى عن القاعدة . .

لقد وقع الجيش الإسرائيلى أسير اعتقاده بأن الجيوش العربية – خاصة الجيش المصرى – لا يمكنها أن تقاتل . . وإذا قاتلت فسرعان ما تنهار . .

كما وقع أسير اعتقاده بأن العرب والمصريين لا يمكنهم استيعاب معدات الحرب الحديثة والمعقدة . . وتصورت القيادة الإسرائيلية أن فجوة التفوق العلمى والتكنولوجى ستظل كما هى لصالح إسرائيل . . وبالتالى فإن الجيوش العربية لن تستطيع أن تخوض حرباً حديثة بكل تحدياتها . . وفات القيادة الإسرائيلية أن تدرك أن التقدم العلمى والتكنولوجى ليس حكراً لها . . بنفس القدر الذى غضت فيه البصر عن كفاءة الجندى المصرى وبسالته وفدائيته وعناده ، كما وضحت فى ميدان القتال من خلال معارك على المستوى التكتيكى استطاع أن يؤكد فيها ذاته . . .

ولم يكن لدى الجيش المنتصر والقيادة المنتصرة أن تلقى بالا إلى مثل هذه المعارك ونتائجها . .

وهناك أيضاً العوامل الداخلية للمجتمع الإسرائيلى . . فقد كانت إسرائيل تشهد استعداداً محموماً لمعركة انتخابية عامة بلغ الصراع فيها مداه بين حزب العمل ومجموعة « ليكود » اليمينية . . بالإضافة إلى الصراع بين الأجنحة المختلفة داخل حزب العمل . . وكل الحكومات تقع – قبل الانتخابات العامة – تحت ضغط هائل للتقدم ببرنامج انتخابى يقوم على السلام والرخاء ، وكان من الواضح أن الحكومة الإسرائيلية إذا لم يتأكد لها نية هجوم مصرى أو عربى وشيك فلن تلجأ إلى إعلان التعبئة العامة . . فمثل هذا الإعلان يكلف الخزانة الإسرائيلية أكثر من ٤,٥ ملايين جنيه ، مع ما يمثله من بعد عن السلام والرخاء وهما عاملان أساسيان فى نجاح الحملة الانتخابية .

وقد كانت حالة التأهب التى سبقت هجوم الجيش المصرى هى الرابعة – خلال عام ١٩٧٣ – وكانت ثانى أعلى حالات التأهب خلال نفس العام وكانت أعلى حالات التأهب فى يونية من نفس العام . . فى هذا الوقت أعلنت الحكومة الإسرائيلية حالة التأهب وخسرت

الخزانة ٤,٥ ملايين جنيه . . وكان من الواضح هذه المرة ضرورة تجنب تعبئة الاحتياطى قبل الانتخابات وفى يوم الغفران بالذات . .

وطوال السنوات السابقة منذ تولى الرئيس السادات السلطة وإسرائيل تسمع كثيراً من التهديدات باستئناف القتال . . وفى كل مرة لا تسفر هذه التهديدات عن شىء حقيقى ، حتى ألفت إسرائيل مثل هذه التهديدات التى كانت فى معظم الأحيان مصحوبة بتحركات عسكرية وبالتالى تعودت إسرائيل على مواجهة هذه المواقف وهى على يقين من عدم جديتها .

ومرة أخرى يمكن القول إن القيادة المصرية لعبت بمهارة على نقاط الضعف فى القيادتين السياسية والعسكرية فى إسرائيل . . . واستطاعت بالتخطيط أن تواجه كل احتمالات الكشف عن نواياها الحقيقية . . واستطاعت أن تحقق المفاجأتين الاستراتيجية والتعبوية لكلا القيادتين السياسية والعسكرية فى إسرائيل .

وابتلعت إسرائيل الطعم . .

لقد رأوا ولم يفهموا . .

وكان الخطأ . .

التخطيط والاستعداد

واجهت القوات المصرية المسلحة معركة من أصعب معارك التاريخ ، وليست هذه صيغة مبالغة وإنما هى وصف حقيقة .

وعلينا أن نتمثل أمامنا طبيعة الأرض التى وجد الجيش المصرى نفسه أمامها ، ثم ما أقامه العدو من مواقع على هذه الأرض استغلالا لطبيعتها .

وسنجد معالم الصورة تطالعنا على النحو التالى :

١ – مانع مائى خطير هو قناة السويس .

٢ – كثبان رملية على شاطئها الشرقى مباشرة تجمعت وتراكمت بالظروف الطبيعية ، ثم أضافت إليها عمليات التطهير المستمرة فى قناة السويس كثباناً أخرى ، وكانت دائماً

تلقى بقاياها على الناحية الأخرى ، وعلى هذه الكثبان أقام العدو خطه الدفاعى الأمامى على حافة الماء مباشرة .

٣ – منطقة رمال مفتوحة بعد ذلك ولكنها محاصرة بين شاطئ القناة وبين بداية المرتفعات نحو منطقة المضايق المتحكمة فى سيناء والتى لا تبعد عن القناة نفسها كثيراً .

٤ – منطقة المضايق نفسها وهى طبيعة صخرية شديدة الوعورة وعليها أقام العدو خطه الدفاعى الثانى .

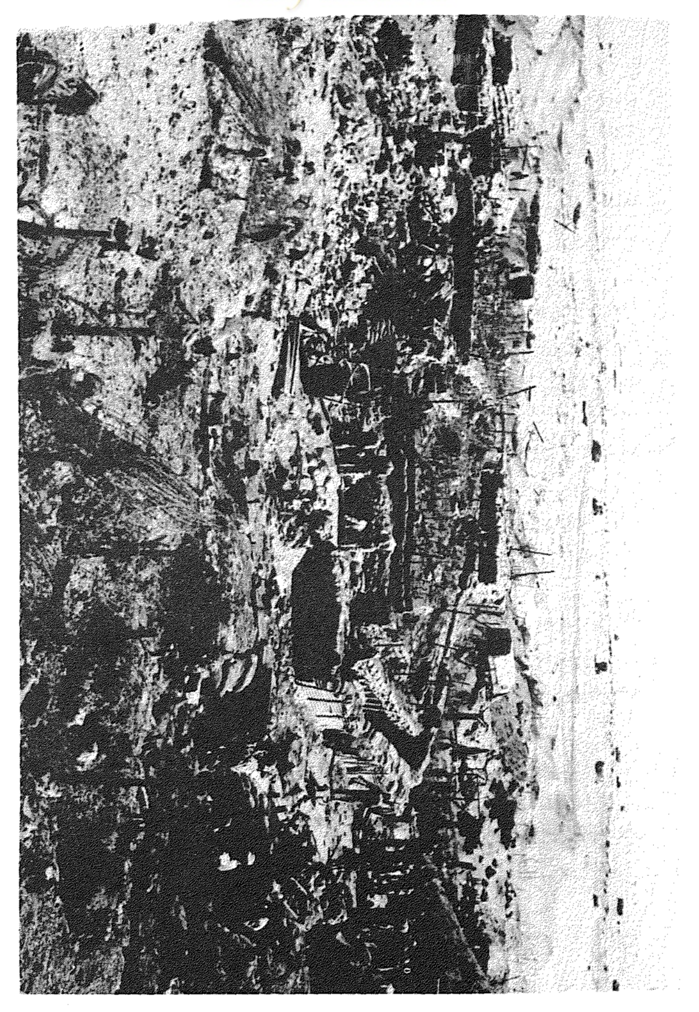
٥ – الصحراء المكشوفة حول منطقة المضايق وما وراءها بما تقدمه من فرص مواتية لعدو يعتمد كثيراً على الطيران .

ومن هنا فإن ثقات العسكريين فى الغرب وفى الشرق يعتبرون مجرى قناة السويس واحداً من أهم الخطوط الدفاعية الطبيعية فى العالم من حيث كونه مانعاً ضخماً أمام المدافع وعائقاً ضخماً بنفس المقدار أمام المهاجم .

وقد واجه المخطط العسكرى المصرى عدة عقبات عند التخطيط للهجوم ، وكان ضرورياً التغلب على هذه العقبات وفى نفس الوقت فإن مواجهة هذه العقبات كان يحتاج إلى إمكانيات ضخمة ، ولم يكن لدى الجيش المصرى مثل هذه الإمكانيات ، فمصر تستورد السلاح والمعدات والذخائر وبالتالى فإن على المخطط العسكرى أن يضع فى اعتباره الإمكانيات المتوفرة ، وكان هذا يجعل الأمر أمامه أكثر صعوبة . . وهذه العقبات تتمثل فى :

قناة السويس :

مجرى مائى يمتد على خط مستقيم بين البحر الأبيض المتوسط شمالاً والبحر الأحمر جنوباً ، لا يتعرج مجراه ولا يدور ، لا يرتفع منسوب الماء فى مكان أو ينخفض فى مكان آخر ، إنما هو مستوى واحد على طول الخط الذى رسم وشق وسط الصحراء ، وليس هناك فوق هذا المجرى جسر أو معبر واحد . . ويبلغ إجمالى طول القناة حوالى ١٧٣,٥ كيلو مترًا ويدخل ضمن هذا الطول ٤٠ كيلو متراً طول المسطحات المائية لبحيرات التمساح والبحيرات المرة الكبرى والبحيرات المرة الصغرى ويتراوح عرضها بين ١٨٠ ، ٢٢٠ متراً ، ويتراوح العمق بين ١٤ ، ١٧ متراً .



وتبلغ سرعة التيار فى المتوسط ٤٠ سنتيمتراً فى الثانية بينما تصل فى القطاع الشمالى حوالى ١٨ متراً فى الدقيقة وإلى ٩٠ متراً فى الدقيقة فى القطاع الجنوبى بالقرب من مدينة السويس .

ويتغير اتجاه التيار ٤ مرات يومياً ، وتتأثر القناة بحركة المد والجزر حيث تبلغ أقصاها فى الجنوب عندما يصل ارتفاع الماء إلى أكثر من ١,٥ متر فى حين يبلغ ارتفاع المد فى القطاع الشمالى ٦ سنتيمترات .

كل هذه الأرقام تؤكد عدة حقائق منها أن حركة المد والجزر تؤثر على عملية إقامة الكبارى والمعديات ، وكان لابد أن يراعى التخطيط العسكرى للهجوم ذلك بإجراء الدراسات لاختيار أنسب أوقات السنة وأيامها والساعة التى تحقق أفضل توقيت للعبور حتى لا يأتى المد فيدمر الكبارى ويعطل حركة المعديات وحتى لا تتوقف حركة تدفق الدبابات والأسلحة الثقيلة عندما يهبط منسوب الماء نتيجة الجزر ويتعذر على المركبات الوصول إلى بداية الكبارى أو المعديات . .

وتتراوح ميول جانبى المقطع المائى من ٢,٥ : ١ ، ٢ : ١ إلى ٤ / ١ ، ٤,٥ : ١ .

وهناك على جانبى القناة تكسيات حجرية فى أعلى المقطع المائى بالإضافة إلى ستائر معدنية رأسية على امتداد مسافات طويلة على جانبى القناة .

وانحدار الشاطئ « وتدبيشه » يعوق المركبات البرمائية عند محاولة النزول إلى الماء أو الصعود منه ، ويحتاج إلى تجهيزات هندسية مسبقة .

ولا يشترك مع قناة السويس فى هذه الصفة سوى عدد محدود من القنوات الصناعية أهمها قناة بنما .

خط بارليف :

عندما وصلت إسرائيل بقواتها على الجبهة المصرية إلى مانع طبيعى توقفت عنده وهو قناة السويس ، وقبعت تنتظر استسلام مصر وتعد فترة انتظارها بالأيام . .

ولكن الانتظار طال . .

ومصر لا تستسلم بل تبنى جيشاً أقوى من جيشها الذى دمر فى معارك الأيام الستة

السوداء من سنة ١٩٦٧ ، وهدف هذا الجيش واضح ومحدد . . العودة إلى الأرض المحتلة .

ومع تزايد مقدرة هذا الجيش ونمو طاقاته الهجومية ، وكانت إسرائيل تحس بها أثناء اشتباكات المدفعية وعمليات العبور ، فإن المسئولين فى القيادة العسكرية الإسرائيلية بدأوا يواجهون السؤال الحرج :

ماذا نفعل ؟

وكان أمام القيادة الإسرائيلية عدة اختيارات :

١ – أن تحشد من ناحيتها أمام هذا الجيش ما يردعه عن الحركة ، ولكن الحشد معناه التعبئة العامة أو التعبئة الجزئية والبقاء لوقت طويل فى انتظار مفاجآت المعركة وهو وضع لا تطيقه إسرائيل بسبب ظروفها البشرية المحدودة ، فهى لا تستطيع أن تستبقى فى سيناء ربع مليون أو حتى مائة وخمسين ألفاً من المقاتلين .

يعنى ذلك أن مزارعها ومصانعها سوف تتأثر وتعانى إلى يوم لا يمكن تحديده . .

٢ – أن تحشد إسرائيل من ناحيتها ولا تنتظر وإنما تعبر القناة وتهاجم وتتقدم بقواتها نحو القاهرة ، لكن هذا الاحتمال بدا بالغ الصعوبة لأن عملية اختراق الجبهة المصرية مع وجود جيش مصرى بحجم الجيش الموجود فيها وفاعليته يمكن أن يكون مجازفة مخيفة كما أن تقدم الجيش الإسرائيلى فى بحر الكثافة السكانية المصرى – على فرض نجاح الاختراق –يمكن أن يشكل خطورة حقيقية .

٣ – أن تظل إسرائيل بقواتها التى كانت فى سيناء كما هى ، على أن تحميها بخط من التحصينات الدفاعية ، مهمته عرقلة أى هجوم مصرى محتمل وتكبيده خسائر عالية فى المرحلة الأولى منه ، بينما تكون إسرائيل فى يومين أو ثلاثة قد دفعت بمجموعة جيشها الرئيسية إلى القناة بعد أن تتمكن من تعبئة قواتها لتوجيهها إلى المعركة الحاسمة .

واختارت إسرائيل الحل الأخير وبدأت تبنى هذا الخط من التحصينات الذى عرف باسم « خط بارليف » نسبة إلى رئيس الأركان الإسرائيلى خلال هذه الفترة « حاييم بارليف » الذى كان يحبذ هذا الحل .

وعلى حافة الماء مباشرة أقام العدو مواقعه الحصينة تعزيزاً لدور المانع الطبيعى الأول وهو قناة السويس ، . .

واعتمد العدو على الحواسب الإلكترونية لاختيار المناطق التى تقام عليها المواقع وأفضل التصميمات الهندسية لإنشائها . .

بالطبع لا يستطيع العدو أن ينشئ مئات المواقع على امتداد كل القناة لأنه يعلم أن هناك مناطق تصلح للعبور ومناطق أخرى يحتمل أن يتم منها العبور ومناطق غير صالحة . .

وبعد إعطاء كل المعلومات للحواسب الالكترونية عن طول القناة وطبيعة الضفتين وانتشار القوات وأساليبها القتالية وقدرة الجيش المصرى على التخطيط والإعداد والقتال والصلاحيات المختلفة للمناطق المختلفة على امتداد القناة جاءت النتيجة بأنه يمكن إقامة ٣٠ موقعاً حصيناً على المناطق المتحكمة على امتداد القناة مع تحديد هذه المناطق ، هكذا اختاروا – بالحساب العلمى – أفضل المواقع ، وبقى أن يختاروا أفضل التصميمات الهندسية لهذه المواقع ، وللمرة الثانية تعطى معلومات للحواسب الإلكترونية لاختيار أفضل التصميمات الهندسية لهذه المواقع لحماية القوات الإسرائيلية وصد الهجمات .

كان تصور القيادة الإسرائيلية فى هذه الفترة أنه عند محاولة المصريين العبور واقتحام القناة فإن ميدان المعركة الرئيسى سيكون فى منطقة الرمال المحصورة بين الضفة الشرقية للقناة والممرات الثلاثة متلا جنوبًاوالجدى فى القطاع الأوسط والختمية فى القطاع الشمالى . كان التخطيط حصر القوات المصرية بين شاطئ القناة والمنطقة الجبلية شرق خط المضايق والقضاء عليها بالقوات الجوية أساساً تعاونها المدرعات والمشاة الميكانيكية .

كانت مهمة خط بارليف فى تلك المرحلة منع أى عبور مصرى لاقتحام القناة .

واستوعب المهندسون العسكريون الإسرائيليون هذا التصور عند تزويد الحواسب الإلكترونية بالمعادلات المختلفة . .

وتم إعداد تصميمات المواقع المختلفة التى تقرر إنشاؤها . . هكذا اختيرت أفضل المواقع وأفضل التصميمات . وكان لابد للحاسب العلمى من مهمة أخرى : وهى اختيار أفضل الأسلحة . . وللمرة الثالثة يتم استشارة الحواسب الإلكترونية لاختيار الأسلحة المناسبة التى يمكن تزويد هذه المواقع بها والحجم الأمثل للقوة التى يمكنها العمل من هذه المواقع مع توفير أكبر قدر من الأمان والراحة والرفاهية لهم . . وتحقيق أكبر قدر من تنسيق التعاون بين المواقع المختلفة وبين هذه المواقع والقيادات سواء فى سيناء أو فى إسرائيل .

ورصدت إسرائيل عشرات الملايين من ميزانيتها لإنشاء هذا الخط . .

وبدأت فى تنفيذ هذا المشروع خلال فترة وقف إطلاق النار . . وبعد معركة رأس العش فى أول يونيو ١٩٦٧ والهجوم الجوى المصرى فى ١٥ يوليو وإغراق المدمرة إيلات فى ٢١ أكتوبر من نفس العام . .

وبعد كسر وقف إطلاق النار وبدء معارك الاستنزاف هدرت نيران المدفعية المصرية طوال عامى ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ واستطاعت أن تشل هذا الخط من الحصون وتفك تماسكه .

وتوقف إطلاق النار مرة أخرى يوم ٨ أغسطس عام ١٩٧٠ . . ولكن . . كانت القوات المصرية قد بدأت فى بناء شبكة الصواريخ . . وقبل أيام من وقف إطلاق النار شهدت الجبهة ما سمى بعد ذلك بأسبوع تساقط الطائرات فى الفترة من ٣ يوليو حتى ٨ أغسطس وخلاله خسرت إسرائيل طبقاً للبيانات المصرية ١٦ طائرة ، وإن كانت المصادر الغربية المحايدة بعد ذلك أكدت أن إسرائيل خسرت خلال هذه الفترة ٥١ طائرة دمرت منها ١٧ طائرة وأصيبت ٣٤ . .

وكان طبيعياً أن يتم استكمال بناء حائط الصواريخ بعد وقف إطلاق النار . .

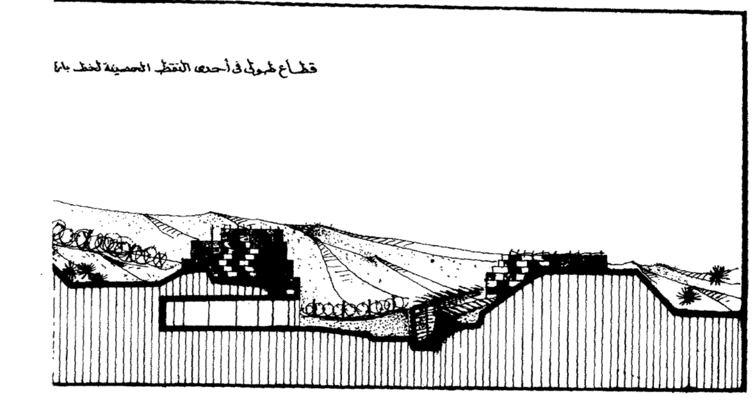
وواجهت إسرائيل خلال هذه الفترة مشكلة إعادة بناء خط بارليف . . ومشكلة إعادة البناء تحت ظل وجود شبكة الصواريخ المصرية . . وكان طبيعيًا أن يتغير التصور الاستراتيجى للقيادة الإسرائيلية بعد بناء شبكة الصواريخ القادرة على شل فاعلية القوات الجوية العاملة فى نطاق مرامى نيرانها . . وغيرت إسرائيل تخطيطها للمعركة القادمة . . لأن مدى عمل الصواريخ المصرية يمكنه أن يغطى المنطقة المحصورة بين شرق القناة والمضايق ويجعل عمل الطيران فوقها محفوفاً بالمخاطر . . وأصبح قرارها طبقًا لتقدير خبراء مراكز الدراسات العسكرية فى عواصم الغرب أن تكون المعركة الكبرى ضد قوات العبور المصرية على حافة الماء مباشرة بواسطة المواقع الحصينة لخط بارليف وعناصر المدرعات خلف هذه التحصينات . . ومصادر النيران المتمكنة فى الخلف والقادرة على سحق أية محاولة لاقتحام القناة واصطياد بقية القوات المصرية التى قد تتمكن من الوصول إلى شرق خط بارليف . . نقل العدو مسئولية العمل فى هذه المنطقة من الطيران إلى المدرعات . . وأصبح قراره أن يوجه الصدمة الأولى ضد قوات العبور المصرية من خط التحصينات على حافة القناة ، وطبقاً للتصور

الجديد فستكون هذه التحصينات بمثابة مصفاة ، وما ينفذ منها تتلقاه قوات المدرعات فى المنطقة المفتوحة المحصورة بين الكثبان الرملية المطلة على حافة القناة وبين بداية المرتفعات فى الطريق إلى المضايق .

فى مرحلة سابقة كان العدو إذن يريد هذه المنطقة مسرحاً لعربدة طيرانه ضد قوات أى عبور مصرى ، لكنه عاد بعد إتمام شبكة الصواريخ وغير تخطيطه . . ومرة أخرى أعاد العدو بناء خط بارليف وفق التصور الجديد للمعركة . .

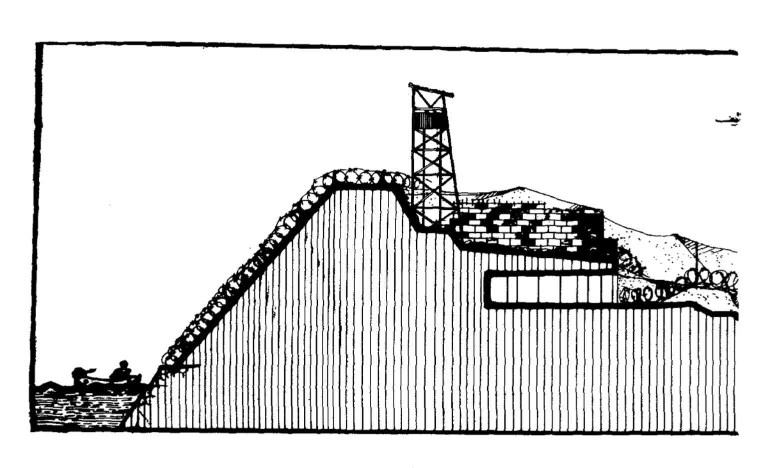
وبدأت عملية البناء الجديدة باستشارة الحواسب الإلكترونية من جديد حتى لا يكون هناك احتمال واحد للخطأ فيما لو اعتمدت القيادة الإسرائيلية على العنصر البشرى فقط لإعداد الدراسات الأفضل واختيار التصميم الأنسب . .

وأنفقت إسرائيل خلال ٦ أشهر طبقاً لتقديرات مراكز الدراسات العسكرية فى عواصم الغرب ما يزيد على ٢٠٠ مليون جنيه إسرائيلى – أى ٧٠ مليون جنيه استرلينى – لإعادة بناء خط بارليف لكى يواجه التغير الذى أحدثه نمو غابة الصواريخ المصرية فجأة غرب القناة .



ولم تكن هذه هى النهاية فإن القيادة الإسرائيلية كانت تدرك أن الخطوط الدفاعية التى عرفها التاريخ العسكرى لم تنجح فى وقف المهاجمين أبداً . . ربما أعاقت حركتهم . . ولكنها لم تنجح فى صدهم . . وأمامها درس التاريخ ابتداء من خط « فردان » خارج « كردون » باريس خلال الحرب العالمية الأولى . . بعدها خط « ماند هايم » على الحدود الفنلندية مع الاتحاد السوفييتى ثم خط « ماجينو » الفرنسى على الحدود الألمانية وخط « ميربت » الذى أقامه الألمان فى شمال أفريقيا وخط « سيجفريد » الذى أقاموه على امتداد حدودهم مع فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية . .

ومع هذا تصوروا أنه يمكنهم بناء الخط الذى يسد كل الثغرات فى تجارب الخطوط الدفاعية السابقة ، وكانت تصوراتهم تؤكد لهم أن العلم والإمكانيات خلال هذا العصر يمكنهما تحقيق مثل هذا الخط الأسطورة الذى يستحيل اختراقه . . ولم يكن الخط كما أرادوا خطاً دفاعياً يعوق المهاجم وحسب ، بل يمكن من دحر أى هجوم وتدميره قبل أن يتمكن من اجتيازه . .

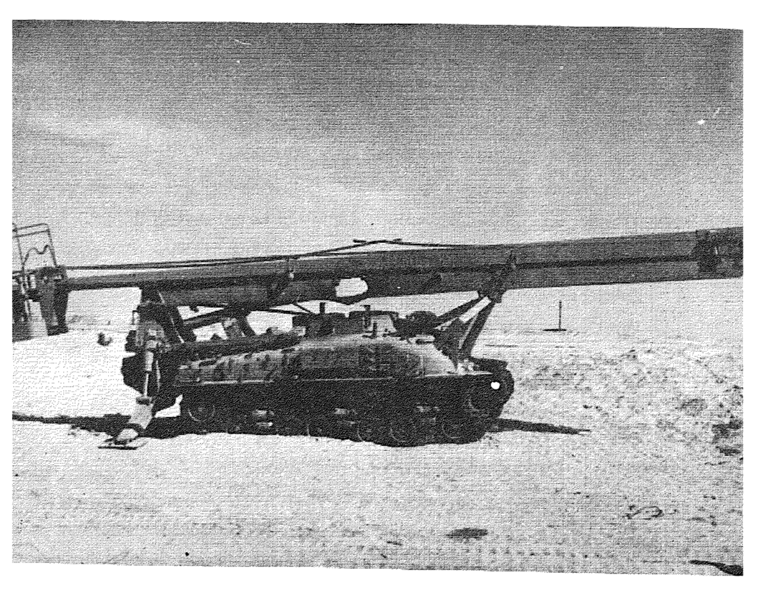


وكان على الحواسب الإلكترونية والذكاء البشرى أن يتعاونا معاً فى تشييد مثل هذا الخط الخرافى .

وفعلا كان الخط كما تم إنشاؤه بعد ذلك خطاً فريداً فى نوعه لم يشهد له التاريخ مثيلا ، كان خطاً منيعًا بكل المقاييس العسكرية والهندسية ، ولم يكن ممكناً طبقاً للحسابات العلمية اجتياحه . . وإذا وضع الخبراء العسكريون فى اعتبارهم أن الجيش المصرى هو الذى عليه أن يواجه هذا الخط فإن أحداً منهم لم يكن يطوف بخياله آنذاك أن هذا الاحتمال ممكن الحدوث ولو بنسبة محدودة .

وإذا أردت أن نتحدث عن الخط المنيع بعد إنشائه فهو خط من نقط حصينة تم إنشاؤها فى المناطق المتحكمة على المحاور الرئيسية لسيناء فى المناطق الصالحة للعبور ويصل بينها ساتر ترابى بمصاطب الدبابات . ثم إن هذا الخط يرتكز على المانع المائى لقناة السويس ويحتل الأماكن المتحكمة بنقط حصينة متعاونة بالنيران بغرض تدمير القوات التى يتم حشدها فى المنطقة الابتدائية للهجوم وأثناء تقدمها واقتحامها للقناة بواسطة قوات محدودة ، مع توفير درجة وقاية عالية ضد قنابل الطيران وقذائف المدفعية وتزويدها بمستويات اكتفاء ذاتى لمدة شهر على الأقل . .

وقد استغل العدو ركامات الطمى الناتجة عن حفر وتوسيع القناة الموجودة بصورة غير متصلة على الضفة الشرقية بارتفاع بين ٦ ، ٨ أمتار فى القطاع من بورسعيد حتى شمال البحيرات وبارتفاع من ٨ إلى ١٠ أمتار فى القطاع من جنوب البحيرات حتى السويس ، فقام برفع هذا الساتر الترابى باسبقيات فى المناطق الصالحة للعبور على الاتجاهات الرئيسية بسيناء لإنشاء نقط قوية تحوى مرابض نيران للرشاشات والمدفعية والدبابات ومحاطة بحقول ألغام وأسلاك شائكة بعمق يصل إلى ٢٠٠ متر . واستغل العدو فترة وقف النار لاستكمال النقط الحصينة وتقويتها وتكثيفها ورفع درجة الوقاية المخصصة لها وقام بإنشاء بعض النقاط الحصينة المتقاربة المتعاونة بالنيران وربط بينها بخنادق ومواصلات مغطاة للمناوره والإمداد . . أنشأ ١٩ موقعاً حصيناً تشمل ٣٠ نقطة قوية تضم ٣٠٦ ملاجئ ثقيلة و ٤٦٢ حفرة أسلحة ودبابات مجهزة بتكسيات كثيفة لحماية الأفراد ضد القصف الجوى والأرضى حولها ٧٣ نطاقاً من حقول الألغام والأسلاك الشائكة على امتداد القناة وذلك بمعدل نقطة كل ٤ كيلو مترات



برج متحرك للمراقبة

فى المتوسط وعمق كل نقطة يصل إلى ٥٠٠ متر ، وأصبحت تعمل كلها فى نظام متكامل وتعاون بعضها البعض بالنيران وتغطى القناة بالكامل بالنيران وأعطى العدو أولوية فى تقوية الساتر الترابى فى المناطق الصالحة للعبور . بعدها تم استكمال ربط الساتر الترابى المتقطع وتعليته إلى ارتفاع يتراوح بين ١٢ ، ٢٠ متراً ، كما تمت إزاحته حتى حافة الماء مباشرة بميول حتى ٨٠ درجة وذلك لإعاقة تقدم الدبابات والمعدات القتالية .

مكونات النقط الحصينة

يتم تجهيز النقط الحصينة على النحو التالى :

١ – **استخدام التجهيز الهندسى وإنشاء الدشم الخاصة بالأسلحة التى تمكن الفرد من استغلال مختلف الأسلحة سواء كانت رشاشات خفيفة أو متوسطة أو ثقيلة أو مدافع عديمة الارتداد أو صواريخ أرض / أرض أو مضادة للدبابات بأسلوب يكفل أمن وسلامة ووقاية الفرد .**

٢ – **تجهيز نقط ملاحظات وتجهيزات فولاذية مدعمة بقضبان حديدية متداخلة ومزودة بالتلسكوبات فى حالة المراقبة المكشوفة** والبرسكوبات **فى حالة المراقبة غير المنظورة مما يتيح للفرد فرصة المراقبة وهو مطمئن تماماً .**

٣ – **إنشاء أبراج عالية على ارتفاع قد يصل إلى ٢٠ متراً . ويزود البرج بتلسكوب يستخدمه المراقب يعطى تكبيراً أكثر من ٣٠ مرة لتجسيم الصورة وكيشف التحركات بوضوح** على مسافات بعيدة وهو بذلك يعطى فرصة الإنذار المبكر عن أى تحركات لها صفة التهديد . **وقد يجهز هذا النوع من الأبراج بأجهزة اتصال سريعة لاسلكية وخطية للاتصال بالقيادة الأعلى لسرعة التبليغ ، وقد أعد هذا البرج بحيث يمكن تحريك** الجزء العلوى منه على صينية دائرية ٣٦٠° بحيث يتمكن المراقب من مكانه من أن يضغط على زر فيتحرك البرج كهربائياً فى اتجاه قطاع المراقبة المطلوب مراقبته .

وقد زودت هذه الأبراج بمعدات حديثة للغاية تتمثل فى :

* (تلى كاميرا) لإمكانية تصوير أى **شخصيات أو تحركات غير عادية ولو من على مسافات بعيدة .**

* (تلى توك) – أى ميكروفون – بدرجة كبيرة من الحساسية تمكنه من أن يسجل أحاديث الأفراد الذين يراهم .
* جهاز رؤية ليلى يعمل إما بواسطة ضوء النجوم – وهى الطريقة المستخدمة حديثاً – أو بواسطة جهاز باعث للأشعة الحمراء .
* بيتا سكوب الذى يستخدم فى اكتشاف الأشعة تحت الحمراء من الجانب الآخر وتحديد أماكنها .
* تجهيز رادار أرضى من نوع مكتشف التحركات الفردية أو تحركات المركبات فى حالة الرؤية الصعبة .
* جاكتات مانعة من نفاذ الرصاص ويرتديها الفرد المراقب لوقايته من نيران الأسلحة الصغيرة التى قد يطلقها القناصة .

ويعتبر برج المراقبة أهم عنصر من مكونات النقطة القوية ، لأنه هو الذى يضمن راحة باقى الأفراد فى النقطة القوية . وهو بمثابة العيون المبصرة القوية التى ترى عن بعد أى تهديد أو تحركات غير عادية .

وقد روعى فى تكوين النقط القوية للعدو أن يتفاوت حجمها حسب نوع المهمة التى تكلف بها . . وروعى فى التجهيز الهندسى إنشاء الدشم والخنادق وخلجان النيران بأسلوب يضمن صفة الاستدامة وعدم التأثير من دانات المدفعية ذات الأعيرة المختلفة . . وقد زاد العدو من هذه التحصينات ضماناً لأمان الأفراد ، فوضع مكعبات الأحجار على هيئة أربعة أو خمسة أدوار مركبة فوق بعضها ومن تحتها قضبان السكك الحديدية المتلاصقة والمتقاطعة بحيث تمنع اختراق الدانات الثقيلة ، كما أن خنادق النيران وخنادق المواصلات الموصلة للدشم تجهز بالصاج المجلفن الذى لا يصدأ نتيجة لعوامل التعرية والرطوبة مستنداً على مساند على هيئة حرف U وذلك لإعطاء صلابة ودعامة لأطوال هذه الخنادق مما يسهل إمكانية مناورة الأفراد من ملجأ إلى دشمة إلى مربض نيران . وهكذا . كما أن أجزاء كبيرة من هذه الخنادق يمكن تغطيتها بصاج يدهن باللون الكاكى (لون الأرض الصحراوية) لإمكان حفظ هذه الخنادق من ردمها بفعل العواصف الرملية وبذلك يمكن توفير جهد الرجال فى إعادة تطهير هذه الخنادق علاوة على إمكانية إخفاء هذه الخنادق من التصوير الجوى .

نقطة الملاحظة الميدانية

صممها العدو على هيئة مكعب من الفولاذ الذى يتسع لفرد واحد ومزدوج من الأجناب وملأ فراغها بقضبان سكة حديد قطعها إلى أطوال مناسبة ومتداخلة تغطى سقف النقطة – وتتخللها فتحة (للبيرسكوب) بحيث يتمكن المراقب من تنفيذ مهام الملاحظة حتى أثناء تهديد النقطة القوية وتعرضها لقصف المدفعية وتحتوى النقط على أكثر من نقطة ملاحظة أثناء إدارة المعركة وأثناء الاشتباك من أكثر من مصدر .

أما نقطة ملاحظة القائد فقد لوحظ فى بعض النقط تجهيز أسطوانة طويلة تشبه أسطوانة الغواصة التى تصل من أسفل ملجأ القائد إلى سطح النقطة ويثبت بداخلها عدد من السلالم الحديدية التى تمكن القائد من التسلق إلى الارتفاع لأعلى الأسطوانة للمراقبة السريعة ثم النزول مع تغطية فوهة الأسطوانة العليا بغطاء حديدى محكم .

ملاجئ الراحة والمبيت

اتبع العدو فى أسلوب إنشاء ملاجئ المبيت والراحة ما يكفل تحقيق راحة الأفراد حفاظاً على معنوياتهم .

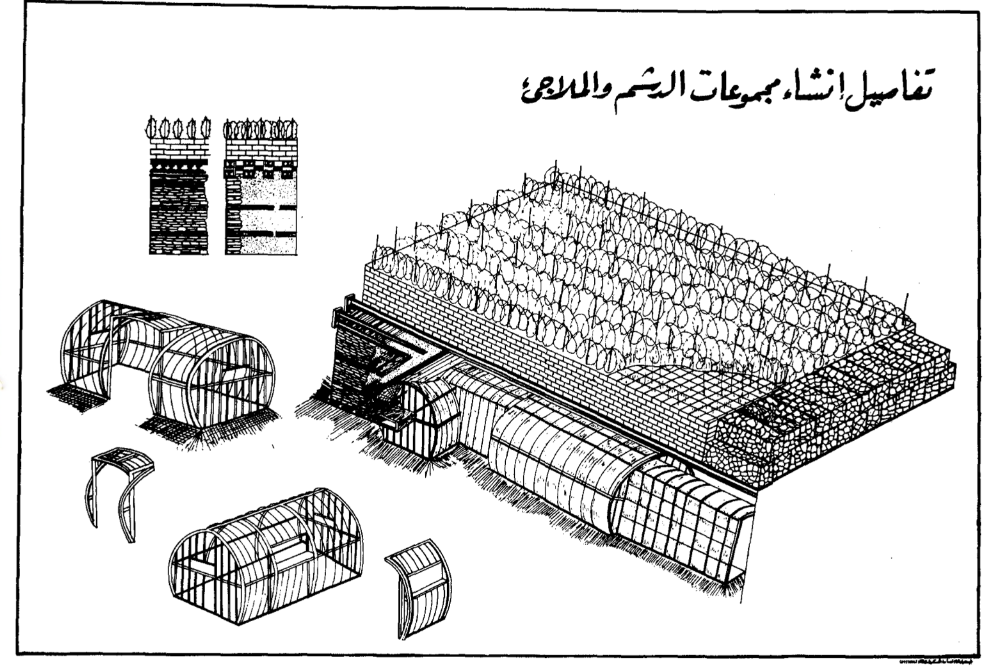
فخامات إنشاء النقط لا يعتمد فيها على الخيش المقطرن فى تغطيتها بل تغطى جميعها بالصاج المجلفن وحتى أجزاء الملاجئ ليست من الحديد الصب ولكن من الحديد المجوف الذى يعطى قدرة على التحمل أكبر .

كما أسست ملاجئ الأفراد بأسرة مزدوجة عليها مراتب إسفنجية توفر الراحة للأفراد ولكل فرد دولابه الخاص المصمم بأسلوب يستوعب كل احتياجاته الشخصية منتظمة بداخلها .

النواحى الإدارية

نقط المياه والحمامات

جهز العدو نقطة المياه بفناطيس أحجامها مختلفة تتراوح بين ٣ أمتار مكعبة أو ستة


تفاصيل إنشاء مجموعات الدشم والملاجئ

أمتار مكعبة مصنوعة من الألياف الزجاجية ، ولها قدرة عالية على التحمل وبذلك يسهل نقله والمناورة به وهذه الفناطيس متصلة بحمامات ومؤمنة بأقفاص من السلك مملوءة بالحجارة التى تتحمل قوة انفجار دانات المدفعية لتأمين الأفراد .

الميس داخل النقطة

يحتوى هذا الميس على ملجأ كبير مصمم بنفس أسلوب ملاجئ إيواء الأفراد ويحتوى على بوتاجاز مزود بأنبوبة كبيرة وثلاجة تحوى أنواعاً مختلفة من المأكولات . . والمشروبات اللازمة للأفراد .

نقطة إدارية للذخائر والوقود

وقد صممت حيث يتوفر لها الأمن الكافى والحماية من النيران وبحيث تسمح للقوة التى تعمل فى النقطة بتحمل حصار مدته أسبوعان .

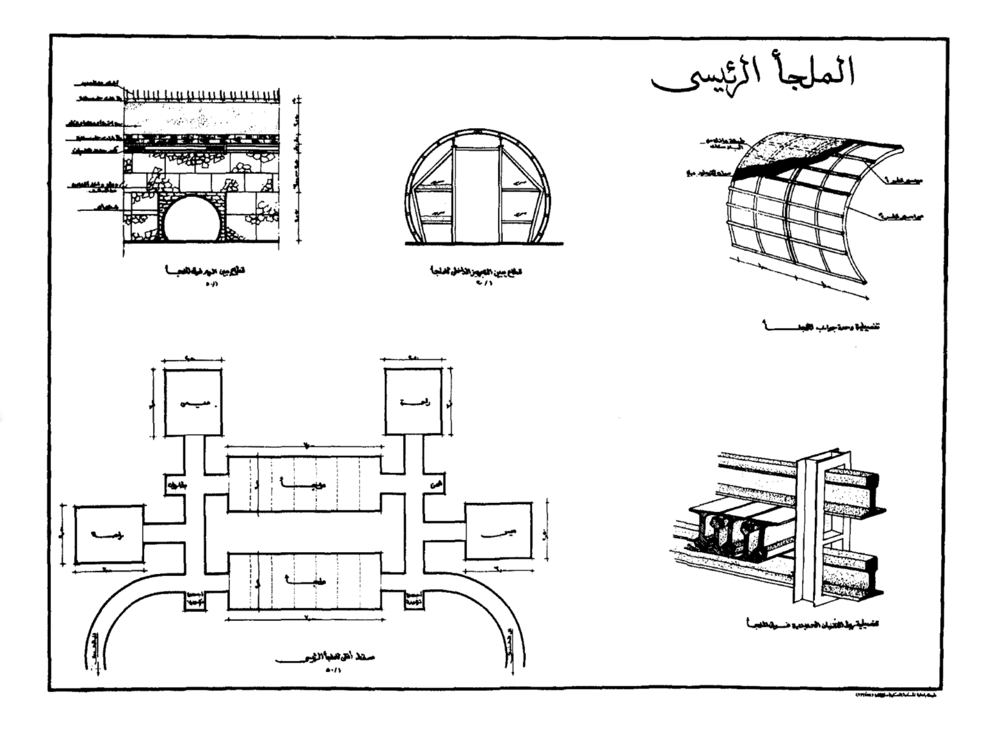
الموانع حول النقطة القوية

تحاط النقط القوية بسياجات من موانع الأسلاك ذات الميلين ولفات سلك الكونسرتينا الكثيفة على هيئة سيقان بفواصل بينها تغطى بألغام مضادة للدبابات وللأفراد وأشراك خداعية ومنذرات دوريات حتى يصعب فتح الثغرة بواسطة أى قوات متسللة ، وقد صمم مدخل ومخرج كل نقطة خالياً من الموانع ويتحكم فيها حراس معينون لذلك .

وأنشأ العدو مصاطب دبابات فى العمق يرتكز عليها للمناورة فى حالة مهاجمة النقط القوية وإعطاء عمق من ٨٠٠ إلى ١٠٠٠ متر . . يساعد أيضاً على ستر التحرك لنجدة النقط فى حالة مهاجمتها .

وانتشت المواقع الحصينة والنقط القوية فى خط مواز للساحل الشرقى لقناة السويس عمقه ١٠ كيلومترات . وقد اختير موقع كل نقطة قوية على هيئة حاكمة لأحد المحاور الرئيسية المحتملة لتقدم قواتنا وفى المناطق الصالحة للعبور .

كما تضم النقطة القوية مرابض نيران مجهزة بملاجئ لوقاية الأسلحة تشمل مرابض



الملجأ الرئيسى
تفصيلة وحدة جوانب الملجأ
قطاع يبين التجهيز الداخلى للملجأ
١ / ٥٠
١ / ٥٠
تفصيلة ربط القضبان الحديدية فوق الملجأ
راحة
راحة
ملجأ
ملجأ
مسقط أفقى للملجأ الرئيسى
١ / ٥٠

نيران للرشاشات المتوسطة والأسلحة المضادة للدبابات ومرابض دبابات ومرابض هاونات ثقيلة ، وقد جهزت بعض هذه النقط القوية بمرابض للمدفعية الثقيلة بعيدة المدى عيار ١٠٥ ، ١١٥ ملليمتراً فى دشم حصينة ثابتة كنقطة عيون موسى وجنوب السويس .

وكانت خطة الدفاع عن النقطة أو الموقع الحصين موضوعة طبقاً لأسلوب الدفاع الدائرى مع استخدام كل الأسلحة الموجودة من مدفعية ودبابات وهاونات ورشاشات . ولم يكن للنقطة أو الموقع سوى مدخل واحد لإحكام السيطرة عليها .

وقد صممت النقطة بإمكانية إعاشة الوحدة التى تحتلها إعاشة مستديمة باكتفاء ذاتى لمدة شهر من تعيينات ووقود ومياه وذخيرة . . وأنشئت ملاجئ لتحقيق درجة وقاية عالية ضد قنابل القصف الجوى حتى ١٠٠٠ رطل وقذائف المدفعية ، واستخدم العدو لذلك فلنكات قضبان سكة حديد القنطرة – العريش – رفح ، والبلوكات الخرسانية المسبقة الصنع وشكائر الرمل ومكعبات من الدبش فى غلاف من شبك سلك مد أبعاده ١ × ١ × $\frac{1}{2}$ متر ، وزودت الملاجئ بأجهزة تهوية وتنقية ضد الغازات وأسلحة التدمير الشامل ووحدات إنارة وتكييف هواء ومراوح للتهوية تعمل عند استخدام المدافع الثقيلة عيار ١٥٥ ملليمتراً .

وجهزت هذه النقاط القوية أيضاً بخنادق مواصلات مغطاة لتسهيل المناورة وأعمال الإمداد مكسوة بالصاج وقوائم حديد وشكاير الرمل بارتفاع من ١ إلى ١,٥ متر .

وضم خط بارليف تجهيزات هندسية على مسافة تتراوح بين ٣ ، ٥ كيلو مترات تحتلها قوات احتياطية قريبة ووحدات مدفعية ، وتجهيزات أخرى على مسافة ١٠ كيلو مترات تحتلها قوات احتياطية بعيدة ووحدات مدفعية بعيدة المدى لدعم ونجدة النقاط الحصينة عند تعرضها للهجوم .

وقد دخلت عدة نقاط حصينة بعد استيلاء قواتنا عليها ، كانت كل نقطة مكونة من ثلاثة أدوار ، الدور الأول يستخدم كمخزن للتعيينات والذخيرة والمياه والوقود وتوجد به وحدات الإنارة وتكييف الهواء ، والدور الثانى للإعاشة ويضم غرف النوم ودورات مياه ومكتبة وصالة سينما وصالوناً مزوداً بجهاز تليفزيون وراديو ، كما توجد بنفس الدور غرفة القيادة والعمليات وأجهزة الاتصالات المختلفة سواء بالمواقع المجاورة أو بالقيادات

المحلية فى سيناء أو القيادة العامة فى إسرائيل وتوجد بالدور الثالث العلوى مرابض الأسلحة ومزاغل الرشاشات .

وقد زودت جدران وأسقف بعض المواقع بعوازل للصوت وفى مواقع أخرى كانت الجدران والأسقف مغطاة بطبقة من الإسفنج لامتصاص الصدمات . .

ووجدت فى كل مكتبة أعداد كبيرة من نسخ « التلمود » بالإضافة إلى كتب مليئة « بالنكات » والقصص الخفيفة والطرائف ، وكانت مهمة هذه الكتب تسلية أفراد الموقع وإمتاعهم عندما يشتد القصف المصرى حتى لا يصابوا بالتوتر .

وقد أعلن المتحدث العسكرى المصرى ومدير سلاح المهندسين أن إسرائيل أنفقت على إنشاء هذا الخط ٢٣٨ مليون دولار .

الساتر الترابى :

استغل العدو ناتج حفر توسيع القناة غير المتصل والموجود على الضفة الشرقية بارتفاع يتراوح بين ٦ ، ٨ أمتار فى القطاع الشمالى من بورسعيد حتى شمال البحيرات وبارتفاع من ٨ إلى ١٠ أمتار فى القطاع الجنوبى جنوب البحيرات حتى السويس لتجهيز مصاطب دباباته .

وفى مرحلة تالية تم وصل هذا الناتج غير المتصل ورفعه إلى ارتفاع يتراوح بين ١٢ ، ٢٠ متراً وفى نفس الوقت تمت إزاحته حتى حافة الماء مباشرة بميول حتى ٨٠ درجة لإعاقة تقدم الدبابات والمعدات القتالية ، وتم سد كل الثغرات الموجودة بين النقط القوية لخط بارليف لتشكيل مانع صناعى متصل على امتداد القناة .

ثم قام العدو بتعلية الساتر الترابى فى الأماكن الحاكمة والمسيطرة على الاتجاهات الرئيسية بسيناء الصالحة للعبور وسد الممرات بحيث أصبح الساتر متصلا تماماً .

وبدأ العدو فى تجهيز مصاطب دبابات على طول الساتر ويتراوح طول المصطبة بين ١٠٠ ، ١٥٠ متراً مع تجهيزها بساتر للوقاية الجانبية عند الضرب ، وكانت هذه المصاطب المنتشرة على طول خط المواجهة تحقق للعدو أكبر قدر من المرونة وحرية المناورة لدباباته .

ووصل عمق الساتر فى بعض المواقع خاصة فى القطاع الجنوبى إلى مائتى متر . بينما

كان عرض الساتر الترابى يسمح بمرور الدوريات الراكبة فوقه فى بعض المناطق الأخرى .

معنى هذا أن الساتر الترابى أصبح يشكل مانعاً كبيراً آخر يقف من وراء مانع القناة المائى . ولم يكتف العدو بهذا ، بل أضاف إلى هذا الساتر عشرات من حقول الألغام ونطاقات الأسلاك الشائكة لعرقلة أى تقدم عسكرى مصرى ووقفه .

ومعنى هذا أن عبور قناة السويس بواسطة جيش كبير بل بواسطة جيشين فى وقت واحد بكامل أسلحتهما وعتادهما وفى وجه مقاومة من العدو على الضفة الشرقية يعتبر مشكلة ضخمة بل كانت تبدو أحياناً كأنها عملية مستحيلة .

إن عبور الموانع المائية بواسطة الجيوش كان دائماً من العمليات الصعبة ولكنه لم يكن أبدًا من العمليات المستحيلة فكم من جيوش عبرت موانع مائية فى الماضى البعيد والماضى القريب دون أن يشد ذلك انتباه العالم .

وخلال الحرب العالمية الثانية واجهت الجيوش المتحاربة عوائق مائية ، استطاعت أن تتغلب عليها ، بعدها فقدت الموانع المائية قيمتها بعد تطور أسلحة القتال وظهور المركبات والدبابات البرمائية والدبابات التى تستطيع الغوص تحت سطح الماء والسير على قاع المانع المائى ضمن تشكيلات القوات البرية فى مسارح العمليات .

أما قناة السويس فقد اعتبرها الخبراء رغم هذا مانعاً مائياً فريداً يختلف عن كل الموانع السابقة لطولها واتساعها وعمقها وسرعة التيارات المائية بها حيث يتغير اتجاه التيار ٤ مرات خلال اليوم وحركة المد والجزر . . فكل هذا يؤثر على عملية العبور وإنشاء الكبارى . . ثم تأتى إضافة مانع صناعى على حافتها وتزويد هذا المانع بخزانات المواد الملتهبة وحماية المسطح المائى بالنيران من أكثر من مصدر وقد اطلعت على وثيقة تنظم النيران على قطاع من قطاعات القناة فى الجزء الشمالى وكانت تتضمن ٩ مصادر للنيران من مسافات مختلفة تتشابك أقواس نيرانها بحيث تغطى كل المنطقة . .

ومن قبل أيضًا واجهت الجيوش المتحاربة فى أوربا خلال الحرب العالمية الثانية خطوطاً دفاعية حصينة واستطاعت أن تتجاوزها ، ولكن هذه الحصون جميعها لم تكن مرتكزة على حافة مانع مائى خصوصًا إذا كان هذا المانع هو قناة السويس .

ولم يكن هذا هو كل ما فى جعبة إسرائيل كانت هناك قوات احتياطية على أعماق

٣ ، ٥ ، ٨ ، ١٥ كيلومتراً للقيام بالهجمات المضادة بالدبابات ضد أى قوات تعبر إلى الضفة الشرقية للقناة بالتعاون مع المدفعية والطيران .

وكان أمام الجبهة المصرية فى سيناء فرقتان من المشاة الميكانيكية وحوالى ٣٥ ألف جندى أو فرقة مدرعة تضم حوالى ٤٠٠ دبابة ولواء من قوات الكوماندوز المحمولة جواً بالهليكوبتر و ٧٠ طائرة عمودية وثلاثة آلاف من قوات المظليين و ١٠٠ قاذفة ومقاتلة فى مطارات سيناء ومن حوالى ٨٠٠ إلى ١٠٠٠ مدفع ثقيل .

وعند اتساع مدى القتال واضطرار إسرائيل إلى التعـ العامة ، فإن الجبهة المصرية سوف يكون عليها أن تتحمل كثافة ثلاث فرق مدرعة تضم حوالى ١٣٠٠ دبابة وخمس فرق مشاة ميكانيكية وقوة السلاح الجوى الإسرائيلى وتقدر بحوالى ٦٠٠ طائرة حديثة .

معنى ذلك أن الجيش المصرى فى تقدمه سوف يواجه ما لم يواجهه جيش من قبل وأظنها سوف تكون – على قدر ما أذكر – أول مرة فى تاريخ الحروب يواجه أى جيش أمامه :

* مانعاً مائياً أوعائقاً طبيعياً صعباً .
* وخطاً دفاعياً أقيم على حافتها مباشرة .

لقد كان عبور القناة يعتبر فى حكم المستحيل .

وكان كل من يزور مصر سواء كان عدواً أوصديقاً – ينظر إلينا بعين الإشفاق ويعلن أن هذه مشكلة بلا حل . . لا يوجد ولن يوجد لها حل .

وكل من زار منطقة القناة من الخبراء العسكريين الأجانب بعد إقامة خط بارليف والساتر الترابى كان يقول للقادة المصريين ما معناه كان الله فى عونكم إن هناك استحالة لوضع وتنفيذ خطة اقتحام القناة فلم يحدث فى التاريخ أن عبرت قوات عسكرية مثل هذا المانع .

وخلال مارس عام ١٩٧٣ بعد خروج المستشارين السوفييت زار مصر أحد الجنرالات الروس المبرزين وزار الجبهة واجتمع مع قادة جيش من الجيشين ، ومر على الحد الأمامى للجبهة فى عدة مناطق للتأكد من عدم وجود ثغرات فى الساتر الترابى بعدها سأل القادة عن كيفية إزالة هذا الساتر والوقت الذى يحتاج إليه أداء هذا العمل . .

كان تخطيط القيادة فى هذه الفترة موضوعاً على أساس أنه فى أحسن الظروف ستتمكن القوات المسلحة من فتح ثغرات أو ممرات فى الساتر الترابى لعبور الدبابات والأسلحة الثقيلة خلال فترة تتراوح بين ٧ ، ٩ ساعات .

ولم يشأ القادة أن يخبروه بالرقم الحقيقى وقالوا له من ٣ إلى ٤ ساعات ولم يكن للسرية دخل فى هذا . . وهم يعلمون أن ضيفهم جنرال ويعرف معنى هذا التوقيت كما يعلمونه . . معناه ببساطة إعطاء الفرصة للعدو للقضاء على القوة المهاجمة بسهولة .

ورد عليهم بأن ذلك مستحيل فكيف تواجه المشاة هجمات العدو المضادة التى سيستخدم فيها المدرعات بالتعاون مع القوات الجوية . . وقال لهم إن هذا يضع المشاة فى موقف خطير للغاية لأنها لن تتمكن بأسلحتها الصغيرة أن تواجه عناصر العدو المدرعة . . وسألهم كيف يحاربون بأسلوب الحرب العالمية الأولى عدواً يحارب بأساليب الربع الأخير من القرن العشرين ؟

وعندما جـاء دورهم للحديث سألوه هـل يمكن للاتحاد السوفييتى أن يزودهم بالهليكوبترات حتى يمكن نقل القوات إلى الضفة الثانية للقناة ؟ هل لدى الاتحاد السوفييتى معدات لرفع الساتر الترابى ؟

وأجاب القائد السوفييتى « ليس فى الاتحاد السوفييتى مثل هذه المعدات لأنه لم يسبق له مواجهة مثل هذه المشكلة » .

وكان العدو يدرك الصعوبات التى سيضطر المهاجم إلى مواجهتها . كان فى تقديره أن القوات المصرية ستحتاج من ١٥ ساعة إلى ٢٤ ساعة للتمكن من العبور بأسلحة رئيسية أو دبابات لتتكافأ الحركة على الضفة الشرقية للقناة .

وكان العدو مستعداً لمواجهة هذا الاحتمال طبقاً للحسابات التى أجراها واستخدم فيها الحاسبات الإليكترونية . . كان العدو يعلم أن مرامى أسلحة المشاة المضادة للدبابات قصيرة وأقصى مدى لها ٦٠٠ متر ، وكان يعلم أيضاً أن لدى القوات المصرية صواريخ مضادة للدبابات ولكنه قدر أن الدبابات بمراميها التى تصل إلى ٣٥٠٠ متر يمكنها سحق المشاة .

وكان العدو يدرك أيضاً أنه يتحتم على القوات المصرية أن تستولى على النقط الحصينة

لخط بارليف لأنها تتحكم فى جميع الاتجاهات الرئيسية لإنشاء كبارى أو معديات للعبور إلى الضفة الشرقية ، وسوف تتكفل نيران هذه المواقع المتحكمة بمواجهة هذا الاحتمال وستتكفل النيران التى ستنتشر فوق صفحة القناة بالقضاء على أية محاولة متجددة لاسيما وهو يعلم أننا سوف نستخدم قوارب مطاط أوخشبية للعبور .

بالإضافة إلى كل هذا كان للعدو ضباط فى مواقع بارليف لإدارة نيران القوات الجوية والمدفعية .

كل هذه الإمكانيات هى التى دفعت بارليف إلى التصريح بأن القوات المصرية ستتحول إلى رماد إذا عبرت ، وقال موشى ديان عن هذه الحصون فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٩ « إنه خط منيع لا يمكن اختراقه » .

وفى ١٩ نوفمبر عام ١٩٧٠ أعلن آلون فى التليفزيون الإسرائيلى « أن قناة السويس تعتبر فى حالة الحرب مانعاً من الدرجة الأولى ضد الدبابات » .

وعاد حاييم بارليف فى ٢٦ أبريل عام ١٩٧١ ليؤكد « استحالة اجتياز القوات المصرية لهذاالخط الذى يشكل خطراً داهماً » .

ومرة ثانية أعلن ديان فى ١٩ سبتمبر عام ١٩٧١ « إذا حاول المصريون عبور القناة فسوف نتمكن من إبادة قواتهم إبادة تامة » .

وصدرت حول هذا المعنى عشرات ومئات التصريحات خلال السنوات الست الماضية لإثارة اليأس فى قلب الجيش المصرى فى إطار خطة ضارية للحرب النفسية .

وكان على المخطط العسكرى المصرى أن يواجه هذه العقبات وما تمثله من مشكلات .

وقد تم تحليل كل العقبات والمشاكل التى تقف فى وجه إعداد خطة عبور واقتحام القناة وتقسيمها إلى عدد من المشاكل الصغيرة حتى يسهل الوصول إلى حلول لها . .

وكانت هناك – فى نفس الوقت – مناقشات مستمرة للبحث عن أفضل الحلول لمواجهة الأسس التى تقوم عليها الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية . .

وكانت الخطة فى النهاية تتمثل فى مشاكل وحلول . .

المشكلة الأولى :

اعتمد واضعو الاستراتيجية الإسرائيلية على تفوق السلاح الجوى وقدرته على توجيه الضربة الأولى وعلى قوات مدرعة قوية .

وعندما قررت مصر قبول التحدى واجه القادة العسكريون مشكلة البحث عن حلول لمواجهة استراتيجية العدو . .

وكان قرار قبول التحدى معناه قبول المعركة تحت ظل التفوق الجوى الإسرائيلى فلم تكن مصر قادرة على امتلاك سلاح جوى يستطيع أن يحقق التفوق على السلاح الجوى الإسرائيلى سواء من ناحية عدد الطائرات أو نوعيتها .

ولكى يمكن حرمان العدو من الاستفادة من سلاحه الجوى بدأ التخطيط لإقامة شبكة قوية من الصواريخ الموجهة المضادة للطائرات غرب القناة . وتقرر فى نفس الوقت استخدام قواتنا الجوية استخداماً جديداً يعتمد على توجيه ضربات ضد أهداف العدو الحيوية فى توقيتات مناسبة بحيث تؤثر عليه تأثيراً حاداً مع الاحتفاظ بهذه القوات سليمة لصد هجمات العدو الجوية بالتنسيق مع صواريخ ونيران الدفاع الجوى . .

وكان على التخطيط العسكرى مواجهة مشكلة الضربة الجوية الأولى المتوقعة من العدو ومنع العدو من توجيهها أصلا ، ولم يكن هناك حل لمواجهة هذه المشكلة سوى حرمان العدو من القدرة على اكتشاف نوايا الهجوم المصرى والسورى وموعده وقوته واتجاهه . وبمعنى تحقيق المفاجأة الاستراتيجية الكاملة مع العلم بأن تحقيق مثل هذه المفاجأة الاستراتيجية فى الظروف الحالية وبوسائل الاستطلاع المتيسرة حاليًا فى العالم أمر يصعب تحقيقه .

وكان لابد من المحاولة فالنجاح رهن بتحقيق مثل هذه المفاجأة .

أما كيف تحقق بناء شبكة الصواريخ ؟ فذلك يحتاج منا إلى وقفة . .

إن بناء هذه الشبكة درس من دروس نكسة عام ١٩٦٧ . .

لقد تبين لنا أن العدو بدأ استعداده للضربة الجوية التى بدأ بها المعركة عام ١٩٦٧ قبل المعركة بحوالى ٩ سنوات .

بدأ بالتخطيط . . ووجد أنه يحتاج إلى طائرة تطير على ارتفاعات منخفضة لتجنب

الكشف الرادارى فحصل على الطائرات الميراج ٣ سى وأدخل عليها تعديلات تتيح لها مدى أطول وحمولة مناسبة للمهمة . .

وكان هذا الدرس مدخلا لقرار بناء شبكة دفاع جوى . .

وبدأ سلاح المهندسين فى بناء دشم لوقاية الصواريخ من هجمات العدو الجوية ، وتم بناء عدد محدود منها عام ١٩٦٩ طبقاً لتصميم روسى الأصل ، وعندما تعرضت هذه القواعد للقصف الجوى يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٦٩ أثبتت هذه القواعد كفاءتها إلا أن بعض العيوب ظهرت فى التصميم الأصلى وبدأ سلاح المهندسين فى تطوير التصميم طبقاً لخبرة الضباط المصريين حتى يتم الوصول إلى تصميم مصرى صميم . . استفادت منه دول حلف وارسو وبعض الدول العربية .

وفى ١١ فبراير عام ١٩٧٠ عندما تقرر إنشاء الدفاع الجوى عن الجمهورية تحمل سلاح المهندسين مسئولية إنشاء مواقع الدفاع الجوى خلال شهر واحد . وكان حجم العمل المطلوب ٤٠ مليون جنيه ثم تنفيذها خلال ٤٠ يوماً .

وكان إنشاء المواقع فى منطقة القناة معركة تحدى فيها سلاح المهندسين الطيران الاسرائيلى .

وتعاون القطاع المدنى مع سلاح المهندسين ، إذ كانت « الوحدة المنفذة » تتكون من شركة قطاع عام ومعها كتيبة مهندسين .

وشاركت المرأة المصرية الرجل فى تنفيذ هذه المواقع . وقدم الشعب شهداء من المدنيين والعسكريين .

كان العمل يتم ليلا تحت تأثير غارات العدو الجوية والقنابل الزمنية .

كان العدو يعلم أن إتمام بناء هذه المواقع التى تضم كتائب الصواريخ والرادارات ومراكز السيطرة سيحد من حريته الجوية فواصل هجماته الجوية بعنف لمنعها . .

واستمر العدو فى هدم التحصينات التى يتم إنشاؤها . . نبنيها ليلا ويهدمها نهارًا . .

واستمر رجال سلاح المهندسين والشركات المدنية فى العمل دون يأس . .

وكانت قوات الدفاع الجوى خلال هذه الفترة تطور أساليب التدريب وتستوعب الأسلحة الكبيرة التى كانت تصل باستمرار .

وتقرر دفع هذه الصواريخ إلى الجبهة مع اختيار أفضل الأساليب لتحقيق هذا الهدف .

وكانت هناك وجهتا نظر . .

الأولى : القفز بحائط الصواريخ مرة واحدة للأمام لمنطقة الجبهة .

الثانية : الانتقال ببطء بين عدة نطاقات يتم إعدادها من نقطة البداية حول القاهرة حتى يتم الوصول إلى الجبهة طبقاً لأسلوب الزحف البطيء .

واستقر الرأى على اختيار الأسلوب الثانى . .

وفعلاً تم إنشاء مواقع النطاق الأول خارج القاهرة ، وتم احتلالها دون أى رد فعل من إسرائيل . وتقرر استغلال هذا النجاح بإنشاء ثلاثة قطاعات فى منتصف المسافة بين القاهرة والجبهة ووضعت خطة دقيقة وطموحة . وعلى مدى ليلتين فقط كان لابد من إنشاء العديد من المواقع مع تجهيز مراكز القيادة بالمواصلات وخلافه وتمهيد الطرق والخدمات وتحريك بطاريات الصواريخ لاحتلال مواقعها مع وسائل الدفاع الجوى المضادة للطائرات للدفاع المباشر عن هذه المواقع بالإضافة إلى إقامة وسائل الإنذار المختلفة اللازمة لهذه النطاقات ، مع دفع مجموعات من مهندسى الإلكترونيات لضبط واختيار وتجهيز هذا العدد الكبير من المعدات وإعداده للقتال خلال ساعات قليلة من وصوله إلى مواقعه .

وفعلا تمت العملية فى تناسق كامل وفى التوقيتات المحددة لها .

وصباح يوم ٣٠ يونية فوجئت الطائرات الإسرائيلية المغيرة بالصواريخ المصرية وبدأ أسبوع تساقط الطائرات الشهير .

وبعد وقف إطلاق النار فى ٨ أغسطس عام ١٩٧٠ تم دفع حائط الصواريخ كله إلى الجبهة .

هذا الحائط الذى قال عنه إيبان « لقد بدأ الطيران الإسرائيلى يتآكل » وقالت عنه مائير « إن كتائب الصواريخ المصرية كعش الغراب المشئوم كلما دمرنا إحداها نبتت أخرى » وعادت مائير تقول مرة أخرى « إن المصريين زرعوا كل الأرض غرب القناة بالصواريخ والله وحده يعلم أين سيجد المصريون مكاناً لزراعة أعداد أخرى منها بالمنطقة » .

المشكلة الثانية :

استطاع العدو خلال معاركه السابقة مع الجيوش العربية أن يستفيد من كل مزايا المناورة على الخطوط الداخلية ، وفى نفس الوقت فشلت الجيوش العربية فى الاستفادة من مزايا المناورة على الخطوط الخارجية وحرمان العدو من الاستفادة من المناورة على الخطوط الداخلية .

ويطلق اسم المناورة على الخطوط الخارجية على عدة قوى تسير على اتجاهات متلاقية ضد خصم واحد يقع فى نقطة التلاقى . أما المناورة على الخطوط الداخلية فهى حركة الخصم ضد هذه القوى ، وتقدم المناورة على الخطوط الداخلية هذه الميزات :

١ – تأمين وحدة قيادة القوات الضاربة الرئيسية .

٢ – تزايد القوة عند الانسحاب إلى الداخل .

٣ – تحقيق مبدأ حشد القوى .

وللمناورة على الخطوط الخارجية ميزاتها التى يمكن تلخيصها فى الآتى :

١ – القدرة على ضرب العدو من الخلف أو الجنب بأحد مراكز القوى وهو مشغول بقتال مركز آخر .

٢ – نقل المعركة والتدمير إلى أرض العدو .

٣ – الشعور المعنوى الذى يتمتع به المهاجم خاصة وأن التقدم يتم نحو العدو من كل جانب .

واستطاع الجيش الإسرائيلى الواقع فى مركز الحركة – وقد فرضت عليه الظروف ذلك – أن يناور على الخطوط الداخلية وأن يحقق أكبر قدر من المرونة لقواته اعتماداً على خطوط مواصلاته الداخلية البعيدة .

وكان يلجأ دائماً إلى حشد قواته الرئيسية لتوجه ضربة مركزة ضد أخطر الأعداء بعدها ، واعتماداً على شبكة الطرق الجيدة وقوتها المميكنة بالكامل وسلاحه الجوى يسحب معظم قواته ليعيد حشدها مرة أخرى فى مواجهة الجبهة التالية فى الأهمية لتوجيه نفس الضربة المركزة وهكذا . وبعد ضرب القوات المسلحة فى جبهة من الجبهات يضع أمامها عددًا محدوداً من القوات لتثبيتها ، ويتيح له هذا الأسلوب حشد أكبر قوة لتوجيه ضربته التالية . .

وكانت الخطوط الداخلية والقريبة من بعضها والتنسيق الجيد والقيادة الجيدة تتيح للجيش الإسرائيلى الاستفادة الكاملة من مزايا المناورة على الخطوط الداخلية .

وكان أهم العوامل التى أتاحت للعدو فرصة الاستفادة بالمناورة على خطوط داخلية يتمثل فى ضعف التنسيق بين الجيوش العربية المواجهة لإسرائيل وعدم وجود قيادة واحدة قادرة على إدارة معركة واحدة ضد العدو .

وبعد اتخاذ قرار الحرب وجدت القيادة نفسها أمام ضرورة حرمان العدو من الاستفادة من المناورة على الخطوط الداخلية حتى لا تتاح له فرصة العمل ضد إحدى الجبهات بكل قواته الرئيسية .

واحتاج الأمر إلى قدر كبير من التنسيق بين القيادتين المصرية والسورية للاستفادة من المزايا التى تتيحها المناورة على الخطوط الخارجية وحرمان العدو من الاستفادة من المناورة على الخطوط الداخلية .

واستمر التخطيط والإعداد فى صمت ، وظهر السادس من أكتوبر بدأ الجيشان المصرى والسورى هجومهما المنسق فى نفس الوقت واضطرت إسرائيل أن تخوض حرباً على جبهتين فى نفس الوقت ، الشىء الذى لم تواجهه من قبل .

المشكلة الثالثة :

وعند البحث عن أفضل الأساليب لاقتحام القناة ومهاجمة خط بارليف لم تجد القيادة مفرًا من الهجوم بالمواجهة ، فليست هناك وسيلة أخرى ، فالقناة تمتد من الشمال إلى الجنوب على شكل خط مستقيم تقريباً وعلى جانبيها تقف القوات المتحاربة . لم تكن هناك وسيلة للالتفاف أو النزول خلف الخط الحصين .

فالقوات تهاجم من المواجهة التى يريدها العدو ويستعد لها وينتظرها . وللتغلب على الصعوبات التى تكتنف هذا النوع من حركات الهجوم تم إنشاء مناطق للتدريب تشمل مانعاً مائيًا وساترًا ترابيًا ونقطاً حصينة أى تم إنشاء المكونات الرئيسية لخط بارليف بالحجم الطبيعى لإجراء التجارب وتدريب جميع الوحدات من جميع الأسلحة على اختراقه .

وخلال مناورات التدريب المستمرة تم إجراء حوالى ٣٠٠ تجربة خلال السنوات الست

الماضية استخدمت فيها كل الوسائل والإمكانيات التكنولوجية المتقدمة لضمان التدفق لمعدات القتال لتحطيم خط بارليف .

وكانت الخطة تقضى بأن يهاجم المشاة خط بارليف وتأمين رؤوس الجسور حتى يتمكن المهندسون من إقامة الكبارى والمعديات لعبور الدبابات والأسلحة الثقيلة وأن يتم عبور المشاة للقناة فى قوارب من المطاط . وكان من الصعب قصف النقط القوية لخط بارليف بالطيران لوجودها على مسافة لا تتجاوز ٣٠٠ متر من قواتنا وبالتالى تقرر أن تقوم المدفعية بقصف مواقع العدو .

كان الهدف من قصف مواقع خط بارليف وأبراج المراقبة هو إرغام العدو على الاختفاء . وكانت هناك مشكلة أخرى تمثلت فى حقول الألغام ونطاقات الأسلاك الشائكة .

وتقرر أن تقوم المدفعية بفتح ثغرات فى حقول الألغام ، وإذا كان المعدل الطبيعى أن تتوقف نيران المدفعية عندما تكون قواتنا على مسافة تتراوح بين ٣٠٠ ، ٤٠٠ متر حتى لا تصيبها الشظايا فقد تقرر أن يتم التدريب لتحقيق توقف إطلاق نيران المدفعية عندما تكون القوات على مسافات أقل تصل إلى ٢٠٠ ، ١٠٠ متر ، وتقرر أن يستمر البحث عن طريقة تضمن استمرار القصف حتى تكون قواتنا على مسافة أقل من ١٠٠ متر فقط ، على أن يتضمن الحل عدم إصابة الأفراد بشظايا القنابل ، وتم التوصل إلى حل ، فتقرر استخدام القنابل اليدوية مع كاسات الإطلاق وتركيبها على البنادق واستمرار الضرب بها لستر الأفراد حتى دخولهم مواقع العدو .

وكان المتوقع أن تطلب قوات العدو المتحصنة داخل مواقعها من مدفعيتها قصف أفراد قواتنا الذين سينتشرون فوق المواقع أثناء الهجوم . مثل هذه النيران لن تؤثر على الموجودين داخل الحصون ولكنها ستصيب أفرادنا بخسائر جسيمة ، وكان الحل تدريب القوات على الاختفاء داخل خنادق العدو واقتحام أبواب المواقع باستخدام الألغام لتفجيرها والدخول لقتال العدو داخل الملاجئ .

وقد استغلت الفترة الأخيرة – السابقة على بدء العمليات – فى تدريب كل وحدات القوات المسلحة على تنفيذ دورها فى الخطة بنفس الأسلحة والمعدات التى سوف تستخدمها فى المعركة وبكل الأفراد الذين سيدخلون العمليات الحربية وأن يتم التدريب فى مناطق

مماثلة للمناطق التى سيقومون بالهجوم عليها من نفس الاتجاهات وبنفس الأسلوب حتى يتمكن كل قائد وكل فرد من معرفة دوره تماماً . وفى بعض الأحيان أجريت تدريبات على القناة نفسها عند منطقة البلاح حيث تنقسم القناة إلى فرعين .

وعند مناقشة موقف القادة وموعد عبورهم تقرر أن يعبر قادة الكتائب بعد ١٥ دقيقة من بدء الهجوم والقتال ، أما قادة الألوية فيعبرون بعد ٤٥ دقيقة وبالنسبة لقادة الفرق تقرر أن يعبروا بعد ساعة ونصف .

نعم كان هذا القرار معناه تعريض هؤلاء القادة لقدر كبير من الأخطار وأدى فعلا إلى زيادة نسبة الخسائر بين القادة ولكن كان معناه أيضاً شحذ همم الرجال ودفعهم إلى بذل أقصى الجهود . فعندما يجد الجندى قائده يعبر فى نفس القارب ويعتلى الساتر الترابى المرتفع معه ويصل معه فى نفس الوقت إلى مواقع العدو سترتفع روحه المعنوية وسيقاتل بصورة أشجع وأفضل ، وفعلا تحققت هذه النتيجة وكان لذلك فعل السحر فى المعركة .

وقررت القيادة أن يكون الهجوم على كل المواجهة فى نفس الوقت لتوفير أكبر قدر من فرص النجاح أمام القوات المهاجمة .

وسيكون العدو فى مواجهة مثل هذا الهجوم مرغماً على توزيع ضرباته الجوية المضادة على كل القوات .

وبسبب هذا التوزيع ، فإن هذه الهجمات المضادة فى كل مكان ، سوف تكون ضعيفة فى كل مكان ، لأن المواجهة متسعة ، وبسبب هذا الاتساع فإن العدو لن يستطيع مبكرا اكتشاف اتجاه المجهود الرئيسى للقوات المهاجمة وبالتالى فإنه لن يستطيع التركيز عليه .

وسيؤدى مثل هذا الاتساع إلى تأخير رد فعل العدو بالهجمات المضادة البرية لأنه سوف ينتظر لكى يكتشف اتجاه المجهود الرئيسى للقوات المصرية وبعده يتحرك .

المشكلة الرابعة :

كيف يمكن التغلب على النيران الملتهبة التى سوف تغطى سطح القناة عند بدء العبور

خاصة أن درجة حرارتها عالية ويمكنها التأثير على الأفراد الموجودين على مسافة تصل إلى ٢٠٠ متر ، كما أن قواتنا تعبر فى قوارب من المطاط .

وقد اتجه التفكير أول الأمر إلى إطفائها . وتمت عدة تجارب عملية فى أماكن شبيهة بالقناة اتضح منها أن عملية الإطفاء تحتاج إلى مجهودات ضخمة وأن النيران تبقى مشتعلة حوالى نصف ساعة إذا لم يتم تزويدها بكميات إضافية من المواد الملتهبة . ومن هنا اتجه التفكير إلى استخدام مواد كيميائية لمنع هذه المواد من الاشتعال . واستمرت الدراسة أكثر من عامين للوصول إلى حلول ، وخلال هذه الفترة الأخيرة من عام ١٩٧٢ اتجه التفكير إلى ضرورة منع العدو من استخدام هذه المواد الملتهبة قبل العبور وإذا حدث أن فشلت هذه المحاولة فيجب منع العدو من تغذية الحريق بكميات إضافية من المواد الملتهبة ، وذلك لإقلال فترة تعرض القوات للحريق إلى أقل وقت ممكن . ومن هنا بدأت الاستعدادات وتم استطلاع تجهيزات العدو الخاصة بهذا الموضوع فاتضح أنه يضع هذه المواد فى خزانات كبيرة مدفونة تحت سطح الأرض حتى يصعب تدميرها بواسطة المدفعية ، وكانت هذه الخزانات متصلة بمواسير تحت سطح المياه لتندفع منها السوائل الملتهبة إلى سطح المياه . ومن الواضح أنه لو أمكن إغلاق هذه المواسير بأى وسيلة قبل بدء عملية العبور فإن السوائل الملتهبة لن تصل إلى سطح الماء ولن يحدث الحريق ، وكان هذا هو الاتجاه الذى أخذت به القيادة وبدأت القوات فى التدريب عليه .

وبدأت معالم الخطة فى الاتضاح ، بإرسال بعض الأفراد المتسللين لإغلاق هذه المواسير بالأسمنت مع تكليف بعض أفراد الصاعقة بسرعة الاستيلاء على هذه المستودعات لاستخدامها فى حالة الفشل فى إغلاق المواسير الموصلة إلى المياه .

وزيادة فى الحيطة درست القيادة اتجاه التيار فى القناة على طول ساعات اليوم ، وانتخبت قطاعات الاختراق بحيث تعبر قواتنا فوق التيار وبذلك تتفادى النيران العائمة فوق سطح الماء . .

وقد تمت العملية بنجاح تام ولم ينجح العدو فى إشعال حريق واحد فوق سطح القناة ، وتم الاستيلاء على مستودعات المواد الملتهبة سليمة بكل ما فيها ، بل وتم أسر الضابط

المهندس الإسرائيلى الذى قام بتصميمها ، وقد أدلى فى أقواله أنه حضر فى اليوم السابق للقتال لكى يختبر المستودعات ، وكان أول أسير يقع فى أيدى القوات المسلحة .

المشكلة الخامسة :

كيف يمكن إزالة الساتر الترابى الذى أقامه العدو على الضفة الشرقية حتى يمكن إقامة الكبارى والمعديات على القناة وعبور الدبابات ومركبات القتال .

ويمكن تصور ضخامة هذه العملية إذا عرفنا أن ثغرة واحدة فى الساتر الترابى بعرض حوالى ٧ أمتار تتطلب إزالة ١٥٠٠ متر مكعب من الأتربة .

وكانت احتياجات القوات المسلحة تتطلب فتح ٨٥ ثغرة على طول القناة أى إزالة حوالى ٥٠٠ , ٢٧ متر مكعب من الأتربة من الساتر الترابى شرق القناة .

وخلال السنوات الست من عام ١٩٦٧ إلى عام ١٩٧٣ أقامت القوات المصرية أيضاً ساتراً ترابيًّا فى غرب القناة خشية أن يقوم العدو بهجوم مفاجئ وبالتالى فإن مشكلة الساتر الترابى تصبح مشكلة مضاعفة ، فقد كان يتحتم فتح ثغرات مماثلة فى الساتر الترابى الغربى .

اتجه التفكير أول الأمر إلى فتح هذه الثغرات بواسطة التفجير ، وأنشئت ميادين على فروع النيل بالعرض الطبيعى لقناة السويس مع إنشاء ساتر ترابى بالحجم الطبيعى للتجارب والتدريب .

وبدأت التجارب عام ١٩٦٨ باستخدام المدفعية بكل أعيرتها والصواريخ التى تم صنعها بواسطة أجهزة القيادة العامة ، وبالمجهودات الذاتية لسلاح المهندسين بدأت تجارب استخدام المفرقعات والتى ظهرت عيوبها ومزاياها . ولم تأت هذه التجارب بالنتيجة المطلوبة .

وخلال شهر سبتمبر عام ١٩٦٩ بدأت أولى تجارب استخدام نظرية التجريف بالتعاون بين سلاح المهندسين ووزير السد العالى بطلمبة ٣,٥٠٠ ساعة تعمل كهربائيًّا ولها مدفع مياه . بعدها تم تطوير هذه الفكرة بطلمبات ميكانيكية صغيرة ، واستمر التطوير



الصاروخ مولتكه المضاد للدبابات

حتى تم التوصل إلى استخدام الطلمبات التوربينية ذات الطاقة الكبيرة التى يمكنها جرف الممرات فى الوقت المناسب .

وبلغت التجارب لتحقيق هذه النتيجة حوالى ٣٠٠ تجربة .

ونظرية التجريف تتلخص فى استخدام المياه المتدفقة تحت ضغط عال فى إزالة رمال الساتر الترابى .

وبعد هذه التجارب الـ ٣٠٠ أصبح فى مقدور رجال المهندسين أن يفتحوا الثغرة الواحدة فى مدة تتراوح بين ٣ ، ٥ ساعات .

ولم يكن فتح الثغرة فى الساتر الترابى هو نهاية المشكلة بل كان من الضرورى تهذيب أجناب القناة بالنسف والتسوية حتى يمكن تثبيت الكبارى أو تجهيز هذه الثغرات لتشغيل المعديات وعبور المركبات البرمائية .

المشكلة السادسة :

كيف يستطيع المهندسون أن يقوموا بهذه الأعمال الهندسية الضخمة وهم تحت نيران العدو المسيطر فى الضفة الشرقية ؟

وكانت الإجابة الفورية هى ضرورة دفع المشاة عبر القناة لتأمين المهندسين وهو ما يطلق عليه فى التعبير العسكرى تأمين رؤوس الكبارى .

المشكلة السابعة :

هى كيف تستطيع قوات المشاة أن تعبر القناة وتؤمن رؤوس الكبارى إلى أن تتدفق الدبابات والمدافع والأسلحة الثقيلة عبر المعديات والكبارى التى أقامها المهندسون . وكيف تصمد المشاة أمام هجمات العدو المضادة بواسطة الدبابات لمدة تتراوح بين ١٢ ، ٢٤ ساعة إلى أن يكتمل عبور الدبابات والأسلحة الثقيلة .

وبعد دراسة مطولة أمكن حل هذه المشكلة بناء على الأسس التالية :

١ – المشاة التى تكلف بالعبور تحمل معها أقل ما يمكن من التعيين والمياه وأكثر ما يمكن حمله من سلاح وذخيرة ، وكان اجمالى ما يحمله كل جندى حوالى ٢٥ كيلوجراماً

وكان يصل أحياناً مع بعض الجنود إلى حوالى ٣٥ كيلو جراما .

٢ – تسليح المشاة بأسلحة مضادة للدبابات ولاسيما الصواريخ الخفيفة من طراز « مولتكه » التى يمكن حملها بواسطة الأفراد وذلك لصد هجمات العدو المضادة بواسطة مدرعاته .

وتم التركيز على الدفاع المضاد للدبابات ، وكان الاعتماد الأكبر على صمود الرجال وقدرتهم على مواجهة الدرّوع الزاحفة برغم الفزع الذى تثيره جنازيرها الهادرة .

وبقيت مشكلة توفير أكبر قدر من الصواريخ لأطقم المدفعية التى ستعمل مع المشاة ، فقد كان عدد الصواريخ المضادة للدبابات المتوفر محدوداً جدًّا .

ولم تنتظر القيادة وصول كميات جديدة وبدأت فى تدريب الأطقم على استخدام هذه الصواريخ وفى نفس الوقت بدأت تعمل على توفير كميات أخرى .

وفى نفس الوقت تقرر تجهيز مصاطب للدبابات على الساتر الترابى فى الضفة الغربية حتى تتمكن نيرانها بالتعاون مع نيران المدفعية والمدافع والصواريخ المضادة للدبابات من منع دبابات العدو من التقدم فى اتجاه رؤوس الكبارى ومنع إتمام عملية اقتحام القناة واجتياح خط بارليف .

كانت الخطة أن تقوم هذه الأسلحة بالضرب المباشر لمعاونة القوات العابرة لتغطية المراحل الحرجة فى بداية الهجوم .

٣ – تسليح المشاة بالأسلحة المضادة للطائرات وخاصة الصواريخ الخفيفة من طراز سام ٧ «ستريللا» والتى يمكن حملها بواسطة الأفراد وذلك لصد هجمات العدو ضد قواتنا أثناء وبعد العبور .

٤ – تجهيز المشاة بسلالم حبال لمساعدتهم فى تسلق الساتر الترابى وجر أسلحتهم وذخائرهم المحملة فى عربات الجر .

٥ – تنظيم عبور المشاة فى قوارب تنظيماً تفصيليًّا بحيث يعلم كل جندى مكانه فى القارب ومكان العبور ووقته وواجبه أثناء العبور . . إلخ .

وكان معنى هذا أن الجيش المصرى استخدم المشاة بنفس الأساليب التى كانت تستخدم بها منذ العصور القديمة وإن اختلفت الأسلحة التى وضعت فى أيدى الرجال عن تلك الأسلحة التى كانت تستخدم من قبل .

المشكلة الثامنة :

كيف يمكن للمشاة أن تعبر هذا المانع بنجاح ما لم يتم تدمير وإسكات الرشاشات والمدافع التى تطل من فتحات خط بارليف وتغمر القناة بطولها – وقد تقرر أن تقوم المدفعية بهذا الواجب .

المشكلة التاسعة :

كيف تتم إعادة تنظيم القوات على الشاطئ الشرقى وكيف تصل الدبابات والمدافع والذخيرة إلى وحدات المشاة التى عبرت قبلها ؟ . . كيف يتم ذلك ليلا وتحت ضغط العدو وكيف تميز هذه الدبابات والأسلحة طريقها وتتعرف على وحداتها . ويمكن تصور هذه المشكلة إذا تخيلنا آلاف الدبابات والمركبات والمدافع الثقيلة التى كان يتحتم عبورها لتنضم إلى وحدات المشاة التى عبرت لتزيد من قدرتها على التمسك بالأرض وصد هجمات العدو

وقد تكفلت إدارة الإشارة وإدارة الشرطة العسكرية بهذا العمل .

كانت مهمة إدارة الإشارة هى مد الكابلات عبر القناة منذ اللحظات الأولى للعبور وستقوم الشرطة بتحديد الطرق والمدقات التى تسلكها الدبابات والعربات وتمييزها بالألوان المختلفة حتى يعلم السائق أنه إذا اتبع اللون الأحمر مثلا فإنه سيصل إلى وحدته فى رأس الكوبرى بينما يتبع سائق آخر اللون الأخضر وهكذا . .

وقد درست القوات قبل المعركة كل ذلك وقامت بتنفيذه أثناء اللعركة بكفاءة تامة .

المشكلة العاشرة :

لقد فرضت الظروف على القوات المصرية المسلحة خاصة قوات الجيشين الثانى والثالث أن تعيش ست سنوات وأربعة شهور فى الدفاع . . معظمها فى الدفاع الجامد . . والقوات على هذا النحو ، أى قوات فى الدنيا ، معرضة لما يسمى فى العسكرية « بمرض الخنادق » .

واستطاع الرجال أن يتجاوزوا هذا المرض بالتدريب الشاق خاصة خلال الفترة السابقة على المعركة .

وقد جاءت المعركة فى ختام فترة متصلة من المناورات كانت كل القوات فيها قد تخلصت من الكثير من معاناة الخنادق .

وكان التجاوز الكبير لكل ما يسببه هذا المرض عندما تأكد لكل الرجال أنهم فى طريقهم لقتال العدو وبدأت صيحة « الله أكبر » تهز الجموع وتوقظ فيهم كل إحساساتهم الدينية والوطنية .

وثائق القتال :

كانت كل القوات قد أنهت استعداداتها طبقاً لوثائق القتال التى وصلت إلى حد الاهتمام بالتفاصيل الدقيقة بحيث لم تترك شيئاً للظروف حتى تتم عملية اقتحام القناة بنجاح كامل .

فقد اهتمت هذه الوثائق التى جمعت فى مجلد ضخم تم توزيعه على قادة الفرق وقادة الألوية بكل شيء بالطرق التى تسلكها كل الوحدات للاقتراب . . أسلوب الاقتراب للأفراد والدبابات . . حمولة الجندى من الذخيرة والسلاح والتموين من الطعام والمياه . . نوع الطعام الذى يحمله . . القارب الذى سيركبه . . ترقيم القوارب وتجهيزها . . تحديد خطوات الفرد ومهمته وأسلوب تحقيقها وكيفية تجمع الأفراد عقب الوصول إلى الضفة الشرقية لأداء المهام المطلوبة منهم . . تسلق الساتر الترابى . . الهجوم بالمواجهة والالتفاف حول النقطة القوية . . المساعدات اللازمة للعبور . . السلالم سواء سلالم حبال أو خشبية . . الأرقام المعدنية . . إعداد الأوناش . . أماكن وضعها . .

كل شيء . . كل شيء كان موضع اهتمام ودراسة . .

تنظيم عبور الفرقة المشاة :

تم تنظيم الفرقة المشاة لكى تقتحم القناة فى ١٢ موجة بحيث تعبر كل موجة فى ١٥ دقيقة وبذلك يتحقق عبور الفرقة المشاة خلال زمن لا يزيد على ٣ ساعات .

تنظيم مسرح العمليات

وطبقاً لخطة إعداد مسرح العمليات بلغت أطوال الطرق التى مدت فى نطاق الجيشين الثانى والثالث ١٥٠٠ كيلومتر ، عبارة عن طرق عمودية وطرق عرضية تسهل تحرك القوات ، وتسهل مناورتها وتسهل وصول الإمدادات إلى القوات فى العملية التعرضية . وقام بهذا الجهد سلاح الإمداد والتموين .

وطورت جميع محطات السكك الحديدية فى الجبهة بحيث تستوعب كل محطة قطاراً كاملاً فى اليوم .

كما أنشئ حوالى ١٢ ونشاً مائيًّا فى الممرات المائية بالجبهة خاصة فى ترعة الإسماعيلية .

ووضعت خطة لتوفير الوقود الكامل للعمليات واحتياطى مماثل .

وبالنسبة للمياه أنشئت وحدات تخزين تبدأ من بورسعيد شمالاً حتى البحر الأحمر جنوباً ، لتوفير مياه تكفى القوات لمدة ٣٠ يوماً فى كل منطقة على الأقل كيفما كانت ظروف العمليات وتطوراتها .

كما أنشئت أطوال من خطوط الأنابيب للمياه فى كافة المحاور لتخدم كل الاتجاهات من أول بور سعيد شمالا حتى برنيس جنوباً .

وعندما ارتفعت الأعلام المصرية على الضفة الشرقية مكتوباً عليها « الله أكبر » « لا إله إلا الله » وشاهدتها القوات التى تشق طريقها عبر القناة تحت النيران والضجيج والتراب زاد لهيب حماسهم واندفاعهم ولم يعد هناك عائق أمام القوات .

الفصل الرابع

وأقبل السادس من أكتوبر
العاشر من رمضان

بدأ شهر رمضان ومصر تطوى صدرها على سرها الكبير . . كانت عجلة الاستعدادات تقترب من نهايتها وكل شيء يتحرك دون أن يعلم الناس فى بلادنا شيئًا . .

وواصل الناس صومهم وإفطارهم . . وثرثرتهم وشكاواهم من كل شيء واحتفظت مصر بصمتها ولم تبح بسرها لأحد . .

ومع بداية شهر أكتوبر كان يبدو على السطح أن إيقاع الحياة الرتيب سوف يستمر طويلا . . كانت مصر قد عاشت الهزيمة ٢٣٠٨ أيام منذ الخامس من يونية عام ١٩٦٧ وتصور الآخرون أن هذا الرصيد من أيام الهزيمة والمرارة قابل للزيادة وأن مصر قد اعتادت آلامها بمرور الأيام .

أبـــداً . .

وعرفت مصر خلال هذه الفترة كل شيء إلا طعم النصر ، وبدأ أن كل شيء فيها يتصدع . . وأخذت عشرات من المشاكل التى أحدثتها الحرب تطفو على السطح . . وبدا أن كل شيء قابل للانفجار . .

ويوم أول أكتوبر اجتمع المجلس الأعلى للقوات المسلحة وتقرر بصفة نهائية أن نقاتل ، وتحدد يوم السادس من أكتوبر العاشر من رمضان كيوم « ى » ليكون يوم قبول التحدى الإسرائيلى وتحددت الساعة الثانية والثلث بعد ظهر ذلك اليوم كساعة « س » أى ساعة الصفر . .

كان هناك اختيار آخر عندما وضعت الخطة أن تكون ساعة « س » الساعة الخامسة مساء . . حتى تتمكن قواتنا من العمل دون تدخل القوات الجوية الإسرائيلية ضد المعابر

وضد رؤوس الشواطئ ورؤوس الجسور. . ورئى أن تكون ساعة « س » الساعة الثانية وعشرون دقيقة ظهراً للملاءمة بين احتياجات الجبهة المصرية والجبهة السورية ، فى هذا اليوم كانت إسرائيل مازالت تغلى بالغضب من نتائج حادث اختطاف القطار وإغلاق معسكر « شوناو » فى « فيينا » .

ويوم ٢ أكتوبر قام وزير الحربية المصرى بزيارة سوريا لمناقشة أخيرة مع القيادة السياسية والعسكرية السورية ووضع توقيتات العمليات الحربية .

وعندما عاد وزير الحربية المصرى اتخذ مركز القيادة مقرًّا له ولم يخرج منه إلا يوم ١٦ أكتوبر عندما ألقى الرئيس السادات خطبته فى مجلس الشعب . .

وكانت إسرائيل تدرس النتائج المترتبة على قرار الحكومة النمساوية ونتائج زيارة مائير للنمسا . .

وفى نفس الوقت بدأت تقارير المعلومات ترد عن الحشد العسكرى المصرى ومناورات الخريف . . وحاولت كل عناصر جمع المعلومات الحصول على أكبر قدر متوفر منها . . ووضعت كل هذه المعلومات موضع الدراسة لتقييم الموقف .

كانت إسرائيل قد انتهت من فترة أعيادها ، وبعد أيام ستحتفل بيوم «كيبور» يوم الغفران ، وكانت القيادة العسكرية أسيرة اعتقادها بأن القوات المصرية غير قادرة على القتال . . وأنها لن تخوض تجربة اقتحام القناة . . وكانت على يقين من قدرة الجيش الإسرائيلى على تأديب الجيوش العربية فى أى وقت . .

ويوم ٤ أكتوبر أعلن دافيد العازر رئيس الأركان الإسرائيلى فى اجتماعه بقوات المظلات . . أنه ينبغى على الدول العربية التى تحشد قواتها على خطوط وقف إطلاق النار أن تعرف أن لدى إسرائيل أيادى طويلة تستطيع الوصول إلى أعماق هذه الدول وخطوطها الخلفية . وإنزال الضربات بها .

كان هذا هو الرد أو الرسالة الإسرائيلية على عمليات الحشد المصرى السورى .

وقد صيغ هذا التصريح بعناية . . فهو لم يحدد هذه الدول التى تحشد قواتها على خطوط وقف إطلاق النار . . ولم يحاول أن يكشف حجم المعلومات المتوفرة لديه تاركاً للدول المعنية أن تخمن ماذا يعلم ؟ . . وماذا يعنى ؟ .

وكان تهديده مصاحباً لتحركات إسرائيلية على الجبهتين السورية والمصرية وقد نقلت وكالة الأنباء الفرنسية يوم الجمعة ٢٨ سبتمبر نبأ عن « اتخاذ القيادة الإسرائيلية الإجراءات اللازمة على الضفة الشرقية لقناة السويس توقعاً لأى عملية مصرية » وأتى هذا النبأ فى ظل تأكيدات من المصادر السورية عن حشود إسرائيلية فى مواجهة الجبهة السورية تتزايد بشكل ملحوظ . .

وارتباط التهديد بتحركات عسكرية تطبيق للاستراتيجية الإسرائيلية وهدفه ردع الدول المعنية .

ورأت إسرائيل باستمرار أن حمل الدول المجاورة على تبنى سياسات ترضى عنها يتم بإبراز مخاطر الالتزام بسياسات أخرى وهذا ما عناه العازر عندما أشار إلى الأيدى الطويلة للجيش الإسرائيلى .

وحاولت إسرائيل استثمار تفوقها العسكرى لتحقيق درجة من التصديق داخل إسرائيل والعالم العربى والعالم كله حول قدرتها على وضع استراتيجيتها موضع التنفيذ .

وترتبط استراتيجية إسرائيل حول مفهوم الردع والأيدى الطويلة بنظرية الحرب الوقائية التى تؤمن بها . . أى أن تضرب قبل أن تكتمل قدرة العرب أو الدول العربية المجاورة أو إحداها على توجيه ضربة مؤثرة وأن تهاجم قبل أن يهاجمها الآخرون .

وكانت إسرائيل قبل عام ١٩٦٧ ترى أن من حقها أن تحارب فى الحالات الآتية :

* إذا حشدت دولة عربية أو أكثر قوات هجومية تشكل خطراً على إسرائيل .
* إذا اتضح أن العرب يعدون لهجوم جوى مفاجئ على قواعد إسرائيل الجوية .
* حين يقوم العرب بهجوم جوى ولو محلياً على منشآتها الذرية أو مؤسساتها العلمية .
* حين تصل حرب العصابات إلى درجة يصبح معها الدفاع السلبى والأعمال الانتقامية عاجزة .
* إذا انضمت الأردن إلى حلف عسكرى مع دولة عربية أخرى وسمحت بتمركز قوات عسكرية « أجنبية » على أراضيها ، خاصة فى الضفة الغربية لنهر الأردن .
* إذا أغلقت مصر مضايق تيران .

وقد حدد هذه « المحرمات » بالنسبة للاستراتيجية الإسرائيلية قبل معارك عام ١٩٦٧

إيجال ألون فى كتابه « بناء الجيش الإسرائيلى » وعاد ليضع قائمة جديدة « بالمحرمات » الجديدة بعد عام ١٩٦٧ والتى يكون من « حق » جيش إسرائيل اجتياز خطوط وقف إطلاق النار والقيام بعمليات هجومية محددة أو غير محددة المدى . . وهى :

* فى حالة هجوم محلى أو عام ، أو فى حالة حشد قوات استعداداً للهجوم ، أو إذا تبين أن « العدو » يعد لهجوم جوى واسع النطاق أو لضربة بالصواريخ على أهداف حيوية فى إسرائيل .
* للقضاء على حرب « الإرهاب » التى تشن من قواعد عبر خطوط وقف إطلاق النار حين يتضح أنه من المستحيل وقفها بالوسائل المحدودة .
* فى حالة تدخل « العدو » فى ملاحة إسرائيل فى عرض البحار ، أو فى المضايق والممرات الضيقة كباب المندب أو المدخل الجنوبى للبحر الأحمر .
* فى حالة أى تغيير فى الوضع الراهن فى بلد مجاور يؤدى إلى تهديد إسرائيل .

كانت القيادة المصرية تعلم أن العدو لا يعلم النوايا المصرية للحشد . .وفى نفس الوقت كانت ترى أن هذا هو الوقت المناسب لتوجيه ضربة وقائية ضد عملية الحشد المصرى . .

وكان غموض التهديد ووضوحه فى نفس الوقت يثير الكثير من التساؤلات حول حجم المعلومات المتوفرة لدى قيادة العدو وحول جدية هذا التهديد ؟ وحول مدى التحركات العسكرية الإسرائيلية على الجبهتين ؟ . .

وقررت القيادة المصرية الاستمرار فى تنفيذ خطتها . . فى الوقت الذى ضاعفت فيه إجراءات الأمن والحذر الشديد خلال الساعات التالية . .

وفى نفس الوقت كانت القيادة المصرية تصدر قرارها بتسريح نسبة الاحتياط المقرر تسريحها . .

وبالطبع كان معنى هذا أن ينتشر بين الناس أنه لا شىء غير عادى يحدث . . وأن الحشد للمناورات قد بدأ فكه . وكان هذا أحد إجراءات الخداع . . وربما رأى العازر بعد أن وصلته أخبار تسريح الاحتياط فى مصر أن تهديده قد أتى بالنتيجة المطلوبة .

ويوم ٥ أكتوبر كان الدكتور محمد حسن الزيات يجتمع بكيسنجر فى نيويورك لمناقشة جوانب العلاقات العربية الأمريكية . واستمر الاجتماع لمدة ساعة ، وهاجمت

إسرائيل بعصبية قرار موبوتو رئيس زائيرى بقطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل .

وفى نفس اليوم أعلن متحدث عسكرى إسرائيلى « أن فدائيًّا عربيًّا ألقى قنبلة فى الميدان الرئيسى فى غزة فقتلت نائب مدير البوليس وأصابت ضابطاً آخر ، وجنديًّا كان يقود السيارة التى استقلوها ودمرتها القنبلة تماماً » .

ولم يتمكن البوليس من القبض على أحد ، غير أن سلطات الأمن تجرى تفتيشاً فى المنطقة التى وقع فيها الانفجار . .

لم تكن هذه كل أحداث اليوم . .

لقد بدأ العد التنازلى لساعة « س » وكانت هناك عمليات تمهيدية يجب أن تتم خلال هذا اليوم قبل أن يبدأ اقتحام القوات للقناة .

تسللت دوريات فى هدوء لتلقى نظرة استكشاف أخيرة على النقط الحصينة وما وراءها من خط بارليف وكان من الضرورى أن تتم عملية استطلاع أخيرة لمسرح العمليات . .

وفى نفس اليوم تسللت الجماعات المخصصة لسد مواسير المواد الملتهبة التى كان من المفروض طبقاً لخطة العدو أن تحمل كميات هائلة من المواد الملتهبة تلقيها فى القناة لكى تشتعل بالنيران عند الإحساس بأول هجوم وتشكل هذه النيران أول عقبة ضد العبور المصرى خصوصاً وأن قواتنا ستعبر القناة بقوارب من المطاط .

وقد استغلت هذه الجماعات فترة الإظلام لتسبح فى مياه القناة من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية وقد عملت كل الجماعات فى نفس التوقيت تقريباً . . وفى صمت استطاعت أن تسد كل المواسير . .

ولم يتنبه العدو . . ولم يدرك أن ذلك كان جزءاً من مخطط أكبر . .

اكتشف العدو فى أحد المواقع انسداد المواسير وجاء بمهندس لإصلاحها ، وكان هذا المهندس مازال يقوم بعمله عندما وجد قواتنا فوق رأسه وكان أول الأسرى الإسرائيليين فى أيدى القوات المصرية .

وأشرقت شمس السادس من أكتوبر ، العاشر من رمضان على بلادنا بالأمل . .

كان قد مضى ٢٣١٤ يوماً على هزيمة يونيو وكانت مصر تنتظر هذا الصباح لتبوح بسرها الكبير . .

امتلأت الشوارع فى الصباح بطوابير الساعين إلى الرزق . . نفس الازدحام . . نفس الفوضى . . نفس العذاب . . واكتظت المكاتب بالموظفين . . دارت آلات المصانع كما تدور كل يوم . . وقرأ المواطنون صحف الصباح . . كانت العناوين الكبرى لجريدة « أخبار اليوم »

« مصرع نائب مدير البوليس الإسرائيلى فى غزة بقنبلة فدائى »

« طوارئ فى الفجر »

« المقاومة الفلسطينية تعلن حالة الطوارئ الكاملة بعد التحركات الأخيرة للحشود الإسرائيلية »

« إسرائيل تفكر فى عملية عسكرية كبرى »

أما جريدة « الجمهورية » فكانت عناوينها كالآتى :

« إسرائيل فى ذهول »

قرار زائيرى بقطع العلاقات مع إسرائيل ينزل كالصاعقة على الحكومة الإسرائيلية التى لم تفق حتى الآن من ضربة فيينا »

« إيبان يفقد أعصابه ويتهم الرئيس موبوتو بالخيانة ، وصحف إسرائيل تطالب الحكومة بتحديد حجم مساعداتها لإفريقيا » .

وكانت عناوين جريدة « الأهرام » .

« التوتر يشمل كل جبهات القتال ويشتد فى جبهة قناة السويس »

« إسرائيل تغطى تحركاتها العسكرية لتصعيد الموقف بإذاعة أنباء عن نشاط عسكرى مصرى فى القناة »

« القوات السورية تقف فى حالة استعداد كامل لرد أى هجوم للحشود الإسرائيلية المتزايدة »

« إعلان الطوارئ بين كل وحدات المقاومة »

وألقى الناس بالصحف بعد قراءتها . . وواصلوا يومهم . . اليوم رمضان وساعات العمل أقل والإنتاج أقل أيضاً . .

وليس هنـاك شيء غير عادي يكسر هذا الروتين والجمود الذى تعيشـه الناس . .
لم يكن هناك أحد يعرف أحداث الساعات القادمة . .

وفى نفس الوقت كانت هناك حياة أخرى . . كثير من قادة القوات المسلحة عرفوا بأحداث السـاعات القادمة . . وكان عليهم أن يعقدوا مؤتمرات « للتلقين » . . لإبلاغ القادة الذين يعملون تحت قيادتهم بالأمر . .

ولتبدأ سلسلة من المؤتمرات واللقاءات حتى يصل الأمر إلى كل جندى فى القوات التى ستشترك فى العمل . . وطبقاً للتوقيتات المحددة فى الخطط التفصيلية . .

كانت القوات المسلحة كلها تستعد لبدء العمليات فى اللحظة الموقوتة . .

كان قادة أفرع القوات المسلحة فى مقار قياداتهم وحولهم . . أطقم القيادة . . الخرائط مبسوطة أمامهم . . ومتابعة الموقف تتم باستمرار . .

وكانت التعليمات تقضى بفرض رقابة مستمرة على العدو ومحاولة اكتشاف هل استطاع أن يدرك نوايا القوات المصرية .

كان كل شيء يتحرك فى انتظار ساعة « س » . .

وقبل أن تحين ساعة الصفر كانت هناك جماعات من رجال الصاعقة معهم رجال من المدفعية من أطقم الصواريخ المضادة للدبابات تتسلق الساتر الترابى بعد أن عبرت القناة لتشق طريقها إلى خطوط العدو الخلفية . .

كان هؤلاء الرجال دور كبير فى الخطة . . عندما تحين ساعة « س » وينفجر كل شيء ومعه سينفجر بالتأكيد أيضاً غضب العدو وسيدفع بقواته من الاحتياطى القريب لشن هجوم مضاد بهدف إجبار القوات المصرية على التراجع .

وتقدمت جماعات الصواريخ والصاعقة على طرق طولية وعرضية شرق القنـاة للاقتراب من مسرح العمليات . .

كان من المتوقع أن تحتل الدبابات المصاطب الموجودة فى العمق القريب للضرب على قواتنا . لقد سبق للعدو تجهيز هذه المصاطب فى إطار خطته للعمل ضد أى هجوم مصرى محتمل . . وكانت تسمح له بالضرب والمناورة بين المصاطب المختلفة دون أن يظهر من الدبابة سوى الماسورة فقط وبالتالى ستجد القوات المصرية صعوبة فى إصابتها . .

كان دور هذه الجماعات أن تصل إلى خطوط العدو الخلفية قبل ساعة س . . وتحدد واجبها فى المهام التالية :

تلغيم مصاطب دبابات العدو فى العمق القريب والبعيد لمنع العدو من استخدام هذه المصاطب أولا وتكبيده قدراً من الخسائر ثانياً أثناء محاولته العمل منها . .

قطع طرق الاقتراب التى من المحتمل أن يسلكها العدو أثناء تقدمه لنجدة المواقع التى ستهاجمها القوات العابرة ووقف تقدم احتياطيات العدو التى ستندفع لشن الهجوم المضاد .

* مهاجمة خطوط مواصلات العدو الخلفية ومراكز قيادته . .

وقد نجحت هذه الجماعات فى الوصول إلى المناطق المحددة لها . . وأدت دورها فى تلغيم المصاطب ونصبت عشرات الكمائن على طرق الاقتراب وهاجمت قوافل الإمداد والتموين وقطعت بعض خطوط مواصلاته . . كما هاجمت عدداً من مراكز القيادة . واستطاعت أن تلحق قدراً كبيراً من الخسائر فى مدرعات العدو سواء أثناء تقدمها لنجدة المواقع المهاجمة أو أثناء احتلالها للمصاطب لضرب قواتنا . .

كما أوقعت طوابير المدرعات والدبابات التى تقدمت لشن الهجوم المضاد فى عشرات الكمائن وعرقلت تقدمها وألحقت بها قدرًا كبيراً من الخسائر . .

وقبل أن تحين ساعة « س » بدأ التمهيد النيرانى . .

الفصل الخامس

التمهيد النيرانى

المدفعية :

. عندما يسجل التاريخ معركة السادس من أكتوبر العاشر من رمضان فسوف تتضمن الافتتاحية أن المدفعية أول من أطلق النيران فى مسرح القتال سواء من الجبهة الغربية (مصر) أو الجبهة الشمالية (سوريا) .

وانكسر الصمت الذى ساد الجبهة خلال فترة الصباح مع دوى نيران المدفعية وبدأت مراكز مراقبة العدو التى أقامها بارتفاع ٢٤ متراً شرق القناة لمراقبة قواتنا تتهدم وتسقط . . وبدأت رؤوس العدو تختفى خلف الدشم الحصينة . . وهرع كل أفراد العدو الموجودون فى العراء إلى دشمهم للاحتماء من نيران المدفعية .

كان تصورهم جميعاً أنها قصفة مدفعية تعبيراً عن الغضب سرعان ما تهدأ وتعود الأمور كما كانت .

وبدأت بلاغات المواقع المختلفة من خط بارليف تصل إلى القيادات لإبلاغها بالأمر وخلال الدقيقة الأولى من التمهيد النيرانى سقطت على مواقع العدو ١٠ آلاف و ٥٠٠ دانة مدفعية بمعدل ١٧٥ دانة كل ثانية . .

وكانت الخطة تتضمن توجيه ٤ قصفات متواصلة ، واستمرت البلاغات تصل إلى مركز القيادة عن فتح الثغرات فى المناطق المخططة فى الموانع والأسلاك الشائكة للعدو على الميول الأمامية للساتر الترابى والنقط القوية .

وفى نفس الوقت كانت هناك مجموعات من رجال الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات والمدافع المضادة للدبابات والدبابات ترتقى الساتر الترابى غرب القناة وتأخذ مواقعها لتلقى بنيرانها على العدو . .

وعند ساعة الصفر بدأت موجات الاقتحام الأولى تشق مياه القناة بقواربها فى اتجاه الضفة الأخرى وقد رافقها ضباط ملاحظة مدفعية ووحدات صواريخ موجهة ومدافع مضادة للدبابات . .

وتوقفت نيران المدفعية فى الوقت المحدد لها عن ضرب الساتر الترابى والمواقع الحصينة فى لحظة وصول المشاة إلى الضفة الأخرى . .

إن المعدلات العالمية تقضى بتوقف التمهيد النيرانى عندما تكون المشاة على مسافة ٤٠٠ متر أو ٣٠٠ متر على أفضل تقدير حماية لأفراد المشاة من شظايا دانات المدفعية . . لكن خطة التمهيد النيرانى وضرورة استمرار القصف إلى أقرب نقطة وآخر لحظة أدى إلى استمرار القصف حتى كان المشاة فى بعض المواقع على مسافة ٢٠٠ متر وفى البعض الآخر كانت على مسافة ١٠٠ متر . .

« لقد نجح التمهيد النيرانى تماماً كما خطط له وكانت نتائجه أكثر مما كنا نتوقع » . . هكذا قال القائد وواصل حديثه . . « لقد ألحقت نيراننا بالعدو خسائر جسيمة فى الأرواح والمعدات وتم تدمير جميع تحصينات العدو الميدانية وتهدمت كل مداخل ومخارج النقط القوية لخط بارليف ، واستحالت إلى مقبرة على من فيها » كما نجحت المدفعية تماماً فى إسكات مدفعية العدو وشل جميع احتياطياته » .

ولقد أكد جميع القادة أن مدافع العدو لم تتمكن من العمل إلا بعد أكثر من ساعة وربع من نجاح الموجة الأولى لقواتنا فى اقتحام القناة والاشتباك مع العدو . . وكان هذا راجعاً إلى كفاءة التمهيد النيرانى للمدفعية وحدها واستمرت قصفات المدفعية بأنواعها وأعيرتها المختلفة تتقدم أمام القوات المتقدمة .

وقد نجح رجال ملاحظة المدفعية الذين عبروا مع موجات الهجوم الأولى فى تصحيح نيران المدفعية مما جعلها أكثر دقة وفعالية .

وكانت خطة الخداع التعبوى للقوات المسلحة دقيقة حتى إن العدو لم يتنبه لدخول المدافع إلى مواقعها خلال المرحلة الأخيرة من الاستعداد أو لتشوين الأطنان من الذخيرة التى تحتاج إليها المدافع فى بعض مرابض النيران .

وراعت القيادة السرية الكاملة فأخفت على القادة من مختلف المستويات المهام

الحقيقة حتى الساعات الأخيرة وصباح السادس من أكتوبر العاشر من رمضان كانت منطقة المواجهة هادئة تماماً . .

فى نفس هذا الوقت كان القادة وضباط هيئة الأركان يأخذون أماكنهم .

وقبل بدء المعركة بساعات استدعى مدير المدفعية للقاء القائد العام حيث أخطره بساعة الصفر . .

ودارت العجلة . . عاد المدير إلى مركز قيادته ليأمر بإعداد الوثائق المطلوبة وليبلغ قادة مدفعيات الجيوش بساعة الصفر » .

وانتقل البلاغ من المستويات الأعلى من القادة إلى المستويات التى تليهم وفقًا لدور كل منهم .

وأصدر المدير أمراً ببدء التمهيد النيرانى وفقاً للعملية « بدر » .

وقبل ١٥ دقيقة من ساعة الصفر كان هناك أكثر من ٢٥٠٠ مدفع بالإضافة إلى مجموعة صواريخ أرض – أرض متوسطة المدى تفتح أبواب الجحيم على مواقع العدو المختلفة .

كان معنى هذا أن هناك فى كل ١١ متراً مدفعاً يطلق نيرانه وهو أكبر رقم شهده ميدان الشرق الأوسط . . سواء من ناحية العدد أو كمية النيران ، وإذا قلنا إن روسيا قد حشدت ١٠ آلاف مدفع فى جبهة روسيا البيضاء التى وصلت إلى برلين أى بمعدل مدفع كل ٤ أمتار فإن هذا الحشد قامت به عشرة جيوش . . أما الحشد المصرى فقد قام به جيشان فقط . . أى أنه كان أكبر حشد مدفعية فى العالم » .

وقد راعى المخططون التنسيق مع القوات المسلحة السورية بالإضافة إلى التنسيق بين توقيتات التمهيد النيرانى وتوقيتات الضربة الجوية المركزة لقواتنا الجوية .

واشتملت الخطة على توقيتات العمل ساعة بساعة على كل محور مع مراعاة تحقيق التفوق على العدو المحتمل مواجهته طوال المراحل المختلفة .

وبعد انتهاء مرحلة التخطيط بدأت مرحلة الحشد . . وهى أولى مراحل التنفيذ ، وكانت هذه المرحلة مرتبطة بخطة الخداع التعبوى على مستوى القوات المسلحة ، وكانت الصعوبة هى كيفية حشد هذا العدد الهائل من وحدات المدفعية دون أن تلفت نظر العدو إليها .

وبدأت عملية تعويد العدو على دخول وخروج وحدات المدفعية إلى مواقعها المختلفة لترويضه على التحركات المستمرة ، وخلال هذه المرحلة تمت عملية التجميع للهجوم مع الاستفادة بالمواقع الهيكلية .

والحقيقة أنه منذ يوليو عام ١٩٦٧ بدأ إعداد المدفعية لأداء دورها .

وبدأ إعداد الدراسات عن مسرح العمليات المقبل واحتياجاته من المدفعيات والأعيرة .

كان لابد من توفير مدفعية وأعيرة لتدمير تحصينات خط بارليف وفتح الثغرات فى حقول الألغام ، والأهم تحقيق التفوق الساحق فى حجم النيران لستر تقدم القوات .

وكانت هناك مشكلة مواجهة مدرعات العدو التى تعتمد عليها استراتيجيته ومواجهة اللحظات التى تلتقى فيها قوات المشاة — بعد اقتحامها قناة السويس وبدء الاستيلاء على كل مواقع خط بارليف المنيع — بمدرعات العدو قبل أن تتاح الفرصة لمدرعاتنا لعبور القناة . .

وكان الحل الذى وجدته المدفعية وبدأت تضعه موضع التنفيذ هو بناء مدفعية مضادة للدبابات قادرة على صد هجمات العدو المدرعة .

كذلك . . بدأت المدفعية تخطط لاستخدام الصاروخ أرض — أرض بعيد المدى للوصول إلى عمق العدو .

وخلال هذه المرحلة أيضاً بدأت المدفعية تركز على استخدام معدات الاستطلاع الحديثة والحواسب الإلكترونية لاكتشاف وتحديد مدفعية العدو وإدارة النيران عليها فوراً .

وكانت قيادة المدفعية تؤمن كما تؤمن كل القيادات المصرية أن السلاح بالفرد وليس الفرد بالسلاح ، ووضعت إيمانها فى برامج تدريب متصلة لبناء المقاتل المتخصص على كافة المستويات واستهلكت كميات كبيرة من الذخيرة الحية برغم الحاجة إليها وقبلت خسائر فى الأرواح والمعدات من أجل توفير واقعية التدريب .

وأجريت عشرات ومئات المناورات لجميع المستويات بالذخيرة الحية مع التدريب على إدارة النيران وسيطرة القائد على عدد كبير من وحدات المدفعية والمناورة بها فى صورة قريبة جداًّ من صورة الحرب ، ووصل الأمر فى التدريب إلى إمكانية السيطرة وإدارة نيران مدفعية جيش ميدانى .

وركزت المدفعية على تدريب أطقم المدافع والصواريخ المضادة للدبابات فمثل هؤلاء

الرجال العراة من الدروع عليهم مواجهة دروع العدو . . وإذا كان ظهور الدبابات قادراً على إثارة الفزع لعناصر المشاة فيجب تدريبهم على مواجهة هذه المواقف بثبات . . ليس ذلك فقط بل والتحكم فى نيرانهم لتدمير العدو . .

وإذا كان الميدان لا يسمح بإطلاق النار أكثر من مرة فعليهم إجادة استخدام مدافعهم وصواريخهم وتدريبهم على إصابة العدو منذ الطلقة الأولى أو الصاروخ الأول . .

وامتلأت هذه المرحلة بالابتكارات التى توصل إليها الرجال ، عشرات الآراء الجديدة تمت دراستها ووضع الصالح منها موضع التنفيذ .

أقامت قيادة المدفعية موقعاً حصيناً مشابهاً لمواقع خط بارليف فى أحد ميادين التدريب وتم إجراء أكثر من عشرين تجربة للوصول إلى أفضل الأساليب سواء للقصف بالنيران أو فتح الثغرات فى حقول الألغام . .

ولقد كانت معارك الاستنزاف عامى ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ فى الحقيقة ذات فائدة عظيمة للمدفعية ، فقد أعطتها الفرصة كاملة لتحديد مواقع مدفعية العدو وأساليبه فى استخدامها واستطاعت أن تعرف أسلوب استخدام العدو لاحتياطياته وأماكن وجودها ، كما درست نظم العدو الدفاعية ودفاعاته المختلفة بنقط الضعف والقوة فيها وتمكنت من رصد الأهداف المختلفة وتحديد مسافاتها واتجاهاتها بدقة .

كانت فترة دراسة علمية وعملية ، فبعد كل اشتباك كان يجرى تحليل علمى دقيق لاستخلاص الدروس المستفادة وأوجه القوة والضعف وتعميم النتائج على كل الوحدات .

ومنذ بدأ عام ١٩٧٣ بدأت مرحلة التخطيط للمعركة . . والتخطيط عادة يمثل أصعب وأدق المراحل لضرورة إيجاد حل لكل المشاكل المنتظر مواجهتها طوال المعركة وراعت القيادة أثناء التخطيط :

* معاونة الوحدات القائمة بالهجوم بأكبر كمية ممكنة من النيران بما يضمن لها سلامة الوصول إلى أهدافها تحت ستر نيران المدفعية .
* وجود احتياطى للتأثير به فى المعركة فى أى وقت وأى مكان .
* تدمير خط بارليف وفتح الثغرات فى حقول الألغام والموانع فى وقت قصير .
* قدرة أطقم الصواريخ والمدفعية المضادة للدبابات على صد هجمات العدو المضادة

بالدبابات على طول الفترة السابقة على وصول المدرعات المصرية شرق القنـاة .

* مرونة الاستخدام والقدرة على حشد نيران المدفعية فى أى مكان مع تغطية مواجهة القناة بالكامل بالنيران .
* تدمير نسبة كبيرة من قوات العدو المدرعة خلال الأيام الأولى .
* إرباك قيادات العدو ومراكز سيطرته فى العمق .
* ضمان استمرار النيران المعاونة فى العمق .

كذلك فقد تضمن التخطيط حشد آلاف من قطع المدفعية المدرعة على مواجهة قناة السويس ، وكان هذا الرقم المنشود يمثل أربعة أضعاف عدد المدافع التى تم حشدها فى معركة العلمين فى كلا الجانبين المتحاربين لتحقيق التفوق على مدفعية العدو لضمان سيطرة نيران المدفعية المصرية فى مسرح العمليات .

الضربة الجوية

عندما أشارت عقارب الساعة إلى الثانية بعد ظهر السادس من أكتوبر العاشر من رمضان ظهرت فى سماء المنطقة الممتدة من بور سعيد شمالا حتى السويس جنوباً ٢٤٠ طائرة متجهة إلى الشرق . .

وكان المهندسون ووحدات العبور الأولى تتحرك . .

وكانت القوات البرية للجيشين الثانى والثالث تتخذ طريقها من المواقع التى انتظرت بها طويلا إلى الشرق لوضع قرار القائد موضع التنفيذ . . وعندما سمعوا أصوات الطائرات تعلقت بها أبصارهم فى محاولة لاستيعاب هذا المشهد العظيم . . فلكم تمنوا طويلا أن يقاتلوا وطائراتهم فوق رؤوسهم . . وحلقت فى السماء موجات متتالية من الطائرات تشارك بضوضائها فى هذا المزيج من الانفجارات المكتومة والصاخبة لقذائف المدفعية ومدافع الدبابات التى علت الساتر الرملى المصرى على الضفة الغربية لتطلق نيرانها من مصاطب سبق إعدادها على احتياطيات العدو القريبة . .

وقد أقلعت هذه الموجات من الطائرات من أكثر من ٢٠ قاعدة جوية ومطاراً .

كانت المهمة التى حمل عبئها نسور مصر خلال هذه اللحظة الرائعة المجيدة كما تحددت فى الخطة توجيه ضربة جوية مركزة فى شكل ضربات سيطرة لمنع قوات العدو الجوية من التدخل ضد قواتنا التى تقوم بعبور القناة لاجتياح خط بارليف وشل فاعلية مراكز قيادة العدو وتدميرها وتدمير مراكز التوجيه والشوشرة الإلكترونية ، وكل وسائل الدفاع الجوى : قواعد صواريخ هوك الموجهة المضادة للطائرات أو المدفعية المضادة للطائرات والرادارات والقواعد الجوية والمطارات . .

ونجحت قواتنا الجوية فى تحقيق المهام المحددة لها ، قصفت مطارى المليز وتمادا شرق حائط سيناء الجبلى ومطار رأس نصرانى فى الجنوب ومركز الشوشرة فى أم خشيب شمال شرق سيناء ومركز القيادة والسيطرة فى أم مرجم بنفس المنطقة كما نجحت فى تدمير ١١ قاعدة صواريخ هوك وكل رادارات العدو على امتداد منطقة المواجهة ، وصبت نيرانها على مناطق حشد مدفعيته بعيدة المدى عيار ١٧٥ مم وقد أصيب مطار المليز بخسائر جسيمة حالت دون استخدام العدو له لمدة ٧٢ ساعة كما كان له ٦ طائرات فانتوم على الممرات تم تدميرها قبل أن تنجح فى الإقلاع ، أما مطار تمادا فلم يستخدم لمدة أسبوع .

ونتيجة للدمار الذى لحق بمركز القيادة والسيطرة فى أم مرجم لم يستطع العدو إصلاحه وإعادة تشغيله وانتقل للعمل من العريش ، وأدى هذا إلى ارتباك فى قيادة العدو استمر فترة طويلة .

وقد حققت صواريخ القاذفات الثقيلة من طراز تييلوف ١٦ مهمة كانت تبدو صعبة وعسيرة ، هى إصابة وتدمير هوائيات مركز الشوشرة الضخمة فى أم خشيب خلال القصفة الأولى مما حرم العدو من إمكانية استخدامه منذ اللحظة الأولى .

وبعدها استطاعت القصفات التالية أن تدمره تماماً ، ولم يستطع العدو تجديده بعد ذلك أو إعادة استخدامه ، واضطر لاستخدام مراكز شوشرة طائرة .

وأتاح هذا النجاح المبكر لوسائل دفاعنا الجوى حرية العمل طوال فترة العمليات .

ولقد عاشت القوات الجوية طوال السنوات الست الماضية تستعد لتوجيه هذه الضربة . . وكان هناك إدراك لأهميتها والنتائج التى سوف تترتب عليها .

واستفادت القيادة المصرية من النجاح الذى حققه العدو فى معركة عام ١٩٦٧ . . وعت الدروس المستفادة منه وزرعت عشرات المطارات فى الدلتا والصعيد . . وأقيمت عشرات الدشم الحصينة لحماية قواتنا من ضربة مفاجئة أخرى .

وأقيمت عشرات النماذج للأهداف المعادية فى مناطق مختلفة فوق أرض مصر بنفس المقاييس والاتجاهات ، وواصل الطيارون التدريب على هذه الأهداف والنماذج ليل نهار . . يقلعون من مطاراتهم لضرب هذه الأهداف يتبعون نفس أسلوب الاقتراب والتعامل مع الهدف ، يراعون الارتفاعات والاتجاهات وتجنب وسائل الدفاع الجوى وراداراته .

وأصبحت المهمة جزءاً من الحياة اليومية لكل طيار له دور فيها . . ومع كل دفعة تتخرج من الكلية الجوية يتزايد عدد الطيارين وتزيد ساعات التدريب ، جيل يعلم جيلا على طريق الهدف الواحد لكل نسور مصر . . دحر العدو الجوى وتدمير أهدافه . وخسرنا بعضاً من أفضل الطيارين خلال سنوات التدريب كانوا أول الشهداء . . وواصلت القافلة المسيرة . ساعات تدريب بالآلاف . . . وتجارب بالمئات حتى تسربت المهمة إلى النسيج الفكرى للطيارين وأصبحت جزءاً من نبضات قلوبهم وجرت مجرى الدم فى عروقهم . .

كانت القيادة وكان الطيارون يعلمون أن طائراتهم جيدة ويعلمون أيضاً أن طائرات عدوهم أفضل . . وحاولوا التغلب على هذه الفجوة بمزيد من ساعات الطيران والتدريب لاستيعاب طائراتهم تماماً وامتلاكها وتطويعها لإرادتهم . . حتى يسيطروا عليها تماماً كما يسيطرون على حركات أجسامهم .

وكانت القيادة والطيارون يعلمون مدى كفاءة السلاح الجوى للعدو وكفاءة طياريه . . وكان عليهم أن يعملوا فى ظل هذا . . كان للسلاح الجوى المعادى كل المجد والسمعة الطيبة طوال السنوات الماضية ، وكان عليهم هم الذين حرمتهم الظروف من قتاله فى ظروف متكافئة أن يواجهوه الآن ، كانت أمامهم طوال السنوات الماضية كل المعلومات والتفاصيل عن طائراته وأسلحته وأساليبه القتالية دفاعاً وهجوماً ، وكان من بينها تقرير يوضح أنه قادر على التدخل ضد قواتنا الجوية فى حالة هجومها على أهداف داخل سيناء

خلال فترة تتراوح بين خمس وسبع دقائق منذ لحظة اكتشافها . ومثل هذا الزمن يسمح لقواته بمنع قواتنا من الوصول إلى أهدافها داخل سيناء .

كما كانت هناك مظلة جوية شبه دائمة بسيناء للتدخــل فى فترات أقل ضد أى هجوم جوى .

ووضعت القيادة الجوية هذا فى اعتبارها عند وضع خطة الضربة الجوية المركزة ، ونجحت يوم السادس من أكتوبر فى مفاجأة العدو سواء من ناحية التوقيت أو الأعداد التى اشتركت فى تنفيذ المهمة .

وكان ظهور مئات الطائرات فى السماء ونجاحها فى ركوب جميع مطاراته ووسائل دفاعه الجوى سبباً فى طرد طائراته من السماء .

واضطرت مظلته الجوية التى كانت مكونة من ٨ طائرات والموجودة فى المنطقة المحصورة بين القناة ومطار المليز إلى الانسحاب إلى عمق إسرائيل .

وبعد تدمير رادارات الإنذار وقواعد صواريخ الهوك ومركز التشويش الألكترونى وانسحاب طائرات المظلة أصبحت السماء ملكاً للقوات الجوية لتواصل تحقيق المهمة .

واشتركت القوات الجوية بأعداد كبيرة من القاذفات الثقيلة من طراز تيبلوف ١٦ والقاذفات المقاتلة من طراز سوخوى ٧ والمقاتلات القاذفة من طراز ميج ١٧ وطائرات تدريب من طراز ل ٢٩ تم إعدادها للاشتراك فى القصف الجوى لقصف مواقع العدو وأهدافه الموجودة فى الخطة ، ودفعت بعشرات من المقاتلات الاعتراضية من طراز ميج ٢١ للعمل كمظلة حماية للطائرات الأخرى .

وكانت كل موجة من هذه الطائرات تفرغ حمولتها من الذخائر والنيران فوق الأهداف المحددة لها . . بعدها تصل موجة أخرى . . وهكذا . .

وتعود كل موجة إلى القاعدة التى انطلقت منها ليعاد إعدادها لمواصـــلة تنفيذ المهمة . .

وكانت الحركة فى القواعد الجوية والمطارات لا تهدأ ولا تتوقف لحظة ، والعمل الضخم الذى قام به المهندسون والفنيون كان من أسباب سرعة تدفق الموجات الجوية إلى السماء ، كانوا جميعاً كآلة بشرية ضخمة منتظمة الإيقاع . .

تصل الطائرات ، فوراً يتجه إليها رجال للكشف عليها . . والتفتيش على المحرك ومعدات الأمان . . ويقوم آخرون بإعادة ملئها بالوقود وتموينها بالذخائر المطلوبة وفقاً للمهمة المحددة لها . . بعدها تعود الطائرة للإقلاع مرة أخرى . .

واستطاع هؤلاء الرجال أن يختصروا الوقت المحدد لإعادة ملء الطائرة وتموينها والكشف على صلاحيتها لإعادة الإقلاع . وقد ساد الجميع فى هذه القواعد والمطارات بعض التوتر عقب إقلاع الموجات الأولى . .

لكن هذا التوتر تحول إلى لهب من الحماسة عقب وصول الموجة الأولى بكل النتائج التى حققتها . .

ونجحت القوات الجوية فى ضربتها المركزة .

وكان الثمن أربع طائرات . . أربع طائرات فقط . . هى كل ما تقاضته الحرب من القوات الجوية مقابل ذلك العمل العظيم . . فى اليوم العظيم . .

المهنـــدسون

وجاء دور المهندسين . .

هدرت المدافع على امتداد الجبهة وانطلقت أكثر من ٢٠٠ طائرة لقصف أهداف العدو الحيوية . . ومع ساعة « س » الساعة ٢,٢٠ بدأت موجات الاقتحام الأولى من خمس فرق مشاة تعبر القناة فى قواربها لمهاجمة مواقع خط بارليف والاستيلاء عليها والانطلاق شرقاً . . وفى نفس الوقت كانت جماعات قطع طرق لمنع تقدم قوات العدو للهجوم المضاد قد احتلت مواقعها . . وكانت جماعات الصاعقة تقوم بتلغيم مصاطب الدبابات فى العمق القريب وتهاجم فعلاً طرق إمدادات العدو وبعض مواقعه فى العمق . . وكان على المهندسين أن يبدأوا دورهم فى الخطة . .

وحقيقة راعت الخطة عند وضع هذه التوقيتات سلامة الأفراد والمعدات . . فالمهندسون سلاح مقاتل بدون قوة نيران . وسوف يعمل رجاله وظهورهم إلى العدو . . وسيعملون تحت نيرانه . . وسيؤثر ذلك على كفاءتهم وقدرتهم على الاستمرار فى العمل الحيوى

المنوط بهم . . كما ستكون المعدات عرضة للتدمير ، سواء من النقط القوية لخط بارليف أو مدفعية وطيران العدو . وبالتالى تقرر أن يبدأوا العمل بعد أن تكون المشاة قد نجحت فى الاستيلاء على النقطة المعينة وتأمين عملية الإنشاء وهذا ما يطلق عليه عسكرياً تأمين رأس الشاطئ إلى عمق من ٣ إلى ٥ كيلومترات مما يحقق لوحدات المهندسين وقاية مناسبة تمكنهم من العمل .

وعندما جاءت ساعة « س » وبدأت موجات المشاة فى العبور واقتحام القناة لم تلتزم وحدات المهندسين بالتوقيتات المحددة لهم . . وبدأت مجموعاتهم فى العبور مع المشاة إلى الضفة الأخرى يحملون معهم طلمباتهم التوربينية ومدافع المياه لبدء عملهم . كما بدأت وحدات إنشاء الكبارى فى التحرك نحو المانع المائى لإسقاط البراطيم فى المياة . .

أولا : لم يستطيعوا الانتظار وهم يرون القتال قد نشب . .

ثانياً : يعلمون أن حماية رؤوس الكبارى تتوقف على تدفق الأسلحة والمعدات الثقيلة شرقاً خاصة الدبابات . . نعم ستتمكن المشاة من الاستيلاء على الكثير من مواقع خط بارليف . . وستنجح فى إنشاء رؤوس كبارى . . ولكنها ستكون هدفاً لهجمات العدو المضادة المدرعة . . ولن تتمكن بتسليحها الخفيف من صد هذه الهجمات التى توقعت القيادة أن تكون ضارية . . ووجود الدبابات مع المشاه سيمكنها من صد الهجمات المضادة المدرعة وحماية رؤوس الكبارى . . حماية العمل الذى حققوه . .

ومعنى أن يبدأوا العمل قبل التوقيت المحدد فى الخطة اكتساب وقت ثمين . . ودفع المدرعات شرقاً مع المدفعية لدعم رؤوس الكبارى قبل التوقيت المحدد . . ومعناه القدرة على مواجهة أية عقبات تؤخر عمليات الإنشاء . . ومع هذا فقد التزمت بعض مجموعات العمل بالخطة وانتظرت .

العمل على الساتر الترابى :

وعبرت وحدات المهندسين وبدأت عملها على الشاطئ الشرقى لفتح الممرات . . كان القتال محتدماً وضارياً عندما بدأت مدافع المياه تقذف المياه من القناة بسرعة عالية فى المناطق المحددة لفتح الممرات .

كان التخطيط المسبق قد حدد عدد الممرات المطلوبة فى قطاع كل فرقة : فى القطاع الشمالى حيث تتمركز الفرقة ١٨ فى الشمال ثم الفرقة الثانية تليها جنوباً بعدها تأتى الفرقة ١٦ بينما تمركزت فى القطاع الجنوبى الفرقة ٧ والفرقة ١٩ . .

كانت الخطة تحتاج إلى فتح أكثر من ٤٥ ممرًا فى القطاع الشمالى وحوالى ٢٨ ممرًا فى القطاع الجنوبى . . وفى المتوسط كانت كل فرقة تحتاج من ١٠ إلى ١٦ ممراً .

وطوال فترة التخطيط للعمليات كانت تجرى دراسات لاختيار مناطق فتح الثغرات فى الساتر الترابى . كان من الضرورى أن تخدم هذه الممرات خطة العمليات وخطة الخداع . . وتمكن القوات من المناورة بالمعدات من كبارى ومعديات وبرمائيات على هذه الممرات طبقاً لسير العمليات وظروف تدخل العدو وديناميكية الحركة .

كما كان من الضرورى أن تكون هذه الممرات فى مواجهة المحاور الرئيسية لتقدم قواتنا وأن تلبى فى نفس الوقت احتياجات الاتجاهات الثانوية للجيشين الثانى والثالث . . وكان مقدراً فى الخطة أن العمل فى القطاع الشمالى لن يواجه المتاعب بنفس القدر الذى سيواجهها فى القطاع الجنوبى نظراً لطبيعة التربة والساتر الترابى فى القطاعين . . فى القطاع الشمالى التربة رملية والساتر مكون من الرمال وناتج حفر القناة . . وفى القطاع الجنوبى التربة طفلية طينية متكلسة والساتر ممتد فى اتجاه الشرق بعمق يصل إلى حوالى ٢٠٠ متر .

وإذا كانت المياه تستطيع أن تجرف الساتر الرملى فى القطاع الشمالى بسهولة فإن الأمر لن يكون بنفس السهولة فى القطاع الجنوبى . . وكان معلوماً أن متر المياه فى القطاع الشمالى سيجرف متراً من الرمال . . لكن هذه النسبة ستقل بالضرورة فى حالة التربة الطفلية الطينية المتكلسة فى القطاع الجنوبى للقناة . وقد أعد سلاح المهندسين أسلوباً يتدرج بين التجريف بالمياه والنسف باستخدام المفرقعات لفتح الثغرات فى القطاع الجنوبى . . وفى نفس الوقت وطبقاً لخطة الخداع تأخر وصول الطلمبات التوربينية من الخارج حتى لا تلفت هذه الخطوة نظر العدو . .

وكان التدريب يتم على الطلمبات الموجودة فعلا وبمعدل يسمح بتدريب كل مجموعات العمل التى ستؤدى دورها أثناء العمليات . .

وقد تضمنت خطة التدريب تدريبات مشتركة بين وحدات الكبارى ووحدات فتح الثغرات لرفع مستوى العمل وتحسين مستوى الأداء بقدر الإمكان .

ومن أسرار هذه العملية أن وصول الطلمبات التوربينية استمر حتى بداية شهر أكتوبر وقد وصلت آخر دفعة قبل العمليات بأيام . . وكان من المقرر أن تصل دفعات أخرى من الخارج . . بعد هذا ، وقد أخطرت الشركة المصدرة بإرسالها بواسطة البحر . . فعامل السرعة لم يعد ضرورياً بعد فتح الثغرات فعلا . .

وكان تأخر وصول جزء من الطلمبات حتى بعد بدء العمليات أحد بنود خطة الخداع . .

وخلال فترة التدريب استطاع الرجال فتح الثغرات فى أرض التدريب المشابهة تماماً لساتر خط بارليف الترابى خلال فترة تتراوح بين ٢,٣٠ ساعة ، ٤ ساعات وقياساً على الرقم الذى بدأوا به يمكن القول إن هذا الرقم الذى وصلوا إليه يعد رقماً قياسياً ، فقد فتحوا الثغرة فى بداية التدريب فى فترة تتراوح بين ١٢ – ١٥ ساعة بالوسائل الأخرى . . .

هذا العمل الذى قامت به جماعة عمل عسكرية صغيرة يحتاج فى الحياة المدنية إلى ساعات عمل أكثر . . وعدد أكبر من الرجال . .

فالمطلوب فى كل ثغرة رفع ما يقرب من ١٥٠٠ متر مكعب إلى ٢٠٠٠ متر مكعب ، مثل هذا الحجم يمكن لعدد يصل إلى ٥٠٠ رجل تنفيذه خلال ١٠ ساعات عمل متواصل . وباستخدام ٥ بولدوزرات يمكن تنفيذه خلال ١٠ ساعات عمل تحت ظروف السلم التى توفر للعاملين فيها كل ظروف الأمان . .

أما مجموعات العمل العسكرية القليلة العدد فإنها لا يمكن أن تقوم بهذا العمل فى توقيتات مشابهة للقطاع المدنى . . وإلا كانت النتيجة تعريض رؤوس الجسور للمخاطر . . كان على هذه الجماعات أن تختصر الساعات التى يحتاج إليها فتح الثغرات وأن يكون ذلك تحت ظروف قتال . وعندما بدأ العمل فى القطاع الشمالى وبدأت جماعات فتح الممرات فى العمل استطاعت أن تحقق قدراً كبيراً من النجاح . . واستغرق فتح ممرات القطاع الشمالى – منطقة عمل الجيش الثانى – فترة تتراوح بين ساعتين ونصف و ٤ ساعات كما تحقق خلال التدريب فعلا ، بالرغم من تدخل العدو . .

أما فى القطاع الجنوبى فقد صادفت الوحدات بعض الصعوبات نظراً للطبيعة القاسية للتربة المتكلسة وتدخل العدو المستمر . .

وبرغم صلابة التربة والظروف التى تعمل خلالها استمرت كل وحدات القطاع الجنوبى فى العمل حتى تحقق لها النجاح صباح يوم ٧ أكتوبر – اليوم الثانى للعمليات – وقد انتهى العمل فى أول ممر بعد ٨ ساعات عمل . . وكان ذلك ساعة س + ١٢ . . وانتهى العمل فى آخر ممر فى ساعة س + ١٤ . .

وكانت كل مجموعة عمل لفتح الممرات تتكون من :

* عنصر من وحدات الكبارى لعمل الرصيف الشرقى للكوبرى .
* عشرة مهندسين عسكريين لاستخدام الطلمبات وفتح الممر .
* مهمات تثبيت طرق مثل « الحصير الشبك » .
* بلدوزر لإزالة الأوحال .
* عدد من الطلمبات .

وقد تعرضت هذه المجموعات لقدر كبير من الخسائر استشهدت فيها فصائل بكاملها ودمرت معداتها . .

كانت هذه المجموعات تعمل تحت نيران النقط القوية لخط بارليف التى كانت لا زالت تقاوم وتحت نيران الغارات الجوية المستمرة التى تستهدف وقف العمل أو عرقلته على الأقل . .

ومع مرور الوقت كان تدخل العدو الجوى يزداد وكان الرجال فى نفس الوقت يتحملون الخسائر ببسالة ويتقبلونها ببساطة لأن هدفهم الاستمرار فى العمل .

وقد نتج عن القصف الجوى دفن بعض أفراد هذه المجموعات أحياء . . ولم يتوقف باقى أفرادها عن العمل . . نجحوا فى إنقاذ الأحياء وإخراج جثث الشهداء . .

كانت خسائر أى مجموعة لا تؤثر على عمل المجموعات المجاورة . . وخسائر أى مجموعة لا تؤثر على معنويات الباقين منها . .

واستمرت كل المجموعات فى العمل للانتهاء من دورهم الحيوى . . كانت هناك عقيدة قتالية راسخة لهؤلاء الأبطال بأن هذه الممرات فى الساتر الترابى ستكون شرايين

الحياة للقوات التى تقاتل شرق القناة منذ ساعات . . . وأن تدفق الدبابات ضرورة لاستمرار العمل العظيم لتحرير التراب المصرى المحتل .

وقد لجأ بعض قادة المجموعات إلى تخصيص جزء من رجالهم للتعامل مع النقط القوية بالنيران حتى يتمكن باقى الجنود من العمل . .

وبعد نجاح هذه المجموعات فى عملها لم يشعر أى فرد منهم أن دوره قد انتهى . استمروا فى العمل على رؤوس الكبارى . .

عندما بدأت موجات المشاة فى اقتحام القناة . . وبدأت مجموعات المهندسين فى التقدم مع موجات المشاة الأولى . . اندفع أفراد من المدنيين للمساعدة فى نقل الطلمبات والقوارب . . واستمروا فى القيام بهذا الدور . . وقد عبرت أعداد منهم القناة مع القوات شرقاً . .

إنشاء الكبارى :

كان المفروض أن تتحرك وحدات الكبارى طبقاً للتخطيط ساعة س + ٢ ساعة ونظراً لنجاح المشاة المبكر تقرر تغيير برنامج العمل والبدء فى التحرك حوالى ساعة س + ١ ساعة وتحركت مئات العربات المحملة بقطع ومعدات الكبارى فى اتجاه القناة على شبكة الطرق الكبيرة التى سبق شقها لفتحات لبدء العمل فى إنشاء الكبارى والمعديات . .

ولكن ما هو الكوبرى العسكرى ، ما الفرق بينه وبين الكوبرى المدنى ؟

الكوبرى العسكرى كوبرى اقتحام يتم تحميله فى عربات وإسقاطه فى مناطق الإنشاء حمولته أكبر من الكبارى المدنية ويمكن التحكم فى حمولته لتلبية أوزان معدات القتال الثقيلة . .

والشرط الرئيسى فى الكوبرى العسكرى أن يكون سهل النقل . وإذا كان الكوبرى المدنى يحتاج إلى سنوات لإنشائه فإن ظروف العمليات الحربية لا تحتمل كل هذا الانتظار . . وبالتالى وطبقاً لما تقتضيه عوامل السرعة فإن المفروض أن ينتهى بناء الكوبرى

العسكرى خلال وقت يحسب بالدقائق أو الساعات على أكثر تقدير . . وأن يتم تدريب أطقم إنشاء مثل هذه الكبارى على العمل تحت تدخل العدو . .

والعنصر الأساسى فى الكوبرى العسكرى هو « البرطوم » وهو صندوق عائم من الصلب فوقه منشأ علوى لحمل الحمولات .

ولسهولة المناورة بالكوبرى العسكرى يجب أن يتوفر له ميزة سهولة وسرعة التركيب والفك . . مثل هذه الميزة تجعل من السهل انتشار أو تغيير محوره لتجنب عمليات القصف الجوى والمدفعى . .

ويجب أن يتوفر للكوبرى العسكرى سرعة وسهولة الصيانة والإصلاح لمواجهة التلفيات التى تحد من نتيجة القصف المدفعى أو الجوى .

وتراعى أسلحة المهندسين فى العالم ضرورة وجود مادة طافية داخل البرطوم لمنعه من الغرق فى حالة الإصابة .

ويمتاز الكوبرى العسكرى أنه عند إصابة أحد أجزائه يمكن رفعها وإحلال قطعة بديلة من الاحتياطى . . كما يمكن استخدام الأجزاء الباقية وتحويلها إلى معديات فيما لو أصبح الاحتياطى غير كاف . .

كما أنه يمكن إنشاء كبارى بحمولات أقل للاستفادة من القطع غير المصابة عند تعرض الكوبرى للقصف الشديد .

وعند التخطيط لإنشاء الكبارى أجريت عدة دراسات لحل مشكلة تنظيم الأرتال والأقوال المتحركة التى تحمل الكبارى أثناء التحرك . . فبعض الكبارى تحتاج إلى أكثر من ٢٥٠ عربة ويصل طول قول كتيبة الكبارى إلى ١٠ كيلومترات مثل هذا القول لو تحرك من شبرا يمكنه أن يؤثر على المرور فى الجيزة وبالتالى ماذا يكون الموقف عند تحرك عشرات الوحدات . . وكانت خطة التحرك ليلية أساساً وفى عدة اتجاهات فى نفس الوقت لتحقيق خطة التحرك الأساسية وخطة الخداع . .

وفى الوقت نفسه بدأت عملية إعداد للطرق التى سوف تتحرك عليها هذه الأرتال من مناطق التمركز سواء فى القاهرة أو أية مناطق أخرى ومن مناطق التدريب فى اتجاه مناطق التجمع الخلفية . . ثم التحرك من هذه المناطق إلى القناة .

كانت مشكلة إعداد الطرق مشكلة حيوية لكل القوات المسلحة لتحقيق السيولة والانسيابية للتحركات وضمان تدفق القوات بالمعدلات العالية المطلوبة مع معداتها الثقيلة المتنوعة .

وقد ساهمت هيئة الإمداد والتموين فى حل هذه المشكلة بالتعاون مع سلاح المهندسين ومؤسسات وشركات القطاع المدنى وقبل بدء العمليات كان هناك أكثر من ١٥٠٠ كيلومتر طرق طولية وعرضية فى منطقة القناة لخدمة عملية الاقتراب والإخلاء لهذا العدد الكبير من العربات التى تحمل المعدات مع وقاية هذه الشبكة الكبيرة بسواتر ترابية بها شباك تمويه معدنية لإعاقة الرادار ، تغطى كل طرق الاقتراب .

وراعت الخطة أن تكون مناطق التجمع الخلفية على مسافة تتراوح بين ساعة وساعتين من القناة . . وهذه المسافة تجعلها مكشوفة من مراكز مراقبة العدو على الضفة الشرقية التى يمكنها كشف حتى ٢٥ كيلومتراً . .

وتحريك هذه الأرتال الكبيرة فى اتجاه مناطق التجمع الخلفية سيثير انتباه العدو . . وراعت خطة الخداع ضرورة التغلب على هذه المشكلة بعاملين أولهما أن يتأخر نقل معدات الكبارى وتحريكها من مناطق التمركز حتى الأيام الأخيرة التى تسبق يوم « ى » ، وثانيهما أن يعتاد العدو رؤية تحركات الكبارى فى اتجاه القناة وإلى الخلف بصفة مستمرة تحت ستار التدريب . . ووصل الأمر إلى حد نقل هذه الكبارى إلى منطقة البلاح على القناة مباشرة وتركيبها كجزء من خطة خداع العدو . . وفى نفس الوقت لتدريب القوات على العمل على القناة مباشرة . .

وساهمت هذه التحركات على ترويض العدو على نمط معين للتحركات حتى يمكن تضليله وخداعه عند التحرك للعمليات . . وفى الوقت نفسه تم إعداد حفر فى منطقة التجمع الخلفية لإخفاء أجزاء الكبارى أثناء عملية التحرك الخداعية . . وكان استبقاء المعدات فى هذه الحفر يكلف الكثير . . ولم يكن هناك حل آخر . . سوى مراعاة البقاء فى هذه المناطق لأقل وقت ممكن .

وفى نفس الوقت تضمنت خطة العمليات التحرك ببعض الكبارى رأساً من القاهرة . . ولزيادة تضليل العدو راعت الخطة إنشاء مناطق تجمع أصلية وتبادلية ومناطق تجمع

خداعية . . كما راعت أن تتوفر الحماية لهذه المناطق بواسطة قوات الدفاع الجوى حتى لا تكون عرضة للهجوم الجوى فى حالة اكتشافها . . وواجهت الخطة عدة صعوبات على الشاطئ القريب . . الشاطئ الغربى للقناة . . كانت هناك مشكلة الساتر الترابى الذى أنشأته قواتنا بالإضافة إلى المنشآت الدفاعية الأخرى . .

وقد أقيم الساتر الترابى على الضفة الغربية لإخفاء تحركات قواتنا على الطرق الغربية وحمايتها فى نفس الوقت من أية عمليات هجومية يمكن أن يقوم بها العدو . . وقد بلغ حجم هذا الساتر مليونين و ٤٠٠ ألف متر مكعب من الأتربة . .

وكان لابد من فتح ممرات فى هذا الساتر تسمح بمرور القوات والمعدات فى نفس الوقت . .

وكان فتح الممرات التى ستحتاج إليها القوات المسلحة والمهندسون معناه أن يعرف العدو اتجاهات الاقتراب الرئيسية للقوات . . وبالتالى حشد نيرانه فى مواجهة هذه القطاعات . . وكان معنى فتحها قبل بدء العمليات مباشرة أن يدرك العـدو أن المعركة وشيكة . .

ولخداع العدو وتضليله قررت القيادة فتح ممرات مسبقة بها سدود مؤقتة بالستائر والألغام حتى لا يستفيد منها العدو . . كما تقرر ابتداء من عام ١٩٦٩ إنشاء فتحة إسقاط للكبارى كل ٢٥٠ متراً على القناة حتى لا يعلم العدو المساقط الحقيقية للكبارى على امتداد القناة . .

وساحة الإسقاط أرض متدرجة تصل إلى حافة المياه . . ويجب أن يتوفر لهذه الأرض درجة كبيرة من الصلابة لتحمل مرور عربات النقل الضخمة بحمولاتها أثناء إسقاط الكوبرى فى المياه . .

مثل هذه الصلابة لا تتوفر بقدر كاف نظراً لطبيعة الأرض فى منطقة القناة . . واحتاج الأمر إلى تثبيت التربة باستخدام « الدبش » و « الدقشوم » وجهزت مساحات الإسقاط بميل مناسب يكفل الأمان للسيارة ويسمح للسائق الذى يقود عربته بالتراجع للخلف ويسقط بإطاراتها الخلفية فى المياه حتى يمكن تنفيذ مهمته دون عوائق والقدرة على الإخلاء فوراً من اتجاهات أخرى غير اتجاهات الاقتراب . .

وكانت هناك صعوبة أخرى تتمثل فى طبيعة شاطئ القناة كمانع صناعى التى تختلف عن طبيعة المانع المائى الطبيعى كالأنهار والبحار . .

ووسائل العبور التى تستخدم فى كل جيوش العالم مصممة لاقتحام موانع مائية طبيعية شواطئها متدرجة . . وشاطئ القناة غير متدرج وميولها مختلفة والتدبيش لا يسمح لأى وسيلة عبور بالتسلق . كما أن الستائر المعدنية اللوحية الرأسية التى يصل عمقها من $\frac{1}{2}$ متر إلى متر فوق سطح الماء تشكل مانعاً آخر يعوق وسائل العبور ويمنعها من التسلق . . وهناك مشكلة المد والجزر التى تجعل سطح الماء غير مستو خلال أيام السنة فى الوقت الذى تتغير فيه سرعة التيار وشدته ٤ مرات يومياً . . وخاصة فى القطاع الجنوبى وتتطلب مثل هذه العوامل حلولا فنية لتركيب الكبارى وتثبيتها لمواجهة التيارات الشديدة والسريعة ومقاومة الألغام العائمة والطافية تحت سطح الماء المحتمل إسقاطها بواسطة العدو . . وضرورة أن تكون الوقاية من الجانبين وعلى الجانب الآخر فقد كانت صعوبات الشاطئ البعيد ، الشاطئ الشرقى الذى يحتله العدو تتمثل فى الساتر الترابى وتدخل العدو بالنيران لوقف أو عرقلة العمل .

وقد راعى التخطيط اختيار المحاور المناسبة لإنشاء الكبارى والمحاور التى يمكن المناورة عليها . . ومناطق إنشاء الكبارى الهيكلية لخداع العدو وتشتيت نيرانه . . مع المناورة بها أيضاً . .

وراعت خطة التدريب العملى فى ميادين مشابهة ضغط الزمن المحدد لإنشاء الكبارى إلى الحد الأدنى واستمرار عمليات الاستطلاع حتى وصل الأمر إلى الجنود والسائقين للاستطلاع بأنفسهم . . واستمر الاستطلاع للمهندسين ساعات قبل بدء العمليات للتأكد من طبيعة الشاطئ واستطلاع طبيعة القاع لتأكيد المعلومات المتوفرة .

وابتداء من عام ١٩٦٧ وضعت وحدات الكبارى تحت الإشراف والقيادة المباشرة لإدارة المهندسين لتحقيق :

* الارتفاع بالأعداد إلى الحجم الذى تتطلبه العمليات .
* استكمال وتطوير الكبارى المتوفرة .
* رفع مستوى التدريب .

- حل المسائل الفنية .
- إجراء التدريبات بعيداً عن الجبهة ، مع ضرورة وضع وحدات الكبارى فى مشروعات ومناورات مشتركة مع الجيوش الميدانية .

وقد هيأت لها هذه الظروف مستوى تدريب رفيع وكفاءة عالية .

وقبل بدء العمليات مباشرة وضعت وحدات الكبارى تحت قيادة الجيوش الميدانية . وتقرر اختيار قائد واحد للمعبر الواحد تحت قيادته جميع أفرع التخصصات الهندسية الأخرى تحقيقاً لعنصر وحدة القيادة ، للسيطرة على المعبر . . وكان هذا أحد عوامل النجاح .

كما تقرر أن تعيش مجموعات العمل التى تعمل على محور واحد معاً فترة لا تقل عن ٦ أشهر قبل بدء العمليات لتحقيق التجانس والتفاهم ودعم العلاقات الشخصية بينهم وتنمية روح الفريق .

وقد شهدت هذه الفترة عديداً من الابتكارات يأتى فى مقدمتها تطوير وسائل العبور وتصنيع البراطيم محلياً والاستفادة من براطيم الكبارى القديمة . . وكانت مثل هذه الابتكارات ضرورية لتوفير الكبارى اللازمة لتدفق القوات شرقاً والاحتياطى الضرورى لسد الخسائر . . وقد تم تصنيع أرتال الكبارى بالكامل ابتداء من العربة حتى البرطوم .

وقد تم الاعتماد على عربة النقل « نصر » المنتجة محلياً .

وفى نفس الوقت تم تصنيع الكبارى تصنيعاً مماثلا للكبارى التى تم استيرادها من الخارج .

وفى الوقت نفسه أجريت دراسات للاستفادة من بقايا الكبارى والوحدات التى تتعرض للقصف بتجميعها لتركيب كبارى جديدة . . تحقق لسلاح المهندسين قدر كبير من المرونة فى استخدام معدات العبور من الأنواع المختلفة لعمل كوبرى واحد . .

وكانت خطة وأسلوب إعداد الكبارى الهيكلية ابتكاراً جديداً . . فقد كانت صالحة لعبور المعدات ذات الأوزان المختلفة من أخف لدبابات إلى وحدات المدفعية الثقيلة . . للاستفادة بها أيضاً . . وتوفير الحيوية لها . .

وتم تحويل الكبارى القديمة التى يتم تركيبها خلال ٢١ ساعة وتعمل كخطوط مواصلات إلى كبارى محملة أى كبارى اقتحام . .

كما تم تصنيع مادة الطفو التى تساعد على طفو البراطيم عند إصابتها محليًا بالتعاون مع المصانع المدنية . . وأيضاً تصنيع القارب الخشبى والاستفادة من ستائر بلاستيك مبتكرة لحجز الألغام العائمة والطافية تحت سطح الماء .

وكانت هناك ابتكارات لعملية الإسقاط ذاتها لسرعة تنفيذ الإسقاط والإخلاء فوراً . . وتضمنت الابتكارات وضع مصدات للإطارات الخلفية للعربات عند عمق ٥٠سنتيمتراً . العمق الذى تصل إليه العربة وهى تستعد لإسقاط أجزاء الكوبرى .

وكانت هناك ابتكارات لترسية الكبارى على شاطئ القناة برغم ظروف الشاطئ البعيد من ناحية التدبيش والتربة اللزجة بعد فتح الممرات بمدافع المياه . .

وقبل ساعة « س » وفى إطار ما سمى بمناورات الخريف أتمت وحدات التدريب احتلال المناطق الأمامية . . وتم نقل جزء من المعدات من المناطق المركزية إلى مناطق الجيوش الأمامية وقبل ثلاث ساعات فى المتوسط عرفت وحدات الكبارى ساعة « س » . . وبدأ الاستعداد للتحرك فى اتجاه القناة . .

واقتضت الخطة أن تتحرك وحدات الكبارى بعد ساعة س حتى لا يكشف تحركها قبل هذا التوقيت للنوايا المصرية للعدو . .

وبعد معرفة ساعة « س » بدأ القادة فى الإعداد للعمل الكبير . . وبدأ الرجال فى تناول طعام الغداء بعيداً عن أعين العدو وبدأوا الأعمال التحضيرية . . ومن أماكنهم شاهدوا انطلاق موجات المشاة بعد أن هدرت المدفعية ورأوا طائرات سلاحهم الجوى تتجه شرقاً . .

وبدأت المعلومات تصلهم عن بدء وحدات المهندسين المخصصة لفتح الثغرات فى الساتر الترابى الشرقى فى العمل فعلا قبل الموعد المحدد فى الخطة . .

وبدأ تحرك أرتال الكبارى فوق شبكات الطرق الطولية والعرضية فى اتجاه القناة . . فى اتجاه فتحات الساتر الترابى الغربى المؤدية إلى ساحات الإسقاط على القناة . .

وكان خوفهم جميعاً أن يقوم العدو بتوجيه ضربة « إحباط » أثناء عملية التحرك . .

مثل هذه الضربة تشكل خطورة على قدرة هذه الوحدات على أداء دورها . .

وكان اقتناع الجميع أن نجاحهم فى الوصول إلى مياه القناة يمثل ٩٠٪ من نجاح مهمتهم . .

وتقدمت أكثر من ١٥٠٠ عربة نقل تحمل معدات وأجزاء الكبارى مقتربة من القناة ومع كل مسافة تقطعها فى اتجاه المياه كان القلق والخوف يتزايدان من ضربة الإحباط المحتملة للعدو . . وعند الاقتراب من ساحات الإسقاط تزايد قلق القادة . . فهذه المناطق تعتبر المناطق المثالية لتوجيه هذه الضربة التى تستهدف وحدات الكبارى أساساً . . ولكن العدو لم يوجه هذه الضربة . . وبدأت العربات تقترب بإطاراتها الخلفية من المياه لإسقاط أجزاء الكبارى .

كانت المعارك الضارية أمامهم على الشاطئ الآخر . . موجات المشاة تتدفق باستمرار . . القوارب تملأ صفحة القناة . . سلالم الحبال تساعد المشاة على تسلق الساتر الترابى والكثيرون يتسلقون الساتر دون الاستعانة بالسلالم . .

والقتال الضارى أمامهم للاستيلاء على النقط القوية . . وكان عليهم أن يقوموا بدورهم . . وبدأت ملحمة من ملاحم حرب رمضان . .

فى القطاع الشمالى (من الإسماعيلية جنوباً حتى القنطرة شمالا) :

كوبرى القنطرة :

عندما بدأ الرجال العمل فى إنشاء كوبرى القنطرة . . أقصى كوبرى فى الشمال بدأ العدو فى المنطقة القوية فى الاشتباك معهم وقصفهم بالرشاشات والهاونات . . واستمر العمل . . مع إخلاء الجرحى والشهداء فوراً . .

وبعد انتهاء العمل فى الكوبرى فى الساعة الثامنة مساء قبل موعده بثلاث ساعات وقبل أن يبدأ تدفق قواتنا عليه كانت هناك ثلاث دبابات معادية فى المنطقة المواجهة . . ونجحت إحداها فى المرور من الثغرة التى فتحها المهندسون وفتحت نيرانها على الكوبرى . . واستشهد قائد الكوبرى ومعه بعض الرجال . . وأحدثت نيران الدبابة فتحة فى منتصف الكوبرى الذى بدأ يغوص فى مياه القناة بعد كل الجهد الذى بذله الرجال . . وفى نفس

الوقت احتمت مجموعة العمل على الثغرة خلف الساتر الترابى من نيران دبابة العدو . . وسحب الرجال جثث الشهداء وتقدم القائد الثانى الذى يلى القائد الشهيد مباشرة لإنقاذ الكوبرى ومواصلة العمل ..

كانت الدبابات المعادية مازالت موجودة فى المنطقة . . وكان التقدير أنها على مسافة لا تتجاوز ١٥ متراً من الكوبرى . . وتحت هذه الظروف أمكن للقائد ورجاله أن ينقذوا نصف الكوبرى القريب منهم . .

وبعد ساعة ، أى فى الساعة التاسعة مساء وقبل الموعد المحدد فى الخطة للانتهاء من إنشاء الكوبرى بساعتين كان القائد قد نجح فى تشغيل ثلاث معديات من أجزاء الكوبرى المصاب . .

وبدأ تدفق القوات . .

كان المفروض أن تقطع المعدية رحلة الذهاب والعودة فى نصف ساعة اختصرها الرجال إلى ١٠ دقائق للحفاظ على معدل التدفق العالى للقوات طبقاً لحاجة العمليات على الضفة الشرقية .

كوبرى شمال الفردان :

انتهى العمل فى هذا الكوبرى الثقيل حمولة ٦٠ طنًّا فى الساعة السابعة وخمسين دقيقة ساعة س + ٥,٥٠ . . وكان مقدراً له أن ينتهى فى الساعة العاشرة مساء . . وعندما أرسل قائد الكوبرى إشارة إلى وحدات المدرعات تفيد تمام تركيب الكوبرى لم يصدقوا وإنما اندفعوا يشقون الطريق فوق جنازيرهم . . وبدأ تدفق الدبابات شرقاً ، وفوق هذا الكوبرى مرت أول دبابة دخلت سيناء منذ معارك يونيو عام ١٩٦٧ وهو من الكبارى الحديثة ذات المزايا الفنية المتعددة .

وكان نجاح المهندسين فى إتمام هذا الكوبرى مبكراً سبباً فى تدفق لواء مدرع قبل موعده . . وكان هذا أيضاً سبباً فى قدرة قوات هذا القطاع على صد هجوم مدرع معاد بقوة تصل إلى لواء مدرع ووحدات من المشاة الميكانيكية . . والنجاح فى صد هذا الهجوم الضارى كان سبباً فى ثبات رأس الكوبرى . .

وأيضاً تعرضت وحدة إنشاء الكوبرى للقصف المعادى وسقط لنا شهداء . .وواصل الأحياء عملهم ومهمتهم فى تحرير التراب المصرى . .

كوبرى جنوب الفردان :

استمر العمل فى إنشاء الكوبرى بصورة مثالية ، وبرغم إصابة أجزاء من الكوبرى من جراء القصف المعادى إلا أن القائد استعان بأجزاء بديلة من الاحتياطى . .

كان الصراع بين وحدة الكبارى والعدو ضارياً . .

كانت نقطة الفردان القوية لم تسقط بعد واستمرت تقاوم المهاجمين وتحاول وقف وعرقلة عملية إنشاء الكوبرى . .

العدو يدرك معنى إتمام إنشاء الكوبرى ووحدة إنشاء الكبارى تدرك أيضاً معناه بالنسبة للقوات المصرية وبالنسبة للعدو . .

ولم يتوقف الصراع حتى بعد الانتهاء من إنشاء الكوبرى .

نفس هذه النقطة تعاملت مع مجموعة فتح الثغرة لمنعها من فتح الطريق أمام القوات التى ستتدفق فوق الكوبرى . . وبرغم محاولات العدو المستميتة نجح الرجال فى الانتهاء من إنشاء الكوبرى الثقيل بعد ثلاث ساعات من بدء العمل . . وكان الكوبرى معداً لمرور القوات ساعة س + ٦ . . أى الساعة الثامنة مساء . .

القطاع الأوسط (من شمال البحيرات المرة حتى الإسماعيلية)

كوبرى طوسون :

بدأ العمل تحت نيران العدو . . كان الرجال يعلمون أنهم لا يمثلون قوة نيران مؤثرة وأنهم سيعملون وظهورهم للعدو . . ولم يترددوا . .

وعملية إنشاء الكوبرى تبدأ بإسقاط أجزاء الكوبرى فى الماء بواسطة العربات ، بعدها تبدأ مجموعات الرجال فى تعديل وضعها فى الماء ، وبعد أن يتم إسقاط الجزء التالى تبدأ عملية وصل الجزءين وتحاول اللنشات سحب الأجزاء إلى وسط القناة وتبدأ عملية

إسقاط الجزء التالى وهكذا . . عمل متواصل . . فالجزء الذى سيتم إسقاطه يحتاج إلى سحب ووصل وسحب الأجزاء المجمعة استعداداً لإضافة أجزاء جديدة . . وأخيراً تبدأ عملية الترسية على الشاطئ البعيد بعد استكمال الترسية على الشاطئ القريب وإنشاء الكوبرى . .

كل هذه العمليات كانت تتم فى وقت الغسق وفترة الإظلام وكان العمل تحت الأضواء . . معناه كشف موقع إنشاء الكوبرى للقوات الجوية أو لقوات المدفعية المعادية التى تواصل القصف من العمق . . وللدبابات التى تحاول وقف تقدم المشاة .

وقد تعرضت كل وحدات إنشاء الكبارى ووحدات فتح الثغرات فى الساتر الترابى لنيران العدو المختلفة ولم يتوقف العمل . . كانت إرادة الاستمرار والنجاح والإصرار على تحقيق المهمة هدف كل فرد . .

حقيقة كانوا جميعاً مردة . .

وعلى كوبرى طوسون أصيب القائد وعدد من رجاله واستشهد أحد الضباط . . ولكنهم واصلوا العمل .

وتحت ظروف القصف الجوى والمدفعى صمد الرجال وتمكنوا من إنشاء الكوبرى الساعة الحادية عشر مساء .

كوبرى سرابيوم :

كان الرجال يعرفون أن دبابات الفرقة ١٦ مشاة سوف تعبر فوق هذا الكوبرى فى طريقها إلى الشرق . . وكانوا يعلمون الأهمية الكبيرة للقطاع الذى يعملون فيه . . بدأوا عملهم . . وكما تدخل العدو ضد كل الكبارى تدخل فى سرابيوم أيضاً . . ولم يتوقفوا . . استشهد بعض رفاقهم كما استشهد بعض رفاق السلاح . . وأخيراً استطاعوا الانتهاء من إنشاء الكوبرى الساعة العاشرة والنصف بعد ثمانى ساعات ونصف من ساعة س طبقاً للتخطيط .

وكوبرى سرابيوم أحد الكبارى الحديثة السريعة الإنشاء .

القطاع الجنوبى : (من السويس جنوباً حتى جنوب البحيرات المرة شمالا) :

وقد تعثر عمل المهندسين فى هذا القطاع لاختلاف طبيعته عن طبيعة القطاعين الأوسط والشمالى . .

وبالإضافة إلى عوامل المد والجزر وسرعة التيار وطبيعة الساتر الترابى المكون من تربة طفلية طينية متكلسة والذى يمتد شرقاً بعمق حتى ٢٠٠ متر فإن هناك أسباباً أخرى منها :

* أرض التقدم فى اتجاه القناة تضم الكثير من الأراضى السبخية .
* تضم المنطقة كثيراً من المسطحات المائية كالبحيرات والمستنقعات .
وبالتالى تعانى عملية الاقتراب والتقدم بأرتال الكبارى صعوبات .
* كما أن أرض الجيش الثالث الذى يقف فى هذه المنطقة مكشوفة تماماً للعدو حتى عمق ١٥ كيلومتراً غرب . . فالأرض ترتفع عند القناة وتميل إلى الانحدار كلما اتجهنا غرباً . .
* محاور التقدم فى سيناء شرقاً محدودة وهى تتحدد أساساً فى محورين يؤديان إلى ممر متلا جنوباً وممر الجدى شمالا . . وهذا يحد من حرية العمل والمناورة أمام خطة إنشاء الكبارى والمعابر .
* وتضم المنطقة المواجهة لقطاع عمل الجيش الثالث ٨ نقط قوية من خط بارليف تتحكم فى اتجاهات الاقتراب الرئيسية .
* وكانت منازل الإسقاط على القناة فى هذا القطاع فردية ولا تسمح بدخول وخروج عدد كبير من العربات بحرية فى نفس الوقت .

وأمام هذه الخصائص التى يتميز بها القطاع بدأت وحدات المهندسين فى قطاع الجيش الثالث قبل بدء المعركة فى تطوير معداتها بصفة مستمرة وفى ميادين الاستخدام المختلفة للمعدات .

وقد شمل التطوير استخدام الناقلات البرمائية فى تجميع الكبارى وإنشائها وتشغيل المعديات بدلا من اللنشات لمواجهة سرعة التيار المائى والمد والجزر الحالى .

وبعد نجاح عمليات التدريب عليها تقرر استخدامها كحل تبادلى للنشات .

* **كوبرى جنوب البحيرات رقم ١ :**

انتهى الرجال من إنشاء الكوبرى برغم كل الصعوبات التى واجهوها فى الساعة الرابعة والنصف صباح يوم الأحد ٧ أكتوبر .

* **كوبرى جنوب البحيرات رقم ٢ :**

بدأ الرجال العمل واستمروا يعملون بصورة متصلة حتى الساعة السادسة والنصف صباح يوم ٧ أكتوبر حتى أتموا إنشاء الكوبرى .

* **كوبرى الشط رقم ١ :**

عندما بدأ العمل فى الكوبرى لم تكن نقطة الشط القوية قد سقطت وتقدمت العربات التى تحمل الكوبرى إلى ساحة الإسقاط . وتدخل العدو منذ البداية وأصيبت عدة عربات أثناء عملية الإسقاط .

وبدأت مدفعية العدو البعيدة المدى عيار ١٧٥ ملليمتراً تصب نيرانها على منطقة إنشاء الكوبرى .

ونشطت قوات العدو الجوية فوق كل القطاع . .

تحت هذه الظروف واصل الرجال العمل . وعندما أشارت عقارب الساعة إلى الرابعة والنصف صباح يوم ٧ أكتوبر كان الرجال قد انتهوا من إنشاء الكوبرى وترسيته على الضفة الشرقية للقناة .

* **كوبرى الشط رقم ٢ :**

استطاع الرجال أن ينهوا عملهم فى الساعة السادسة صباح الأحد – اليوم الثانى للقتال – برغم التدخل المعادى الجوى والبرى .

وبعد ١٤ ساعة عبرت أول دبابة فى القطاع الجنوبى وكان عبورها فوق كوبرى جنوب البحيرات رقم (١) بعدها تدفقت الأسلحة الثقيلة شرقاً .

وكانت بعض الدبابات قد عبرت من قبل بواسطة العربات البرمائية فى هذا القطاع لدعم عمليات المشاة وصد الهجمات المضادة للعدو .

وإذا جاز لنا أن نقدم كشف حساب عما قام به المهندسون ، فقد قاموا بشق أكثر من ٧٠ ثغرة فى الساتر الترابى – تعادل رفع ١٠٠ ألف متر مكعب خلال فترة زمنية تتراوح بين ٢,٣٠ ساعة ، ٤ ساعات تحت تدخل العدو . . كما أقاموا ٩ كبارى وما يقرب من ٥٠ معدية عبر القناة ، كل ذلك خلال فترة تتراوح ما بين ٥,٥٠ ساعات ، ١٤,١٠ ساعة من ساعة س .

وقد تم التنفيذ طبقاً لما كان مخططاً تماماً فيما عدا القطاع الجنوبى من القناة .

وسيظل عملهم مثار فخر المهندسين المصريين والقوات المصرية المسلحة .

أول مواجهة بين العدو الجوى وحائط الصواريخ

جاء أول رد فعل للعدو الجوى بعد ٤٠ دقيقة من بدء الهجوم المصرى السورى . نعم هذا زمن طويل قياساً على الأرقام التى حققها السلاح الجوى خلال المناورات المختلفة للرد على أية عمليات هجومية مصرية مفاجئة ، إلا أنه زمن قصير يدل على درجة استعداد العدو العالية وقدرته على السيطرة على حالة الارتباك التى عاناها نتيجة المفاجأة الاستراتيجية والتعبوية والتكتيكية التى حققتها القوات المسلحة المصرية .

ويمكن القول إن نجاح القوات الجوية والمدفعية فى إصابة مركزى القيادة والسيطرة والإعاقة والشوشرة فى أم مرجم وأم خشيب كان سبباً فى تأخير رد فعل العدو الجوى . .

وعندما جاء رد الفعل الجوى . . كان عليه أن يبحث عن المجهود الرئيسى للقوات المهاجمة ، وكانت الخطة قد وضعت هذا الاعتبار لتشتيت قوة العدو الجوية وقدراته النيرانية وتشتيت ضرباته المضادة . .

وبدأ السلاح الجوى الإسرائيلى حائراً لا يعرف أين يوجه ضرباته . . هل يوجهها إلى

المعابر ؟ . . وإلى أى معبر ؟ . . هل يوجهها إلى القوات التى تواصل بإصرار تقدمها . . أم القوات التى تندفع لعبور القناة ؟ . .

كان العدو الجوى يريد تدمير رؤوس الشواطئ التى أنشأتها قواتنا . . يريد منعها من إقامة رؤوس الجسور . . يريد ضرب المعابر وإحباط عملية الهجوم المصرى . .

ولكن كيف يحقق هذا الهدف ؟ . . أو هذه الأهداف ؟ .

وأخيراً وتعبيراً عن حيرته بدأ يضرب فى كل اتجاه . . وهذا بالضبط ما خططت له القوات المصرية . .

وكانت هناك مفاجأة أخرى تنتظر العدو الجوى . .

حائط الصواريخ . .

وبدأت طائراته تتساقط واحدة بعد الأخرى . .

وبعد ثلاث ساعات كان قد خسر أكثر من ١٥ طائرة فانتوم وسكاى هوك بصورة مؤكدة خلاف الطائرات التى أصيبت وسقطت بعيداً عن أرضنا . . أو استطاعت أن تصل إلى قواعدها . .

وكانت هناك مفاجآت أخرى . .

* فشلت صواريخ العدو الموجهة المضادة لأجهزة الرادار والصواريخ أرض — جو فى إصابة أهدافها . واستمرت أجهزة الرادار تعمل بكفاءة .
* فشلت وسائل الإعاقة الرادارية الكثيفة التى لم تمنع مقاتلى الدفاع الجوى من الاستمرار فى الاشتباك مع العدو الجوى .
* فشلت أعمال الخداع الإلكترونى ولم تنجح فى جذب النيران إلى الأهداف الخداعية وواصلت الصواريخ إصابة الطائرات فى مقتل .

وقد تحقق هذا النجاح الكبير لقوات الدفاع الجوى الذى أرهق العدو وأذهل العالم نتيجة كفاءة حائط الصواريخ المصرى الذى تم بناؤه خلال معارك الاستنزاف بعد سنوات طويلة من استخدام الصواريخ الموجهة من طراز سام ٢ فى مصر .

فقد دخلت الصواريخ الموجهة المضادة للطائرات من طراز سام ٢ فى الاستخدام ابتداء من عام ١٩٦٣ .

ونتيجة للدروس المستفادة من هزيمة يونيه عام ١٩٦٧ أصبح من الضرورى توفير سلاح قادر على مواجهة العدو المقترب على الارتفاعات المختلفة خاصة الارتفاعات المنخفضة .

وأمام احتمال قيام قواتنا بعمليات هجومية كان من الضرورى توفير وسائل الدفاع الجوى القادر على وقاية القوات البرية أثناء قيامها بالعمليات الهجومية ولم يكن الحصول على هذه الأسلحة أمراً سهلا ، كما أن تطقم هذه المعدات واستيعابها لم يكن يقل صعوبة .

وصدر أمر إنشاء قوات الدفاع الجوى كقوة رئيسية فى القوات المسلحة فى يونية عام ١٩٦٨ .

وأكدت الدراسات والتجارب الميدانية الأهمية الخطيرة للتحصينات الهندسية لوحدات الدفاع الجوى لدعم صمودها فى القتال .

وبدأ بناء حائط الصواريخ .

كان المهندسون يقومون بإنشاء التحصينات فى الجبهة ويجرى فى نفس الوقت تحسين أداء معدات الصواريخ سام ٢ وتدريب الأطقم الجديدة على الأسلحة الجديدة وتطوير وتحسين أساليب التدريب والعناية الفنية بالمعدات على ضوء خبرات القتال .

وتحت نشاط العدو الجوى كان لا بد من اتخاذ قرار حول أسلوب احتلال حائط الصواريخ بالجبهة .

وكانت هناك وجهتا نظر :

* الأولى : ترى أن أفضل أسلوب هو القفز إلى المواقع الأمامية بالجبهة مباشرة .
* الثانية : ترى الوصول على وثبات أو ما أطلق عليه الزحف البطنى وذلك بأن يتم إنشاء نطاقات متحركة وتتمركز الصواريخ فى نطاق تحت حماية النطاق الخلفى له .

وتم الأخذ بهذا الحل الأخير وتم إنشاء مواقع النطاق الأول حول القاهرة وتم احتلالها دون أى رد فعل من العدو .

ووضعت خطة دقيقة وطموحة ، فخلال ليلتين يجب أن يتم :

١ — إنشاء التحصينات اللازمة لعدد كبير من مواقع الصواريخ سام ٢ وسام ٣ .

٢ – تجهيز مراكز القيادة بالمواصلات اللازمة .

٣ – تجهيز الطرق والمدقات .

٤ – تحرك بطاريات الصواريخ واحتلالها لمواقعها مع وسائل الدفاع المضاد للطائرات المباشر عنها ووسائل الإنذار المختلفة .

٥ – دفع مجموعات من مهندسى الإلكترونيات لضبط واختبار وتجهيز هذا العدد الكبير من المعدات التى يجب أن تكون جاهزة للقتال خلال ساعات قليلة من وصولها إلى مواقعها .

وتم تنفيذ هذه الخطوات فى التوقيتات المحددة بدقة مثالية .

وصباح يوم ٣٠ يونيه عام ١٩٧٠ فوجئت الطائرات الإسرائيلية المغيرة بالصواريخ المصرية وتكبدت خسائر لم تكن تتوقعها ، وتكررت المحاولات بمزيد من الطائرات وبمزيد من أسلحة الإعاقة الإلكترونية مع اتباع تكتيكات المناورة والخداع .

وكانت النتيجة زيادة خسائر العدو طائرات وطيارين ومنهم بعض الأسرى .

وفى ٨ أغسطس عام ١٩٧٠ أعلن وقف إطلاق النار وأصبح حائط الصواريخ أمراً واقعاً .

وبدأ الاستعداد من جديد للقتال مستفيدين من الخبرة المكتسبة للقادة والقوات .

* اكتسبت القيادات خبرة فى التخطيط والتفكير وإدارة أعمال القتال وسرعة التصرف فى المواقف الطارئة .
* اكتسبت القوات خبرة عملية فى استخدام المعدات الإلكترونية المعقدة .

وكانت أول مواجهة خلال حرب رمضان بين العدو الجوى المتفوق وبين حائط الصواريخ المصرى . . وتلتها مواجهات خلال الأيام التالية للقتال .

مسرح العمليات البحرى

لم يكن أحد من قادة القطع البحرية الخمسين التى انتشرت فوق مياه البحرين الأبيض والأحمر يعلم أنها الحرب . . وأن إبحاره إلى أعالى البحار تحت أى شعار إنما هو الخطوة

السابقة للاشتراك فى العمليات الحربية مباشرة . . وقد تم إبحار أغلب الوحدات فى اليوم الأول من رمضان الموافق ٢٧ من سبتمبر إلى مناطق عملهم .

وعلى مدى ساعات الصباح الأولى يوم ٦ أكتوبر كانت قيادة القوات البحرية وطبقاً لخطة العمليات ودور كل وحدة من الوحدات البحرية تقوم بالاتصال بالقادة وتطلب منهم فتح المظاريف السرية التى يحملونها معهم وتنفيذ ما بها .

قبل بدء العمليات بفترة كان لابد أن تحتل الوحدات البحرية أماكنها المحددة طبقاً للخطة فى البحر دون أن تؤدى تحركاتها إلى كشف نوايا القيادة المصرية . . ودون أن يعلم القادة والضباط الجنود حقيقة ما يجرى حفاظاً على أعلى درجة من السرية . .

وكان الإعلان عن تنفيذ المناورة السنوية للقوات البحرية مع مناورة القوات المسلحة لاختيار نتائج التدريب السنوى اختياراً فعلياً هو فى الحقيقة تغطية وتمويه لكل التحركات

تحركت الغواصات بالبحر الأبيض إلى مناطق تدريبها ومعها مظاريف مقفلة بها مهام العمليات الفعلية على ألا تفتح إلا بأمر خاص .

وتحركت الغواصات الموجودة بالبحر الأحمر تحت ستار إجراء إصلاحات بإحدى الدول الصديقة – الباكستان – كان قد تم الاتفاق عليها فعلا . . (وفعلا تحركت غواصتان يوم ٢ أكتوبر إلى باكستان بعد أن كان مقرراً أن تبحر يوم ٧ أكتوبر وقد رئى تقديم الموعد بمناسبة المناورات) واتخذت المدمرات الموجودة بالبحر الأحمر مواقعها أثناء إجراء زيارة لدول المنطقة الصديقة .

وقبل بدء العمليات بوقت مناسب تم شحن الصواريخ وإعداد الألغام كإجراء من إجراءات التدريب الفعلى دون أن يدرى أحد أنها للعمليات . .

ويتميز مسرح العمليات بطول السواحل المصرية التى تصل إلى حوالى ١٦٠٠ كيلو متر بينما تصل سواحل العدو إلى حوالى ٤٠٠ كيلو متر وتعتبر خطوط المواصلات البحرية شرياناً رئيسياً للحياة ويرجع ذلك إلى وضع إسرائيل كجزيرة محاصرة وسط الأرض العربية .

وتحتاج إسرائيل إلى هذه الخطوط لاستمرار اقتصادها واستمرار تدفق الإمدادات العسكرية والاقتصادية .

وكانت الخطة المصرية مبنية على التعامل مع العدو على جبهة عريضة فى البحرين

الأبيض والأحمر مع استخدام أقصى جهد للوحدات خلال الأيام الأولى للعمليات باستغلال عامل المفاجأة إلى أقصى حد وتشتيت جهود العدو وإرباك قيادته .

وعلى ضوء خطة العمليات تم وضع خطة للتدريب فى ظروف مطابقة لظروف المعركة الفعلية . وراعت خطة التدريب تعمد إجراء التدريبات على ظروف البحر المختلفة حتى يزداد إتقان أطقم الوحدات لمهامها .

وكانت وحدات العدو البحرية تتمركز فى موانى أشدود وحيفا بالبحر الأبيض أساساً . أما البحر الأحمر فيتمركز العدو فى ميناء إيلات وشرم الشيخ ومراسى خليج السويس ورأس سدر وأبورديس على البحر الأحمر .

أما وحداتنا البحرية فقد تمركزت فى نطاق القواعد البحرية فى بورسعيد والإسكندرية ومرسى مطروح بالبحر الأبيض وميناء الغردقة وسفاجة بالبحر الأحمر .

وبالمقارنة يتضح تفوق القوات البحرية المصرية على العدو من ناحية المدمرات والغواصات ووحدات بث وكسح الألغام بينما يتفوق العدو نسبياً فى لنشات الصواريخ (فقد كان العدو خلال الفترة التى سبقت أكتوبر ١٩٧٣ يعمل على دعم سلاحه البحرى بلنشات حديثة سريعة وسلحها بالصواريخ سطح / سطح من طراز « جابربيل » وهى اللنشات التى عرفت باسم « سعر » و « ريشيف » مع الاعتماد على الصناعة الإسرائيلية فى توفير الكثير من المعدات البحرية المتطورة .

ولجأت إسرائيل إلى شراء غواصات جديدة من إنجلترا تناسب مواصفاتها القتالية عملياتها البحرية المقبلة .

كما خصصت إسرائيل طائرات للعمل مع قواتها البحرية ، سواء لأغراض الاستطلاع أو الحماية الجوية أو ضرب تجمعات قواتنا فى البحر أو إنقاذ قواتها التى قد تصاب خلال المعارك البحرية . . وقد ركزت فى هذا المجال على الهليكوبتر والقاذفات المقاتلة والمقاتلات .

وعندما حانت ساعة الصفر بالنسبة للوحدات البحرية المختلفة . كانت جميع التشكيلات من مدمرات وغواصات ومدفعية ساحلية ولنشات صواريخ ولنشات طوربيد وصاعقة بحرية وضفادع بشرية تشترك فى القتال .

فى مسرح البحر الأبيض المتوسط قامت المدفعية الساحلية ولنشات الصواريخ بتوجيه

قصفات بالصواريخ إلى مناطق شرق بورفؤاد ورمانة ورأس بروم وفى نفس الوقت قامت الوحدات البحرية بحماية الجانب الأيسر لقواتنا على ساحل البحر . وقامت المدفعية الساحلية بمعاونة قوات قطاع بورسعيد بالنيران .

وفى البحر تم قصف شرم الشيخ بجميع أنواع الصواريخ .

وفى خليج السويس قامت الصاعقة البحرية بمهاجمة منطقة أبورديس على الساحل الشرقى للخليج .

وهاجمت الضفادع البشرية منطقة البترول فى بلاعيم ودمرت حفاراً ضخماً . . فى نفس الوقت الذى كانت وحدات الكوماندوز تهاجم المنطقة . كما تم قصف منطقة تمركز القوات المعادية فى رأس سدر بالصواريخ .

واشتركت المدفعية الساحلية فى التمهيد النيرانى لقوات الجيش الثالث قبل وأثناء عبور القناة .

ولم تصادف القوات البحرية أى مقاومة بحرية من العدو خلال عمليات اليوم الأول ، ولم يكن تدخله الجوى مؤثراً .

وفى نفس اليوم كانت وحدات تأمين القواعد تقوم بواجبها .

وقد أبلغت وزارة الخارجية سفارات جميع الدول المعتمدة بالقاهرة أنه نتيجة لاعتداءات القوات الإسرائيلية بعد ظهر اليوم فى خليج السويس فإن جمهورية مصر العربية تعلن أنها تعتبر المياه الإقليمية لكل من مصر وإسرائيل ومياه أعالى البحار المجاورة لها منطقة عمليات بحرية . وتحدد كالآتى :

أولا : البحر الأبيض المتوسط ، المنطقة حتى خط العرض ٣٣ شمالا ، وشرق خط الطول ٥٠ , ٢٩ شرقا .

ثانيا : البحر الأحمر . المنطقة شمال خط العرض ٢٣ .

وقد طلبت مصر من جميع الدول إخطار سفنها بالابتعاد عن المناطق المذكورة حرصاً على سلامتها .

وبعد هذا الإعلان كانت غواصاتنا شرق البحر الأبيض المتوسط تنتظر سفن العدو للقيام بدورها الرئيسى وهو المهمة الرئيسية للقوات البحرية عرقلة خطوط المواصلات البحرية للعدو ونجحت الغواصات فى إغراق سفينتين للعدو ، إحداهما حمولتها كبيرة . وفى وقت لاحق أغرقت الغواصات البحرية سفينة كانت تحمل دبابات للعدو لتعويض خسائره فى مسرح العمليات .

وفى البحر الأحمر قامت القوات بممارسة مهامها فى الزيارة والتفتيش والاعتراض للسفن التجارية فى المنطقة الجنوبية واستمرت تقوم بدورها طوال أيام العمليات وقامت الغواصات بمهاجمة إحدى السفن التى دخلت خليج السويس .

وقامت وحدات بث الألغام بإغلاق مدخل خليج السويس بالألغام لمنع العدو من نقل البترول من حقول بلاعيم وخليج السويس .

وقد أغرقت للعدو فى هذه المنطقة ناقلة حمولة ٤٦ ألف طن ولنش إنقاذ حاول مساعدتها . . بعدها ومع تطور العمليات حاول العدو استخدام ممر داخلى ضيق لا يسمح إلا للسفن الصغيرة بالمرور ، كما أصيبت له ناقلة أخرى حمولة ٢٠٠٠ طن نتيجة بث كمائن ألغام فى هذه المناطق .

وكان استخدام الألغام ضد العدو بمنطقة الخليج بالذات سلاحاً وأسلوباً جديداً فى القتال بيننا وبين إسرائيل التى لا تملك وسائل إزالتها .

وسلاح الألغام سلاح خطير نظراً لما يحتويه كل لغم من كمية كبيرة من المفرقعات تصل إلى نصف طن ، كما يحتاج فى نفس الوقت إلى دقة كبيرة أثناء عمليات البث حتى تكون مؤثرة ومحققة للهدف .

وطوال فترة العمليات قامت الوحدات البحرية بتكثيف حقول الألغام السابق بثها وهو أمر يحتاج إلى خبرة وتدريب طويل .

ومع نشوب القتال واشتراك القوات البحرية فيه بدأت هذه القوات فى فرض حصار بحرى على إسرائيل بإغلاق باب المندب . ومنعت البحرية المصرية مرور السفن الإسرائيلية والسفن التى ترفع العلم الإسرائيلى والسفن المتجهة إلى إسرائيل .

ونتيجة لدور القوات البحرية انخفض عدد السفن التى تدخل موانى العدو فى البحر الأبيض من ٢٠٠ سفينه شهرياً إلى ٦٣ سفينة خلال الفترة من ٦ أكتوبر حتى ٣ نوفمبر دخل معظمها بعد وقف إطلاق النار .

أما فى البحر الأحمر فلم تدخل سفينة واحدة من باب المندب .

الحصار

على امتداد أكثر من ٢٠٠٠ كيلو متر جنوباً مارست القوات البحرية المصرية أحد حقوق المتحاربين وهو منع إمداد العدو بأية سلعة أو مواد استراتيجية يستفيد منها فى المجهود الحربى .

ويعطيها هذا الحق زيارة السفن العابرة وتفتيشها للتأكد من عدم حمل هذه السفن – التى ترفع أعلاما محايدة – إمدادات للعدو واعتراض أية سفينة تجارية ليلا أو نهاراً أو سؤالها عن حمولتها ووجهتها مع الصعود إليها وتفتيشها والإطلاع على أوراقها وشحناتها فى حالة الشك فى أمرها .

وقبل بدء العمليات الحربية فى السادس من أكتوبر – العاشر من رمضان – كانت وزارة الحربية بالاشتراك مع وزارة الخارجية قد أعدت دراسة كاملة وأمكن التوصل فى النهاية إلى خطة للعمل لا تتعارض مع أحكام القانون الدولى .

وصلت القطع البحرية المصرية المكونة من غواصات ومدمرات إلى جنوب البحر الأحمر عند منطقة المضيق لمباشرة مهمتها فى فرض الحصار البحرى على العدو وإغلاق المضيق فى وجه السفن الإسرائيلية وأية سفن تحمل مواد استراتيجية لإسرائيل .

وظلت هذه الوحدات تمارس حقها وتقوم بدورها دون أن تغلق المضيق فى وجه الملاحة الدولية .

ونتيجة لذلك لم تخرج سفينة إسرائيلية واحدة أو تدخل ميناء إيلات . .

وكانت إصابة السفينة الثلاجة بطوربيد أطلقته إحدى غواصاتنا مؤشراً أمام الإسرائيليين يمنعهم من خوض التجربة .

وفى البحر الأبيض المتوسط كانت تدخل موانى إسرائيل ٢٠٠ سفينة شهرياً وانخفض العدد فيما بين ٦ ، ٣٠ أكتوبر ليصبح ٢٣ سفينة فقط .

وأصيبت عمليات شحن البترول فى خليج السويس إلى إيلات بالشلل التام منذ اليوم الأول لحرب أكتوبر .

وكانت رحلات ناقلات البترول من الخليج إلى إيلات قد وصلت خلال العام الماضى إلى ٢٥٠ رحلة حملت خمسة ملايين طن بترول .

أغرقت غواصاتنا فى البحر الأبيض سفينتين للعدو .

وفى مدخل خليج السويس غرقت للعدو سفينة بترول حمولة ٤٦ ألف طن هى السفينة سيروس .

بالإضافة إلى سفينة أخرى حمولة ٢٠٠٠ طن عندما جرب الإبحار بمحاذاة الشاطئ لتفادى الألغام البحرية .

ودخلت الصاعقة المعركة

تضمنت الخطة العامة للمعركة دوراً أساسياً لوحدات الصاعقة ، طبقاً لتصورها للموقف العام والخاص ، وتقديرها لإمكانيات العدو وأساليبه القتالية . . وفى إطار الحلول التى توصلت إليها للمشاكل التى واجهتها أثناء التخطيط .

ومن هذه المشاكل . . قوات العدو المدرعة . . وكانت المعلومات المتوفرة للقيادة . . أن هذه القوات قادرة على التحرك خلال فترة زمنية تتراوح بين ٢٠ ، ٢٢ دقيقة للقيام بهجوم مضاد ضد أى قوات تقتحم القناة من مناطق الاحتياطى القريب والاحتياطى التكتيكى الموجود على مسافة ثمانية كيلو مترات . . والاحتياطى البعيد والاحتياطى التعبوى الموجود على مسافة ستين كيلو متراً . . وطبقاً للخطة الإسرائيلية ، فإن الاحتياطى التعبوى

قادر خلال فترة تتراوح بين ٦ ، ٩ ساعات على إعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه . . أى رد قواتنا مرة أخرى غرب القناة .

وكانت إسرائيل قد أجرت عدة مناورات للوصول إلى هذا المستوى . . أى أن هذا الاحتياطى لو أتيح له أن يقوم بدوره ، سيشكل خطورة حقيقية على القوات المهاجمة خلال المراحل الأولى . . وستصبح موجات المشاة الأولى صيدا سهلاً لهذه الدروع . . .

وكان على هذه الموجات أن تقتحم القناة ، وتهاجم النقاط الحصينة لخط بارليف أو تدمر دبابات العدو الموجودة بهذه النقاط أو التى تعمل كاحتياطى لها بالتعاون مع المدفعية ومدافع الضرب المباشر والدبابات التى تستخدم المصاطب المعدة لها بالساتر الترابى على الضفة الغربية للقناة .

وكان يمكن لهذه الموجات وهى مسلحة بالقواذف والصواريخ المضادة للدبابات أن تتعامل مع الاحتياطى التكتيكى الموجود على مسافة ٨ كيلو مترات وكانت الخطة قد أعدت جماعات خاصة لاصطيادها . . وكان على هذه الجماعات أن تصل إلى المصاطب المعدة لهذه الدبابات وتمنع الدبابات من الوصول إليها . .

كما كانت هناك عدة عوامل تجعل من مشكلة الاحتياطى القريب مشكلة غير عسيرة . . أهمها :

- سيبدأ القتال خلال النهار وستكون الشمس خلف ظهر قواتنا ، وكلا العاملين يتيحان للقوات شرق وغرب القناة فرصه ممتازة للتعامل مع هذه الدبابات .
- ستكون هذه الدبابات فى مدى مرمى المدفعية ومدفعية الدبابات غرب القناة . .

أما أن تواجه الموجات الأولى الاحتياطى البعيد فذلك أمر يفوق قدرتها على القتال أو الصمود ، وخاصة أن الاشتباك مع هذه القوات سيجرى ليلا . ولن تكون نيران مدفعيتنا غرب القناة قادرة على التأثير عليها . . ودرست القيادة المشكلة بهدف الوصول إلى حل يؤدى إلى تعطيل هذا الاحتياطى عند القيام بالدور المطلوب منه لأطول فترة ممكنة .

وقد أجريت دراسة لاستخدام القوات الجوية . . ولم يكن ذلك الحل الأمثل . . وكانت نتيجة الدراسة الخاصة باستخدام المدفعية مماثلة للدراسة الخاصة باستخدام القوات الجوية .

وبدأ التفكير فى استخدام الصاعقة لمواجهة هذا الاحتياطى . . باعداد كمائن على محاور وطرق التقدم فى مواجهة فرق المشاة الخمس التى تحملت عبء اقتحام القناة . . وأن تتخذ قوات الصاعقة أماكنها فى مخانق محددة مدروسة جيداً عبارة عن كثبان رملية تحد من قدرة الدبابات على المناورة . . وكان واضعو الخطة يدركون أن قدرة الأفراد العراة من الدروع فى مواجهة الدروع محدودة وتتوقف أولاً على البسالة وإرادة القتال والكفاءة القتالية والروح المعنوية العالية . . ويأتى بعد ذلك السلاح واستخدام الأرض بكفاءة . .

فهذه القوات سوف تتقدم إلى مناطق عملها خلال أرض يسيطر عليها العدو وستقاتل والعدو يحيط بها من جميع الاتجاهات ودون أن تستند إلى قاعدة أو حماية جوية . .

وليست هناك فرصة لإمدادها ولو بالذخيرة خلال قتالها . . وكانت اللياقة البدنية عاملا هاماً ، فهناك مجموعات من الصاعقة عليها أن تشق طريقها سيراً على الأقدام لتصل إلى مناطق عملها خلال فترة زمنية قصيرة وهى تحمل كل معداتها .

ولم يكن هناك من يشك أن وحدات الصاعقة يتوفر لها كل ذلك . .

وبالتالى كانت القيادة العامة على ثقة من قدرة هذه الوحدات على أداء هذه المهمة وراعت الخطة أن يكون وقف تقدم دبابات العدو للمدة التى تسمح لموجات الهجوم الأولى بتثبيت أقدامها شرق القناة . . وحتى تتمكن الدبابات من العبور بعد الانتهاء من إنشاء الكبارى لدعم المشاة وتحقيق الاتزان للدفاع . .

ووضعت القيادة العامة الخطة فى إطارها العام . . نسقان تعمل عليهما الصاعقة ويسدان كل المنافذ أمام دبابات العدو من المحور الساحلى شمالا حتى وادى رأس سدر جنوباً :

النسق الأول :

على مسافة تتراوح بين ٤٠ ، ٥٠ كيلو متراً شرق القناة . . ويتحمل مسئولية هذا النسق وحدات القيادة العامة للصاعقة . . ويصل الرجال إلى مناطق عملهم بواسطة الهليكوبتر . . وذلك بعد ساعة (س) بثلاث ساعات وربع . .

والنسق الثانى :

على مسافة ٢٠ كيلو متراً . . ويصل إليها الرجال سيراً على الأقدام بعد اقتحام القناة قبل ساعة (س) وبعدها ويتحمل مسئولية هذا النسق صاعقة الجيوش .

وواجب النسقين تعطيل احتياطى العدو البعيد – الاحتياطى التعبوى – حتى أول ضوء يوم ٧ أكتوبر ، ثانى أيام القتال . .

أما دورهما فكان العمل تحت شعار التشبث بمواقعهم حتى آخر طلقة وآخر رجل . . وهذا يتجاوز العمل الفدائى ويندرج تحت العمل الانتحارى وذلك للأسباب الآتية :

– اقتحام القناة نهاراً

– السير لمسافة ٢٠ كيلو متراً فى أرض مفتوحة بالنسبة للنسق الثانى . . الإبرار على مسافة تتجاوز ٥٠ كيلو مترا فى عمق العدو وبين أنيابه .

– العمل فى إطار محدد لا يمكن الخروج عليه لأى سبب من الأسباب .

– ليس العمل المطلوب أداؤه مجرد ضربة مفاجئة للعدو ثم العودة بل هو التشبث بالأرض حتى النهاية أو أول ضوء .

– فرصة العودة فى حالة الثبات حتى أول ضوء محدودة . . فالرجال بعد قتال لأكثر من ١٢ ساعة لن تساعدهم لياقتهم البدنية على العودة . . كما أن نفاد ذخيرتهم سيكون من العوامل المؤثرة على قدرتهم على اختراق منطقة يسيطر عليها العدو .

وعندما حانت اللحظة الخاصة بتحرك أفراد كمائن النسق الثانى ، اندفعوا يعبرون القناة مع أسلحتهم وذخائرهم . . وراعوا أن يكون معهم ما يكفى للقيام بالمهمة . .

وانطلقت كل مجموعة فى الاتجاه المحدد لها . . أمام نطاق عمل الفرق ١٨ ، ٢ ، ١٦ ، ٧ ، ١٩

وفى مواجهة الفرق ١٨ ، ٢ ، ١٦ حيث واجه الرجال العدو فى معارك اتسمت بالضراوة . . والعنف ، نجحوا فى الوصول إلى :

– التل الأحمر .

– بير مدكور .

- الطريق الأوسط عند كثيب عيفان
- قرية الجلاء

وفى الساعة الخامسة والربع ظهرت فى السماء أسراب الهليكوبتر تشق طريقها عبر القناة باتجاه الشرق وسط النيران والدخان والضجيج والخطر لتصل بالرجال إلى المناطق المحدودة .

ووصلت المجموعة الأولى إلى الطريق الساحلى بالقرب من رمانة ، حيث واصلت سيرها على الأقدام للوصول إلى بالوظه . .

أما الطائرات العمودية التى اتجهت إلى القطاع الأوسط فقد وصل منها ٤ طائرات من ١٢ . .

ونجحت القوات التى اتجهت جنوباً فى شق طريقها للإبرار على الطريق الجنوبى للوصول إلى وادى بير سدر .

وقد حققت هذه القوات مهمتها بنجاح . . بعد أن دفعت الثمن عشرات الشهداء . .

ومن هذه المجموعات من ظل يقاتل لأكثر من خمسة آلاف ساعة ؟ من بين الرجال الذين عملوا عند منطقة وادى سدر . .

وكان نجاحها فى وقف تقدم قوات العدو بقتال مستمر حتى صباح يوم ٧ أكتوبر . . يساوى الكثير . . ويكفى للدلالة على عظمة العمل الذى قام به هؤلاء الرجال أن ثلاث دبابات فقط نجحت فى التسلل بقطاع الفرقة ١٨ المشاة ووصلت إلى مياه القناة عند البلاح واستطاعت أن تدمر أحد كبارى الاقتحام وكانت تشكل خطراً حقيقياً لولا ثبات القائد واندفاع رجاله لمواجهة الموقف وتدمير الدبابة .

وإذا قمنا بعمل مقارنة بين الدبابة وبين الفرد الحامل للقاذف المضاد للدبابة فقد تعطينا صورة عن المواجهة غير المتكافئة بينهما . وكيف حولها الرجال ببسالتهم وروحهم المعنوية العالية وإصرارهم على تحقيق المهمة إلى مواجهة تحقق الهدف الذى سعوا إليه ودونه كانت خطة الاقتحام معرضة للخطر .

التسليح	: مدفع ١٠٥ ملليمترات رشاش ٠,٥ بوصة رشاش ٠,٣ بوصة مضاد للطائرات	قاذف عيار ٤٠ ملليمتراً
الوحدة النارية	: من ٥٧ إلى ٦٣ طلقة عيار ١٠٥ م . ٩٠٠ طلقة عيار ٠,٥ بوصه ٥٩٥ طلقة عيار ٠,٣ ، ،	١٠ طلقات عبوة مفرغة .
المدى	: ضد الأفراد حتى أكثر من ١٠٠٠ متر	٣٠٠ متر نظريا وعمليا بين ١٥٠ ، ١٠٠ متر
الوزن	: ٤٦ طنًّا	من ٦٠ إلى ٨٠ كيلو جراماً
السرعة القصوى	: ٤٨ كيلومتراً فى الساعة	٨ كيلو مترات فى الساعة
سمك الدرع	: حتى ١١٤ ملليمتراً	. . . .

وهذا الوحش الحديدى بالإضافة إلى تفوقه عند مواجهة الفرد يتمتع بإمكانيات أخرى كالقدرة على اجتياز الأراضى المختلفة والضرب دائرياً بجميع الزوايا . .

وطوال أكثر من ١٢ ساعة والرجال يحاولون ترويض هذا الوحش وتدميره . . وقد نجحوا . . ،

الكوماندوز يهاجمون بلاعيم

تحركت وحدة الكوماندوز من قاعدتها فى القاهرة لتنفيذ مهمة تدمير حقل البترول فى منطقة بلاعيم المسمى « بلاعيم بحرى » .

كان القائد ينتظر طوال السنوات الماضية الإذن بمهاجمة هذا الموقع . .

ومرات كثيرة عبر عن أشواقه عندما كنا نأخذ طريقنا لتنفيذ إحدى المهام خلف خطوط العدو قبل وقف إطلاق النار فى ٨ أغسطس عام ١٩٧٠ .

وكان تعبيره عن أمنياته تعبيراً عمليًّا بدأ بجمع المعلومات المتوفرة عن الحقل والمنطقة وطرق الاقتراب ومواقع العدو وقوته فى المنطقة ، وأساليب الإنذار وحماية المنطقة بحراً وبرًّا وإمكانية التدخل الجوى المعادى وأسلوب الحركة وكل المعلومات الممكنة . . وبدأ خطة منظمة للاستطلاع . . كان على يقين أنه سيقوم بهذه المهمة يوماً ما . .

لم تكن عملية بلاعيم هى المهمة الوحيدة التى وضعها لقواته ، كانت هناك أهداف حيوية أخرى يعمل ويخطط لمهاجمتها . . وكقائد لمجموعة الكوماندوز كان مقتنعاً بضرورة التدريب على العمل على عدة أهداف حيوية معادية والانتظار . . وطالما أن لديه خططاً معدة للتنفيذ فى أى وقت تأتيه فيه موافقة القيادة فإنه يشعر ورجاله بالثقة الشديدة . . وكان فى جعبتهم الكثير . .

كانت المعلومات تصل عن هذه الأهداف باستمرار وكانت خطة التدريب توضع بناء على المعلومات المتوفرة . .

وكثيراً ، خلال الفترة منذ وقف إطلاق النار حتى بداية حرب رمضان خرج بنفسه فى دوريات استطلاع . .

وطالت فترة جمع المعلومات . . وطالت فترة التدريب . . وكان ذلك كبير الفائدة له ولرجاله . . فقد توفرت لديه كمية كافية من المعلومات عن الهدف والعدو وزادت كفاءة الرجال . .

وأتيحت له الفرصة لمراجعة الخطة الأولى وتعديلها باستمرار لمواجهة المواقف المتغيرة طوال هذه السنوات . .

وبدأ الإعداد للمعركة . . وتقرر أن نقاتل . .

وأخطرته القيادة بالاستعداد . . وبدأ يدرس مع القيادة العامة ما فى جعبته من خطط لمهاجمة الأهداف الحيوية . . وتقرر أن يستعد لمهاجمة عدد من الأهداف الحيوية وأن يظل فى حالة استعداد بصفة مستمرة . . ونشطت الحركة فى معسكراتهم . .

هاهى الحرب . .

كان يشعر بأنها قريبة . . وكان الرجال يشعرون شعوراً مخالفاً . . لم يكن منهم من يصدق أنها الحرب . . ومع هذا أخذوا الأمر بجدية كاملة . .

وصباح يوم ٦ أكتوبر استدعى للقيادة العامة وتلقى الأمر بالهجوم على بلاعيم بحرى . .
وتم تلقينه بيوم « ى » وساعة « س » للجيش وساعة « س » بالنسبة له . .

وكان ما أراد طوال سنوات . . وخرج الرجال فى طريقهم إلى منطقة التجمع على خليج السويس . . دون أن يعلموا إلى أين هم ذاهبون ؟ ولماذا ؟ وإن شعروا من حيوية القائد . . أن هذه الفرحة المكتومة لا تعنى سوى شيء واحد : هو الحرب . .

ولم يسألوا . .

ووصلوا إلى منطقة التجمع . . هنا فقط عرفوا . . وبدأت عملية التلقين النهائية . .

ساعة س + ٧,٣٠ بدأوا فى التحرك . . أقلعت الهليكوبتر التى تحملهم وعبروا الخليج . .

كان القمر يضىء المنطقة وتنعكس أشعته فوق سطح مياه الخليج الهادئة وحيث لا شيء هادئ على الإطلاق ، هذه الليلة . .

كان القتال قد بدأ منذ أكثر من سبع ساعات ونصف . . يعنى ذلك أن يكون العدو فى حالة يقظة تامة . . وهل هناك مواقف تحتاج إلى يقظة أكثر من الحرب ، واقتربت الطائرات من الشاطئ الشرقى للخليج . . وبدأت تطير على ارتفاعات منخفضة أكثر . . وعندما ظهر الشاطئ غيرت الهليكوبتر اتجاهها نحو حقول البترول وهى تحافظ فى نفس الوقت على الطيران على الارتفاعات التى لا تسمح للعدو بأن يكتشفها رادارياً . .

واستعدت المجموعات للعمل . . كل مجموعة كانت تعلم ما هو مطلوب منها وانتشرت المجموعات للعمل على الأهداف المختلفة . .

وانطلقت النيران . . واشتعلت كل المنطقة بالنيران . . الخزانات اشتعلت وتوالت الانفجارات . . ثلاثة خزانات كبيرة كانت مليئة بالبترول أصابتها القذائف إصابات مباشرة .

وفى نفس الوقت بدأ الهجوم على المنشآت المجاورة . .

وعندما اكتشف العدو الطائرات وهى تقترب والمجموعات وهى تبدأ العمل فتح نيراناً كثيفة ، وكانت النيران التى يطلقها تحدد موقعه ، واتجهت المجموعات المخصصة للتعامل معه بنيرانها إليه وبدأت بعض المدافع تصمت تماماً . . وخسرت المجموعة بعض

أفرادها ، كما خسرت إحدى الطائرات . . وعندما كانت وحدة الكوماندوز تأخذ طريقها للعودة . . كانت تدرك أن العدو قد فقد مصدراً حيوياً من مصادر البترول . .

وعلى مسافة تصل إلى ٥٠ كيلو متراً كان رجالنا على الضفة الغربية للخليج يشاهدون النيران مشتعلة فى الحقل ويسمعون الانفجارات المتصلة . .

وبدأ الرجال يستعدون لأداء مهام أخرى .

الهليكوبتر

كانت أول مرة تدخل فيها الهليكوبتر مسرح العمليات يوم ٦ أكتوبر .

كان قد مضى على ساعة (س) ثلاث ساعات وربع الساعة ، عندما ظهرت عشرات منها متجهة شرقاً .

كانت القوات مازالت تقتحم القناة وتواصل مهام اجتياح خط بارليف على امتداد خط المواجهة وتتقدم شرقاً لإنشاء رؤوس الجسور فى مواجهة مقاومة إسرائيلية ضارية .

وشاهد طيارو الهليكوبتر المسرح ساخناً . . كانت هناك نيران وحرائق ودخان ودمار وضجيج غطى على الضجيج الذى تحدثه محركات طائراتهم . . وألقى رجال الصاعقة والإبرار الجوى الذين يملأونها نظرة على المسرح من النوافذ ، وتعجل الجميع لحظة الوصول إلى الأرض . .

كانت الخطة تقضى بدخولهم سيناء فى نفس التوقيت لتشتيت جهود العدو الذى سيدخل ضدهم ليمنعهم عنوة من تأدية مهامهم ، ووصولهم إلى مناطق الإبرار المحددة فى الخطة من البحر الأبيض شمالا حتى وادى رأس سدر جنوباً فى وقت واحد .

وكانت مهمتهم إبرار وحدات الصاعقة والكوماندوز وقوات الإبرار الجوى خلف خطوط وفى عمق العدو . .

وبدأت الطائرات تسلك خطوط السير المحددة لها . . لتفادى الكشف الرادارى والبعد عن نيران العدو المضادة للطائرات . . وقد حاول التدخل فعلا لمنع الهليكوبتر من

تحقيق مهمتها ولكن - كما يقول القائد - كانت تضحية الطيارين وحسن تدريبهم هو الذى مكنهم من الإفلات من تشكيلات العدو الجوية .

وقد حدث التدخل المعادى على مسافة ٢٠ كيلو متراً شرقاً ، واستخدم العدو الصواريخ والرشاشات فى الهجوم على الهليكوبتر . . دون نتيجة ، وبعد أن نجحت الوحدة فى إبرار الرجال والمعدات وبدأت رحلة الرجوع حاول العدو التدخل مرة أخرى . .

لم يكن هذا هو كل ماقامت به الهليكوبتر . .

لقد كان محدداً لها أن تقوم بدور كبير طوال فترة العمليات . . سواء لإبرار مجموعات رجال الصاعقة والإبرار الجوى للعمل خلف خطوط العدو على امتداد وعمق سيناء أو إمداد القوات المسلحة أو استطلاع تحركات العدو البرية والبحرية أو حراسة الشواطئ والميناء المصرية . . وأيضاً قصف بعض الأهداف المعادية . .

لقد بدأ التخطيط منذ ٦ أشهر تقريباً ، وكانت البداية الاختيار الدقيق للأراضى الصالحة لنزول الطائرات فى سيناء بعد دراسة الصور الجوية والخرائط ذات المقياس الكبير ، ثم مرحلة اختيار خطوط السير لكل التشكيلات بما يحقق لها تنفيذ المهام المحددة لها والعودة دون التعرض للكشف الرادارى أو نيران العدو ، ويعتمد العمل فى المرحلة على المعلومات التى تتوفر من أجهزة جمع المعلومات .

والمرحلة التالية هى اختيار الارتفاعات التى تطير عليها التشكيلات طوال رحلة الذهاب والعودة بما يتناسب مع العوائق الأرضية وتحقيق عدم كشفها رادارياً .

ويتم بعد ذلك حساب الوقود اللازم لتنفيذ كل مهمة مع تحديد وقت الإقلاع لكل تشكيل من القواعد الجوية ومن مناطق التحميل حتى تكون جميع الطائرات فوق أهدافها فى نفس الوقت . . بعد هذا تجرى حسابات عن حمولة الطائرات المختلفة والمسافات التى ستقطعها والمهام المحددة حتى يتم التنسيق بين كل هذه العوامل . . وتأتى المرحلة الأخيرة . . الاستفادة من المساعدات الملاحية الصديقة والمعادية كالمنارات اللاسلكية والإذاعات . .

ومن أهم عوامل النجاح السرية والصمت . . كان العمل يتم والتخطيط والإعداد للمهام دون أن يعلم بهما إلا أعداد قليلة ومحدودة من القادة . . وانتقل العلم بالمهام إلى القادة الآخرين طبقاً لدورهم وواجباتهم وفرض الصمت اللاسلكى على الجميع وحافظوا عليه . .

والصمت اللاسلكى يحتاج إلى إعداد جداول تحركات وتحضير جيد للعملية ومعرفة كل طيار جميع التوقيتات حتى لا يحتاج لإجراء أية اتصالات بالقائد أو القاعدة . . وطوال فترة تنفيذ المهمة لم يتم اتصال لاسلكى واحد حتى عندما أصيبت بعض الطائرات بشظايا أو طلقات رفض الطيارون فتح أجهزة اللاسلكى حفاظاً منهم على نجاح الخطة بالكامل . .

وقد توقع الطيارون أن تهاجمهم تشكيلات العدو الجوية أو التعرض لنيران الصواريخ الموجهة هوك أو المدافع المضادة للطائرات . . واستعدوا وبعد نجاح الطائرات التى تعمل على المحور الجنوبى فى إبرار الرجال والمعدات فى أصعب مناطق سيناء فى الجنوب واستدارتها للعودة شاهد القائد قولا متحركا للعدو على الطريق . . فأصدر الأمر للتشكيل بضرب القول بالصواريخ المضادة للدبابات . .

وبدأت الطائرات فى إجراء المناورة اللازمة للدخول على الأهداف وإطلاق الصواريخ عليها . . وانطلقت عشرات الصواريخ . . وانفجرت عشرات العربات والمدرعات . .

أحد تشكيلاتهم كان يأخذ طريقه إلى داخل سيناء . . اكتشفه العدو . . أطلق نيرانه . ناوروا وواصلوا طيرانهم . . اشتبك معهم العدو برشاشاته ومدافعه المضادة للطائرات ، استمروا فى المناورة للخروج من مرمى نيرانه . . وكانوا يعلمون أن هناك عدوًا آخر سيظهر فى الجو حالا بعد أن اشتبكوا . . ولكنهم لم يتوقفوا .

أحياناً كانت الرؤية صعبة جدًا ، إما بسبب السحاب الكثيف أو الزوابع وهم يتقدمون داخل وديان وجبال جنوب سيناء ، وأى خطأ يعنى اصطدام الطائرة لكن هذا أيضاً لا يهم . . المهم تحقيق الهدف وبخبرتهم يستطيعون الطيران خلال هذه المسالك الضيقة . . وعندما كان العدو يطلق المشاعل المضيئة بحثاً عنهم كانوا يستغلون أضواءها لمساعدتهم على الاستمرار ، . .

وكان نجاحهم الكبير نجاحاً لكل الهليكوبتر فى تجربتها الكبرى الأولى فى مسرح العمليات .

يوميات المعركة

اليوم الأول

اشتعلت نيران الحرب الرابعة يوم ٦ أكتوبر واستمرت ٢٣ يوماً منها ١٧ يوم قتال رسميًّا ، أما بقية أيام المعركة الستة فقد جاءت بعد صدور قرار وقف إطلاق النار يوم ٢١ / ١٠ / ١٩٧٣ .

ويمكن تقسيم الحرب كما تمت إلى خمس مراحل :

المرحلة الأولى :

وتشمل اقتحام قناة السويس . . احتلال خط بارليف . . إنشاء رؤوس كبارى الفرق والجيوش . . وصد وتدمير جميع الهجمات المضادة لإسرائيل .

المرحلة الثانية :

واستمرت يوماً واحداً هو يوم ١٤ أكتوبر الذى طور فيه الهجوم شرقاً بغرض تخفيف الضغط على سوريا .

المرحلة الثالثة :

وهى عبارة عن ٣ أيام من ١٥ – ١٧ أكتوبر وفى هذه المرحلة قامت القوات المصرية بصد وتدمير كافة الهجمات المضادة والتى كانت تستهدف رؤوس الكبارى بما فى ذلك معارك المدرعات ٣٠ ساعة متوالية وقد تمكن العدو خلالها من التسلل بجزء من القوات غرب القناة فى الدفرسوار .

المرحلة الرابعة :

امتدت خمسة أيام من ١٨ إلى ٢٢ أكتوبر وخلالها دار صراع مرير فى الغرب فى القطاعين

الأوسط والجنوبي وتمكن العدو خلال هذه المرحلة من إنشاء رأس شاطئ واحد – مع استمرار احتفاظ قواتنا المسلحة بجميع رؤوس الكبارى شرق القناة .

المرحلة الخامسة :

وهى المرحلة الأخيرة وقد استمرت ٦ أيام من ٢٣ إلى ٢٨ أكتوبر وقد شهدت هذه الفترة استمرار إسرائيل فى العدوان برغم قرار وقف إطلاق النار وانتشرت قواتها جنوباً بهدف جعل وجودها الحرج غرب القناة وضعاً محتملا وقابلا للاستمرار – وقد تمكنت خلال هذه المرحلة أيضاً من حصار فرقتى مشاة من الجيش الثالث شرق القناة .

نبدأ بالمرحلة الأولى التى بدأت مع أول أيام المعركة وتنتهى يوم ١٣ أكتوبر .

وبدأ الهجوم . . . .

وقبل أن تحين ساعة الصفر كانت القوات الجوية توجه الضربة الجوية المركزة بقوة ٢٤٠ طائرة . وفى نفس الوقت كانت ٧٠ طائرة سورية تهاجم مواقع العدو فى مواجهة خطوط وقف إطلاق النار .

انطلقت الطائرات الساعة ١٤٠٥ ظهر يوم ٦ أكتوبر – ١٠ رمضان – واستهدفت مطارات العدو ووسائل دفاعه الجوى – الصواريخ الموجهة المضادة للطائرات من طراز هوك والرادارات واحتياطياته ومدفعيته البعيدة المدى الموجودة فى سيناء والقادرة على التأثير على قواتنا فى الضفة الغربية ، وفى نفس الوقت كانت المدفعية المصرية على امتداد خط المواجهة بعد أن رفعت شباك التمويه واتخذت أوضاع الاشتباك تفتح نيرانها بقوة تقدر بحوالى ٨٢ كتيبة حوالى ٢١٥٠ قطعة مدفعية ، ولواء صواريخ أرض / أرض متوسط المدى ضد كل أهداف العدو الموجودة فى منطقة المواجهة . وقد قامت المدفعية بتوجيه نيرانها فى ٤ قصفات مركزة استغرقت ٥٣ دقيقة . وكان هناك بالإضافة إلى ذلك حوالى ١٩٠٠ مدفع ودبابة تقوم بقصف دشم العدو فى خط بارليف لتفقده صلابته ولتجبر أفراد العدو على الاحتماء داخل الملاجئ .

ومع بدء عمليات التمهيد النيرانى كانت المفارز الأمامية تعبر القناة وتتسلق الساتر الترابى لتتصدى لدبابات العدو المتقدمة . .

وحانت ساعة الصفر ساعة (س) بالتعبير العسكرى عندما أشارت عقارب الساعة إلى الساعة الثانية وعشرين دقيقة أى الساعة ١٤٢٠ .

فبدأت موجات من خمس فرق مشاة تقتحم القناة تحت ستر نيران المدفعية . . ثلاث فرق فى قطاع الجيش الثانى . . وفرقتان فى قطاع الجيش الثالث فى رحلات متصلة مستخدمة ١٢٠٠ قارب واحتلت مئات الدبابات المصاطب التى تم إعدادها على الضفة الغربية للقناة . ومعها قطع مدفعية وصواريخ مضادة للدبابات لتأمين المفارز الأمامية وحماية القوات من تدخل دبابات العدو من مسافة كيلو متر ين شرقاً .

وكانت هذه المصاطب قد أنشئت فى مواجهة النقط القوية لخط بارليف والمحاور الرئيسية بارتفاع أعلى من الساتر الترابى الشرقى للسيطرة على مواقع العدو ومسرح العمليات شرق القناة وقد بلغ حجم هذه المصاطب حوالى ٢٠ مليون متر مكعب أى ما يعادل ٨ أمثال حجم الهرم الأكبر .

وكان قد تقرر أن تقوم القوات التى تدافع عن مكانها بالهجوم من نفس المكان .

وقد حقق هذا القرار استفادة الرجال من معرفتهم بالأرض التى درسوها ومن قطاع القناة المواجه لهم الذى يعرفونه جيداً ومن العدو الذى تعاملوا معه وعرفوا الكثير عنه .

واندفع طوفان من البشر ليقتحم القناة فى موجات فى قوارب وناقلات جنود مدرعة ومركبات برمائية وفوق كبارى مشاية .

كان كل فرد يعرف أين يضع قدمه وكيف يحقق مهمته .

وبالتالى لم تكن هناك أية عوائق أو صعاب .

فقد استعان المخطط المصرى بالشارات الملونة والفوانيس والأرقام لتحديد أماكن عبور القوارب وطبقاً لجداول محددة حتى لا تختلط الوحدات بعضها ببعض وكان للشرطة العسكرية دور كبير فى تنظيم هذا الطوفان المتدفق من الرجال .

وقبل أن يبدأ عبور المشاة وبعد أن اتسعت عمليات التلقين . . أى إبلاغ الجميع بيوم (ى) وساعة (س) وتلقوا الأوامر النهائية عن واجباتهم والأوامر الخاصة بالقتال . . صدر لهم الأمر بتناول طعام الغداء حوالى الساعة ١٢ ظهراً وطبقاً للخطة تناول الجميع الطعام وكان مخططاً أن الجميع من قائد الفرقة حتى الجندى سيتناولون وجبة واحدة طوال الأيام الأولى

للمعركة ، بعدها تلقوا الأمر بالاستعداد وارتدى الجميع « شدة القتال » وتأكدوا من سلامة ذخيرتهم . . وصدرت الأوامر ببدء العمل . . ففتحوا القوارب بعد أن وصلوا إلى منطقة الفتح . . منطقة بدء الهجوم . .

وكانت الخطة تتضمن عبور جماعات من الصاعقة والمدفعية المضادة للدبابات والدفاع الجوى المزودين بالصاروخ سام (٧) « ستريللا » والمهندسين لفتح الثغرات فى حقول الألغام التى لم تكن فى خطة نيران المدفعية ومن قاذفات اللهب مع المشاة . .

وارتفعت أصوات الرجال . . كل الرجال . . الله أكبر . . وتدفقوا إلى مياه القناة ومعهم أعلامهم وأسلحتهم وإيمانهم بالله وحماسهم غير المحدود . . كان الهجوم بامتداد ٣٠٠ كيلو متر وبعمق ٥٠ كيلو متراً حتى لا يعرف العدو اتجاهات الهجوم الرئيسية ولتشتيت جهده وفكره .

وأرسل بعض القادة أعلاماً مصرية مع هذه المفارز برغم إدراكهم أن هذا القرار معناه اكتشاف العدو لمواقعهم ، ولكن كان هدفهم رفع حماس الرجال عندما يرون أعلامهم ترفرف فوق القناة خلال هذه المرحلة الحرجة المحتاجة إلى اكبر قدر من العطاء والحماس .

كانت الخطة تتضمن إنشاء خمسة رؤوس جسور . . جسر فى قطاع كل فرقه مشاه . . وكل جسر يشكل (اتجاه مجهود)

وفوجئ العدو بعد دقائق بوجود ٨ آلاف جندى من بور سعيد شمالا حتى منطقة الشط جنوباً فى وقت واحد ، وكان هذا سبباً فى عدم معرفته اتجاه الهجوم الرئيسى وابتدأت كل الوحدات طبقاً للتخطيط تأخذ أوضاعها بأسلحتها الشخصية وعند الساعة ٣٠ , ٧ مساء ، أى بعد خمس ساعات كان لنا شرق القناة ٨٠ ألف ضابط وجندى . . بالأسلحة المضادة للدبابات الخفيفة والأسلحة الخفيفة المضادة للطائرات .

وبعد عبور الموجات الأولى للقوات بدأت قيادات بعض الفرق فى الاستعانة بمعدات الشركات المدنية التى تركتها عند بدء العمليات ووضعت عليها سائقين من العسكريين لفتح الثغرات والممرات بالإضافة إلى المعدات العسكرية .

ومع بدء العمليات لم يقف المدنيون فى المنطقة موقف المتفرجين ، لقد تقدم الكثيرون

منهم للعمل مع القوات ومساعدتها فى نقل الذخيرة إلى الضفة الأخرى وبعض الأعمال المشابهة .

وبدأ المواطنون والمواطنات فى وضع إمكانياتهمَ المحدودة تحت تصرف الوحدات العسكرية .

وقدم الكثيرون بعض الأشياء الرمزية للجنود والضباط أثناء تقدمهم . .

أحداث كان يمكن أن تكشف النوايا المصرية

صباح ٦ / ١٠ كان قبطان الباخرة الأمريكية المكلفة بإجراء مسح جيولوجى للشاطئ المصرى يستعد للإبحار بباخرته ، وعليها سائر البحارة والفنيين كعادتهم صباح كل يوم من ميناء الإسكندرية ، وكانت الساعة تقارب العاشرة والنصف ، وفجأة تلقى القبطان إشارة من رئاسة الميناء تطلب إليه عدم الإبحار . وعندما استفسر القبطان عن السبب ، قيل له إن هناك مناورات تجريها القوات البحرية فى ذلك اليوم ، وإنه لا داعى لإبحارهم . . وتوجه القبطان إلى وزارة الصناعة التى كانت متعاقدة مع شركة أمريكية للمسح الجيولوجى وكان معه رئيس الفنيين وهو أمريكى أيضاً ، وأبلغ المسئولين بأن الباخرة أمرت بعدم مغادرة ميناء الإسكندرية لأن هنالك حالة استثنائية ، ولحسن الحظ فإن المسئول فى مكتب وزارة الصناعة بادر فوراً بالاتصال بالقيادة العامة للقوات المسلحة لإبلاغها الشكوى ، وسؤالها هل من الجائز أن تمنع باخرة تعمل بصورة فنية على الشاطئ البعيد عن الميناء ، الذى تجرى فيه المناورات والتدريبات العادية للقوات البحرية ، لأن ذلك من شأنه أن يكبد الوزارة مصاريف إضافية عن كل يوم تعطيل للباخرة ، غير أيام التعطيل الرسمية .

ولحسن الحظ أيضاً ، أن هذه الشكوى وصلت فوراً إلى رئيس هيئة العمليات ، فأصدر أمراً فوريًا بإلغاء الحجز والسماح للباخرة وقبطانها وفنييها الأجانب بالإبحار والقيام بعملياتها الفنية كالمعتاد وكأن شيئاً لم يكن لأنه لو لم يتم إلغاء الأمر من جانب رئيس هيئة العمليات لكان هناك خطر على سلامة تنفيذ خطة القتال ،

كان هناك خطر ربما أقل من ١ ٪ فى أن يقوم القبطان وهو أجنبى بإبلاغ شركته فى الولايات المتحدة لاسلكيًّا بخبر منعه من الإبحار وسبب المنع ، وخلال ذلك قد يلتقط العدو البرقية فيؤدى ذلك إلى إفشاء السر الكبير . . وكان ذلك أبرز أحداث الساعات التى سبقت بدء العمليات الحربية .

* الساعة الواحدة و ٤٥ دقيقة اختفى المراقبون فى نقاط العدو القوية فجأة من الأبراج .

وكان تساؤل ملح . . هل عرف العدو السر ؟ . . وهل اكتشف خطة الهجوم المصرى ؟ وهل يستعد لتوجيه ضربة إحباط أو يستعد لضرب قواتنا وهى تعبر القناة ؟ وقبل أن تتضخم التساؤلات صعد مراقبو العدو إلى الأبراج مرة أخرى . . كانت عملية تغيير نوبات المراقبة ، كانت الساعة الواحدة وثمان واربعين دقيقة . . عندما حدثت المفاجأة الثانية التى استراحت لها القيادات المصرية واطمأنت إلى أن كل شىء يسير فى الخط الصحيح .

قرار قائد ف ١٨

قرر قائد الفرقة ١٨ استغلال التمهيد النيرانى ونتائج القصف الجوى . وبعد عملية إعادة تجميع القوات فى الغرب قرر اقتحام المنطقة من شمال جزيرة البلاح حتى الكاب بمواجهة ٢٠ كيلو متراً وأن تندفع القوة الرئيسية من جنوب وشمال القنطرة بينما يقوم جزء آخر بمحاصرة مدينة القنطرة والنقط القوية فيها . وتندفع القوة الرئيسية شرقاً لتدمر احتياطات العدو التى تقابلها فى طريقها وإبادتها والاستيلاء على طريق القنطرة شرق ثم تتابع بعد ذلك هجومها وتستكمل تدمير قوات العدو واحتياطياته القائمة بالهجمات المفاجئة وتتمسك قوات الفرقة برأس كوبرى وتستعد لصد أى هجمات مضادة سواء من اتجاه العريش — القنطرة أو من الجانب الأيمن شرق البلاح .

وكانت أوضاع العدو قبل بدء العمليات الحربية تتمثل فى أنه يتمسك بالنقط التسع القوية وهى الكاب والتينه والقنطرة ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ والتى تضم عناصر من المشاة مدعمة بالرشاشات والأسلحة والهاونات ومراكز الملاحظة المحصنة بنيران المدفعية

والطيران بالإضافة إلى أنه كان قد جهز النقط القوية بأربعة عشر حقل ألغام للإيحاء بأنه من المستحيل اقتحام هذه المنطقة .

كما حاول العدو وضع مصيدة لكى يخدع قواتنا حتى تدخل بين النقط القوية بالإضافة إلى المناورة من الخلف بدباباته بحيث يعرقل أى تقدم من هذه الناحية وبالإضافة إلى ذلك كان للعدو احتياطيات منتشرة فوق البلاح وشرق القنطرة ومناطق أخرى إلى جانب كتيبة من الدبابات والمشاة الميكانيكية فى رمانة وبالوظة وأبو سمارة .

الفرقة الثانية

عندما تستعد قوة للهجوم فإنها تحتل مواقع بأوضاع معينة وعلى مسافات معينة ، مثل هذا الأمر يساعد على اكتشاف بقية الهجوم ، ولمنع العدو من إدراك النوايا المصرية قرر العميد حسن أبو سعدة ، قائد الفرقة الثانية المشاة أن تهاجم قواته من أوضاع الدفاع دون تغيير .

كانت الفرقة تواجه خمس نقط قوية بمواجهة قتال تصل إلى ١٧ كيلو متراً ويسيطر العدو بالنيران المباشرة من هذه النقط القوية على مواجهة تتراوح بين ٦ ، ٨ كيلو مترات . كما يمكن للعدو منع اقتحام القناة . لو تمكن من احتلال مرابض الدبابات على الساتر الترابى .

وكان العدو قد أعطى خط بارليف شكلا آخر بعد معارك الاستنزاف فأصبحت النقط القوية الموجودة على القناة . نقط ارتكاز لثلاثة خطوط من السواتر الترابية المجهزة للعمل كمرابض للدبابات بعمق كيلو مترين ، ويفصل بين الساترين الأول والثانى ٥٠٠ متر بينما يفصل بين الساترين الثانى والثالث ١٥٠٠ متر . وتضم هذه السواتر فى قطاع الفرقة الثانية ١١٧ مربضاً تؤمنها احتياطيات قادرة على الوصول إليها خلال فترة زمنية تتراوح بين ٣٠ و ٤٠ دقيقة .

واعتمد القائد على المفارز الأمامية .

والمفارز الأمامية عنصر مقاتل مسلح تعبر القناة مع بدء التمهيد النيرانى للوصول إلى عمق خط بارليف والاستيلاء على هيئات حاكمة تم تحديدها والاستعداد لصد وتدمير احتياطيات العدو عندما تحاول التدخل وعزل المنطقة ومنع دبابات العدو من الوصول إليها والسيطرة على الأرض شرقها .

وفعلاً مع بدء التمهيد النيرانى عبرت هذه المفارز ومعها أسلحتها وذخيرتها وتسلقت الساتر الترابى بواسطة سلالم خشبية وسلالم حبال وجرت بأقصى سرعة لمسافة تصل إلى كيلو مترين حتى يمكنها أن تصل وتستعد خلال ١٠ دقائق وكان بعض أفراد هذه المفارز يحملون مدافع يصل وزنها إلى ١٨٠ كيلو جراماً وبرغم هذا استطاعت، أن تصل إلى مواقعها فى التوقيتات المحددة .

وضمت هذه المفارز الأمامية بعض مجموعات من الصاعقة وأطقم الصواريخ المضادة للدبابات من رجال المدفعية .

وتمكنت هذه القوات من الوصول خلف خطوط العدو وأخذت مواقعها المحددة لها على طول تقدم احتياطيات العدو ، واستطاعت أن تصد وتوقف محاولات العدو للتقدم بدباباته لمنع قواتنا من إنشاء رؤوس الكبارى واستولوا على مصاطب الدبابات وزرعوا الألغام فى الكثير منها لمنع العدو من استخدامها ووقفوا ببسالة وإصرار فى أماكنهم وبذل الكثير منهم حياته ثمنا لوقف تقدم دبابات العدو .

وخلال هذه المرحلة برز دور مصاطب الدبابات بالضفة الغربية ، واستطاعت الدبابات من فوقها والصواريخ المضادة للدبابات تأمين هذه المفارز ضد أى محاولة للعدو للالتفاف .

ومما يذكر أن قائد الفرقة الثانية المشاة هو صاحب فكرة إنشاء مصاطب للدبابات غرب القناة .

وقد دخلت المفرزة رقم ٢ فى قطاع الفرقة الثانية المشاة التى احتلت تبة السبعات التى تسيطر على الطريق الأوسط بقيادة النقيب (طلبة) أول معركة مع العدو ، عندما حاول الدخول بـ ٨ دبابات . وتمكنت من تدمير ٤ دبابات منها بالصواريخ وحاولت الدبابات الباقية الفرار فانبرت لها ٤ مجموعات اقتناص دبابات نجحت فى تدميرها .

الفرقة ١٦ المشاة

قبل بدء الاقتحام دفع القائد العميد عبد رب النبي حافظ مجموعات تأمين إلى الضفة الشرقية مكونة من عناصر مسلحة بأسلحة خفيفة مضادة للدبابات والرشاشات لتأمين المنطقة وتهيئة أنسب الظروف للأنساق الأولى من التجميع الرئيسى للفرقة لتنفيذ المهام المكلفة بها ، وتأمين مصاطب الدبابات فى العمق القريب والاستيلاء على الخطوط النيرانية المجهزة قبل أن يحتلها العدو . كان القائد يدرك أن احتلال العدو لهذه الخطوط معناه عرقلة تقدم القوات ومحاولة تدميرها فى مرحلة ثالثة .

فقد اختار العدو هذه الخطوط فى مواقع ومناطق حاكمه ومسيطرة تماماً .

لهذا كان قراره بضرورة الاستيلاء عليها بأسرع ما يمكن وقبل أن يتنبه العدو ويسرع باحتلالها . وعندما حانت ساعة الصفر كان الرجال يشقون طريقهم بالآلاف فوق سطح القناة من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية مستخدمين بالإضافة إلى القوارب المطاطية ناقلات الجنود البرمائية كوسيلة لنقل الجنود .

لقد أقام العدو التجهيزات الهندسية لمنع قواتنا من استخدام هذه المركبات . . ووجدت القيادة أن استخدامها كوسيلة نقل سيحقق زيادة كبيرة فى معدل تدفق القوات . . وقد كان . .

وتمكنت قوات الفرقة من اقتحام القناة فى وقت أقل مما كان مخططاً ، واستطاعت بهذا أن تحقق مفاجأة تكتيكية . . وكانت المفاجأة التكتيكية الثانية التى أعدتها الفرقة للعدو هى عبور عناصر مدرعة ذات تسليح خاص مع بدء عملية الاقتحام فى منطقة يعرف العدو أنها غير صالحة لاستخدام هذا النوع من معدات القتال .

وكان لوصول هذه المدرعات البرمائية شرقاً وقع شديد على العدو ، وكانت سبباً فى شل تفكيره ومنعه من القيام بهجمات مضادة قوية خلال اليوم الأول للقتال .

وسبب استخدام القائد لهذه المدرعات أنه كان يخشى الهجمات المضادة من اتجاه اليسار من الطالية والطريق الأوسط خاصة أن احتياطيات العدو كانت مركزةفى هذه



قال الخبراء العسكريون ، لقد خسرت إسرائيل مائة دبابة فى اليوم ، ومثلها فى اليوم الثانى . .

المنطقة – كانت للعدو احتياطيات فى منطقة الطالية والكيلو ١٤,٥ والكيلو ٢٠ وفى منطقة الطاسة – .

ودفع القائد جزءاً من هذه الوحدة المدرعة للاستيلاء على طريق الإسماعيلية الشط عند منطقة النخيل رقم ٢ على أن تؤمن باقى القوة الجانب الأيسر للفرقة وصد أى هجمات مضادةللعدو ، ونجحت السرية فى الاستيلاء على طريق الإسماعيلية الشط وقطعته وتمكنت باقى القوة من تنفيذ المهمة المكلفة بها .

شيء آخر . . لقد كان القائد خلال المرحلة الأولى للقتال يحتاج إلى مثل هذه القوة كاحتياطى للمناورة فى أى اتجاه مهدد .

ونتيجة لوصول قوات الفرقة شرقاً فى وقت مبكر عبر قادتها مبكرين أيضاً عن التوقيتات المحددة فى الخطة .

خلال نصف ساعة كان قادة الكتائب وسط رجالهم شرقاً . . وخلال الساعة الأولى كان كل قادة الألوية يديرون معاركهم من الشرق .

وقبل أن تكتمل الساعة الثانية بعد ساعة الصفر كان قائد الفرقة ومعه طاقم قيادة مصغر على الضفة الشرقية .

خلال هذه المرحلة حاول العدو التدخل ضد عملية الاقتحام لإحباطها بواسطة :

١ – النقط القوية ، وكان للعدو فى قطاع عمل الفرقة نقطتان فى الدفرسوار ونقطة قوية فى تل سلام على البحيرات تؤمن نقطتى الدفرسوار .

٢ – الاحتياطيات القريبة .

٣ – مدفعية الميدان البعيدة المدى الموجودة فى العمق .

٤ – القوات الجوية .

وقد وضعت الخطة الهجومية رد فعل العدو فى الاعتبار . وكانت الإجراءات المضادة :

أولا : إسكات وحصار النقط القوية لمنع تدخلها أو الانسحاب منها وكذلك لقطع الإمدادات عنها ، وعدم مهاجمتها فى هذه المرحلة حيث إن مصيرها السقوط إن عاجلا أو آجلا . . والتركيز بالجهد الرئيسى للقوات لصد هجمات وضربات العدو المضادة على أن يتم الاستيلاء على هذه النقط فى مرحلة تالية .

ثانياً : استخدام أطقم اقتناص الدبابات ووحدات الصاعقة بكثرة واختيار مناطق عملها بدقة لتأخير تقدم احتياطيات العدو ومنعها من التأثير المبكر على عملية إنشاء وتأمين رأس الكوبرى .

ثالثاً : تأخير رد فعل العدو بواسطة نيران المدفعية الكثيفة .

رابعاً : مواجهة قوات العدو الجوية بعناصر دفاع جوى الفرقة بالإضافة إلى قوات الدفاع الجوى غرب القناة .

وفعلا نجحت هذه الإجراءات فى إحباط محاولات العدو وإفراغها من التأثير على الهجوم .

وخلال ٣ ساعات كان التجميع الرئيسى للفرقة عدا العناصر المدرعة والمركبات قد اتم عملية اقتحام وعبور القناة . وتمكنت الفرقة من الوصول إلى خطوط المهمة المباشرة والتمسك بها انتظاراً لباقى الوحدات التابعة لها .

الهجوم المضاد :

مع آخر ضوء يوم ٦ أكتوبر قام العدو بهجوم مضاد بالاحتياطيات التكتيكية على كلا جانبى الفرقة بقوة تتراوح بين ٢٠ ، ٢٥ دبابة مدعمة بعناصر ميكانيكية فى كل اتجاه . .

وتصدت للهجوم القوات المدفوعة أمام التجميع الرئيسى ، ولكن العدو استمر فى الهجوم وتمكنت عناصر المشاة المترجلة المدعمة بالأسلحة المضادة للدبابات وبالتعاون مع الصواريخ المضادة للدبابات ونيران المدفعية غير المباشرة من صد هذا الهجوم وتدميره تماماً . واضطر العدو إلى سحب باقى قواته إلى الخلف .

وحصلت الفرقة على أول أسير وكان أحد أفراد طاقم عربة مدرعة تضم ١٧ فرداً وبعد تدميرها بواسطة صاروخ مضاد للدبابات كان هو الوحيد الحى .

وبدأت الوحدات المدرعة فى العبور بعد أن أتم المهندسون فتح الثغرات بالساتر الترابى وإنشاء الكبارى والعربات .

بعدها كان على الفرقة أن تواجه ثلاثة ألوية مدرعة إسرائيلية هى : اللواء ٤٦٠ واللواء ٤ واللواء ٦٠٠ .

وكان قدر الفرقة أن تتحمل العبء الأكبر فى مواجهة الجيش الثانى الميدانى ولم تخل معركة الفرقة من بعض الأحداث الطريفة من أهمها عثور الجنود المصريين على جندى إسرائيلى مختبئ تحت أحد الأسرة فى النقطة القوية فى الدفرسوار بعد ثلاثة أيام من الاستيلاء عليها .

لقد أمضى هذه الأيام الثلاثة راقداً على بطنه تحت السرير دون صوت ودون طعام ودون أن يقضى حاجة .

الفرقة ١٩ مشاه

كانت مهمة الفرقة ١٩ مشاة اقتحام القناة فى القطاع الجنوبى وحصار وتدمير وتصفية النقط القوية بلسان بور توفيق والجباسات وعند علامات الكيلومتر ١٤٩ ، ١٤٨ ، ١٤٦ والاستيلاء على الساتر الترابى المطل على القناة المكون من ٩١ مصطبة مجهزة بالإضافة إلى الاستيلاء على ٢٢ مصطبة بالعمق شرق الجباسات وحول ممر متلا .

وعندما حانت ساعة الصفر انطلقت قوات الفرقة تقتحم القناة . . وبعد ٣٠ دقيقة تم رفع الأعلام المصرية على النقط القوية ١٤٦ ، ١٤٨ ومحاصرة باقى النقط القوية .

الصاعقة تقطع طريق « الفرما »

كانت مهمتهم قطع طريق « الفرما » القديم الذى يصل إلى نقطة العدو الحصينة شرق بور فؤاد عبر الملاحات ومياه المتوسط . . ولم يكن الصمود مطلوباً منهم أكثر من ٤٨ ساعة . ووصلوا بواسطة بلانصات الصيد إلى قرب الساحل وأكملوا « المشوار » بواسطة القوارب وخاضوا الماء وهم على مسافة ٨٠٠ متر من الطريق ، أخيراً وصلوا إلى هدفهم . منطقة من الطريق شرق موقع العدو . وصلوا وهم مبللون بالماء المالح حتى صدورهم . . ولم



نيران المشاة استطاعت أن تشل فاعلية الدبابات

يكن أحد منهم يتوقع أن يجد حماماً من الماء العذب فى انتظارهم ، فالذين قدموا لإعداد حمامات الدم للعدو لا وقت لديهم ليحملوا بمثل هذه الرفاهية خلال القتال . برغم أنهم يعلمون أن أجسادهم سوف تتسلخ وتنضح نتيجة لذلك . . أما مشكلة الكمين وقطع الطريق فقد توصلوا إلى حل لها قبل أن تبدأ رحلتهم . . إن الكمائن عادة تقام على أجناب الطريق . . وفعلا بدأ الرجال فى إعداد كمينين على الطريق . . أولهما لمواجهة العدو القادم من الشرق لدعم أو امداد النقطة الحصينة ، والثانى لمواجهة أية محاولة من جانب أفراد النقطة الحصينة لمهاجمة الكمين وكان كل من الكمينين على شكل نصف دائرة .

وبدأت قوات من بورسعيد تهاجم نقطة العدو شرق بور فؤاد ، بمعنى أدق قلعة العدو شرق بور فؤاد . . وصباح السابع من أكتوبر تقدم احتياطى العدو على الطريق لإمداد النقطة وإخلائها من الجرحى والقتلى . . وقبل أول ضوء اصطدم العدو بالكمين وانطلقت صواريخ « المولتكة » المضادة للدبابات فدمرت أول دبابتين ، واستدارت الدبابتان الأخريان للخروج من دائرة نيران الرجال وصواريخهم .

وكان طبيعياً أن يدرك القائد والرجال أن العدو سيعاود الهجوم بعد إعادة تنظيم نفسه خاصة بعد أن أكتشف موقع الكمين . وقرر القائد إخلاء منطقة الكمين الأولى وإعداد كمين آخر خلف منطقة الكمين الثانى ، كان هذا القرار يحقق له وللرجال إتاحة الفرصة لرجال الكمين الثانى للاشتباك مع العدو . . والأهم أنه سيتمكن من خداع العدو ومفاجأته . . رغم بساطة القرار . . و بدأ العدو هجومه قبل آخر ضوء . . تمهيد نيرانى بواسطة المدفعية . . الدبابات تقترب من الموقع فى حماية نيران المدفعية . . المشاة تترجل وتتقدم من الموقع فى حماية نيران الدبابات . . كل هذه الإجراءات والنيران استهدفت منطقة الكمين الأولى التى تم إخلاؤها .

وأتيحت الفرصة للرجال أن يشاهدوا كل مراحل الهجوم المعادى والابتسامة ترتسم على كل شفاه . . وكلما زادت حدة الهجوم المعادى تحولت الابتسامات إلى ضحكات وقهقهات . . لم تنسهم لحظات القتال بكل ما فيها من نيران ودخان ودم وانفجارات . . روح المداعبة والمرح . كانوا يداعبون العدو هذه المرة ، وعندما اقترب العدو من موقع الكمين الأول اكتشف أنه خال إلا من الدبابتين اللتين أصيبتا لهم خلال الصباح . .

فأوقفوا النيران ووقفوا مشدوهين وبالغيظ كله بدأوا فى البحث عن الصاعقة على امتداد الطريق . . وكانت هى اللحظة المناسبة للهجوم . . وانطلقت نيران الرجال التى ظلت محبوسة ونجحوا فى تدمير دبابتين . . وانسحبت ثلاث دبابات . . وخسر العدو ما يقرب من ٣٠ فرداً . . ولجأ العدو إلى استخدام المدفعية فى قصف الرجال . وخلال فترة الظلام سحب العدو قتلاه وجرحاه . . وانسحب من الطريق تاركاً نقطة ملاحظة له عليه . . وصباح يوم ٨ أكتوبر قررت قوة الكمين البقاء مخالفين بذلك الخطة . . فقد كان عليهم الانسحاب والعودة ، ولكنهم قرروا الاستمرار . . كانوا يتمنون أن يعاود العدو الهجوم عليهم، وكان نجاحهم فى صد هجومين للعدو وتكبيده قدراً من الخسائر مثيراً لروح القتال والرغبة فى النيل من عدوهم .

واستمروا فى مواقعهم ، ومضى يوم ٨ أكتوبر دون أن يعاود العدو الهجوم واستعاد العدو نشاطه يوم ٩ أكتوبر . . وفى اليوم نفسه أصدر قائد قطاع بور سعيد قراره للقوة بالانسحاب بعد أن أصبح موقفها صعباً نتيجة نقص الماء . . ورفض قائد الرجال الانسحاب نهاراً وعندما انتصف النهار بدأ العدو هجومه . . نيران المدفعية تنهال على الطريق ولكن كان اتجاه الهجوم الرئيسى للعدو من اتجاه الملاحة . . وخاض الموقع الأول قتالا متلاحماً مع العدو القادم من الملاحة . . وتمكن الرجال من تدمير فصيلة للعدو . . وسقط منهم بعض الشهداء والجرحى . . واستمر القتال حتى آخر ضوء . . وبدأ القائد يستعد للعودة إلى القاعدة وقرر أن يترك جماعة تستمر فى قتال العدو . . وبدأ مع الباقين رحلة العودة عبر الملاحة ووصلوا إلى القاعدة فى نفس الليلة . أما المجموعة الساترة فقد اختاروا أن ينسحبوا فردين فى إثر فردين مع استمرار إطلاق النيران على العدو . . وعادت القوة إلى القاعدة كان يقودها ثلاثة ضباط . . استشهد اثنان . . وعاد الثالث وكان الثمن نجاحهم فى أداء مهمتهم .

أغلقوا طريق تقدم العدو من الشمال بنيرانهم وصدورهم

كانت مهمة الرجال . . تعطيل لواء إسرائيلى مدرع على القطاع الشمالى للمحور الساحلى لمدة ٦ ساعات لإتاحة الفرصة لقوات الجيش الثانى الميدانى لاقتحام القناة وإنشاء الكبارى وتثبيت أقدامهم شرق القناة .

كانوا حوالى ١٢٨ فرداً ، ١٢٠ جندياً وصف ضابط . . ، ٨ ضباط يقودهم حمدى شلبى . .

وبرغم إصابة حمدى فى ركبته قبل بدء المعركة ، إلا أنه رفض التخلى عن رجاله .

والقائد من جيل الضباط الذى تخرج فى الكلية الحربية بعد يونيه ١٩٦٧ .

وكانت تجربته الأولى فى ميدان القتال ليس كمقاتل أو قائد . . ولكن كعنصر استطلاع حيث تكونت لديه خبرة خلال عمليات الاستطلاع التى قام بها . .

وبعد إبراره هو ورجاله عند « تل الفرما » بالهليكوبتر حوالى الساعة الخامسة والنصف مساء السادس من أكتوبر . . تقدموا سيراً على الأقدام لمسافة ٩ كيلومترات . . واكتشفوا حقلا للألغام . . توقفوا . . ونتيجة للاستطلاع اكتشفوا خلو الحقل من مدافعين عنه . . واصلوا تقدمهم تحت سماء تشهد نشاطاً جوياً معادياً محموماً . .

وعلى مسافة ٢٦ كيلو متراً قطعوها سيراً وصلوا إلى « رمانة » واختاروا مواقعهم بعناية . . واحتلوها بعد إعدادها . .

وظهرت ثلاث عربات نصف جنزير وعربة جيب . . وأطلقت نيران تفتيش فى كل اتجاه ، وصمت الرجال . . واختفوا ، لأن ليس من مهمتهم الاشتباك مع مثل هذه القوة وكشف موقعهم . . واستمروا هكذا لمدة ٤٠ دقيقة . . بعدها ترك العدو المنطقة . .

وأتيحت الفرصة للانتشار واحتلال المواقع الأفضل بالنسبة للفصائل والسرايا . . وفى مواجهة تسمح لهم بحرية التعامل مع العدو وإغلاق طرق المرور أمامه وطوال الليل تجنبوا الاشتباك مع دوريات العدو وقواته المتحركة فى المنطقة .

وظلوا هكذا حتى الساعة الخامسة والنصف صباح يوم ٧ أكتوبر . .

وفى الساعة السادسة صباحاً ظهر « قول مدرع » يضم كتيبة مدرعة + كتيبة مشاه ميكانيكية هذا هو هدفهم .

كان يتجه مسرعاً على الطريق ليلحق بالمعركة وبقواتنا قبل أن تستكمل دروعها . .

ودخل « القول » فى نطاق الفصيلة الأولى من ناحية . . رمانة . . فتركته يمر « طبقاً للخطة . . وأيضاً تركته الفصيلة الثانية يمر . . .

وعندما دخل فى نطاق الفصيلة الثالثة وكان يقودها الشهيد « نجم » اشتبكت معه .

وتوقف القول الإسرائيلى . . وبرجست دباباته ومدرعاته . . وعلا صراخ أفرادها . . فى نفس الوقت الذى فتحت فيه كل الفصائل نيران أسلحتها . .

واندفع الرجال بصدورهم العارية نحو الدبابات ليصيبوها من مسافات قريبة . واستمر القتال لمدة ست ساعات ونصف ساعة . وامتلأت المنطقة بالنيران والدخان والصخب والضجيج والصراخ والدماء والجثث . . وأجزاء الجثث . . وبعد توقف القتال . . كانت خسائر العدو : ١٨ دبابة . ٢ عربة نصف جنزير . عربة جيب . ٢ عربة بوّر» محملة بأفراد . أوتوبيسًا . سيارتين محملتين بالذخيرة . ونشاً .

وأصبح وجودهم عقبة فى طريق تقدم قوات العدو . . بعد أن أعربوا عن وجودهم بهذه الصورة . .

وعندما ظهرت فى سماء المنطقة أربع طائرات عمودية أدركوا أن قيادة العدو قررت مواجهتهم بقوات مشاة . .

واتجهت طائرتان إلى يمين الرجال . . وطائرتان إلى يسارهم

وبعد إبرار أفراد العدو . . انتشروا فى تشكيل خطى . . من الجانبين . . ولم يكن ذلك الاحتمال بعيداً عن ذهن القائد ورجاله وهم يختارون الأماكن التى احتلوها .

كانت هناك مجموعتان تضم ١٧ فرداً . . الأولى تضم ٧ أفراد موجودة على الجانب الأيمن والثانية وتضم ١٠ أفراد على الجانب الأيسر وأوامر القائد . . الانتظار حتى يقترب العدو لمسافة تتراوح بين ١٥٠ ، ٢٠٠ متر ، وعندما وصل أفراد العدو من الاتجاهين إلى هذا المدى ، فتحت المجموعتان نيران كل أسلحتهما فجأة وسقط للعدو قتلى وجرحى

وفر البعض الآخر . . فتوقفوا نتيجة اقتناعهم بأن القوة التى تواجههم ، وتصد الهجوم ، كبيرة لم يحسبوا حسابها . .

هذه المرة استمر القتال حتى الساعة الثانية ظهراً واحتل العدو مواقع فى مواجهة الرجال . . وبدأوا فى دك المنطقة بكل أنواع النيران . . مدفعية من مختلف الأعيرة . . قذائف مدافع الدبابات . . وهاونات . . رشاشات . . وأسلحة صغيرة . . وزادت نسبة خسائر الرجال . . ولم تتأثر معنوياتهم . . فعندما خرجوا . . كانوا جميعاً مقتنعين إلى حد اليقين أنهم فى طريقهم إلى الاستشهاد . . وفى الساعة الثانية والنصف حرك العدو دباباته من الخلف فى تشكيل « مربع ناقص ضلع » وعندما وصلت الدبابات إلى مسافة قريبة من الرجال نادوا عليهم بمكبرات الصوت لتسليم أنفسهم . . مع استمرار القصف من الأمام . . ولم يرفع أحد منهم رأسه من الموقع الذى يكمن فيه . . وعاود تشكيل المدرعات الإسرائيلى تحركه من الخلف من جميع الاتجاهات . . وبدأ يدخل على الأفراد بالدبابات وخرج نجم . . وألقى قنبلة على أول دبابة تمر أمامه ، فاشتعلت فيها النيران . . وسقط شهيداً تحت الدبابة الثانية . .

واشتدت شراسة القتال من الجانبين . . المدرع والمكشوف . . كلاهما يريد سحق الآخر . وكان المكشوف أكثر بسالة فلم يتخل الرجال عن مواقعهم . . من سقط شهيداً سقط فى موقعه وبعد أن يكبد العدو خسائر جسيمة .

وفى الساعة السادسة مساء توقف القتال . . وأوقف العدو عملية التطويق بعد أن تأكد أنه قضى على القوة بالكامل . .

وأخلى العدو قتلاه وجرحاه وسحب دباباته المعطوبة بالأوناش . . وجمع رجال الصاعقة جرحاهم وأخلوهم إلى الخلف . . إلى قاعدة الدوريات على مسافة كيلومترين .

كانت الساعة قد اقتربت من السابعة والنصف مساء . . وبدأ الظلام يسود المنطقة وكانوا قد نجحوا تماماً فى أداء مهمتهم . . فهم لم يوقفوا تقدم طوابير العدو لمدة ساعتين كما كان مقدراً . . بل أوقفوها لمدة يوم كامل . .

وقرر القائد العودة بالباقين من رجاله . . وظهرت طائرات العدو فى سماء المنطقة بعد توقف النيران . . وبدأت تلقى بحمولاتها فى كل مكان . .

وانقسمت القوة إلى مجموعات صغيرة . . حتى تتمكن من المرور خلال مواقع العدو خلال رحلة العودة . .

وقاد حمدى إحدى المجموعات الثلاث . .

حاول أولا السير فى حذاء الطريق الساحلى وعندما اقترب من موقع الشئون الإدارية فى « بالوظة » توقف لوجود أضواء . . . وانتظر حتى الصباح . . ليكتشف أنه ورجاله فى قلب مواقع العدو.

وقرر الانتظار حتى المساء ، ليخرج من المنطقة فقد كان من الصعب أن يتحرك خلال النهار. وواصل السير عندما أسدل الليل أستاره حتى وصل إلى موقع رأس العش واستقبلته قواتنا بالنيران . . فغير اتجاهه إلى بور سعيد التى وصلها يوم الخميس . . ووصلت مجموعتان من المجموعات الثلاث . .

كمين شرق القناة

كانوا فصيلتين من كتيبة صاعقة يتربصون فوق الساتر الترابى جنوب النقطة القوية التى تعرف باسم نقطة الكيلو متر ١٩ جنوب بور سعيد ، بعد اقتحامهم للقناة . . ظهر السادس من أكتوبر . . وانقسم الرجال إلى أربع مجموعات عبروا جميعاً خلال ثغرة فتحوها فى السلك الشائك فوق الساتر الترابى . . لينفتح أمامهم الطريق إلى سيناء . . وانطلق واحد منهم ليغرس علم مصر فوق الساتر الترابى شرق القناة . . وكان مشهداً مؤثراً . . أسال دموع الجميع . . وانطلقت صيحات التكبير . . لتصنع مزيجاً مدهشاً مع أصوات الانفجارات وانطلقوا جميعاً فى اتجاه هدفهم . . . تقاطع المدق الشرقى الموصل إلى النقطة الحصينة مع أحد المدقات الفرعية الموازية للقناة على مسافة ثمانية كيلومترات إلى الشرق . . للتمسك بها ومنع احتياطيات العدو المدرعة من المرور.

وبعد أن قطعوا مسافة كيلو مترين فوجئوا بأن الأرض تبتلع أقدامهم فى جوفها . . لقد وصلوا إلى منطقة طينية سائلة . .

ولم يكن هناك اختيار . . إما السير على المدق فيسهل على العدو اكتشافهم . . أو مواصلة السير فى هذه المنطقة . . وثقلت خطواتهم . . وتضاءل معدل تقدمهم . .

وزادت خفقات قلوبهم تحت وطأة الإحساس بالقلق وخوفاً من الفشل ولكنهم استمروا . . برغم النيران التى تمر فوق رؤوسهم ومن بينهم . . . نيران الاشتباك الدائر فى كل المنطقة المحيطة بهم والمعارك التى تخوضها قواتنا على مشارف القناة وبينما هم فى صراعهم لاختراق هذه المنطقة . . تعقدت الأمور أكثر . . لقد أصبح التقدم أكثر صعوبة واقترب الوقت المحدد لهم للوصول إلى منطقة الهدف . . ولم يكن هناك اختيار . . وأصدر القائد أمراً للرجال بالخروج من الملاحات . . والمخاطرة بالسير فوق المدق . . وهو يعلم أن خط صد الدبابات الذى أنشأه الإسرائيليون سيكون على يسار رجاله . . وكان رجاله مستعدين لأى احتمال فى سبيل الوصول إلى الهدف ومنع دبابات العدو من المرور ، وبدأت أولى المجموعات تطأ الأرض الصلبة على المدق . وازدادت الأمور تعقيداً عندما صاح أحدهم فجأة . . غبار فى الأمام . ولم يكن هذا الغبار سوى طابور دبابات إسرائيلى . .

كانت الدبابات على مسافة ٣ كيلومترات وهناك ثلاث مجموعات تحاول الخروج من الملاحات . .

والمجموعة التى وصلت إلى المدق لم يكن معها سوى قاذفين مضادين للدبابات .

وكان لابد من عمل شيء لإنقاذ كل الرجال . . وإنقاذ المهمة ذاتها من الفشل .

واندفعت المجموعة إلى الأمام غير عابئة . . إذا كان العدو يراها أم لا . . للوصول إلى نقطة يجبرون عندها العدو على التوقف لإعطاء بقية المجموعات الفرصة للخروج إلى المدق . . ما أسهل حصدهم بالنيران وهم فى هذا المأزق . . وكان سباقاً بين الدبابات والرجال . .

وخلف بعض أكوام التراب الموجودة على يسار المدق رقد الرجال متفرقين واتخذوا منها ساتراً للقتال . . واستطاع قائد المجموعة الأمامية التى لا يزيد عدد أفرادها عن خمسة رجال أن يميز بواسطة نظارة الميدان دبابتين فى المقدمة . . ومن خلفها دبابتين أخريين وعربة لورى . وأعد الرجال أسلحتهم للاشتباك وتواروا جيداً خلف أكوام التراب ينتظرون دخول العدو فى المرمى القاتل لأسلحتهم .

وطلب القائد أن يطلقوا جميعاً على الدبابة الأولى عندما يشير إليهم فلابد من تدميرها . . وأعد كل من الرجلين حاملى القذائف المضادة للدبابات بعض القذائف بجوارهما لسرعة التعمير والاشتباك بينما أعد باقى الرجال القنابل المضادة للدبابات .

وحبس الجميع أنفاسهم وانفتحت أبواب الجحيم . . فقد أطلقت الدبابات نيرانها على مجموعة ثانية كانت لتوها خارجة من الملاحات . . وأفرادها يسارعون للاختفاء خلف بعض الثنيات الترابية . وتقدمت الدبابات أكثر . . وعندما كانت أول دبابة على مسافة ٣٠٠ متر منهم أشار القائد لرجاله . . يارب . . واختار كل منهم هدفاً للتنشين على الدبابة القائدة .

وأطلق أحد الجنود دفعة من النيران على فرد الرشاش فأصابه ولم يخرج من فتحة البرج بعد ذلك . . وانطلقت القذيفة الأولى . .

وبرغم أن الرجل « فايز » مشهود له بأنه لم يخطئ الهدف أبداً منذ ارتدى ملابس الجندية . . إلا أنه لم يشعر بسعادة وفخر طوال حياته مثلما شعر فى تلك اللحظة التى اصطدمت فيها قذيفته بجنزير الدبابة . وراحت تتمايل كأنها سكرى قبل أن تتوقف على جانب المدق عاجزة عن الحركة لتفسح الطريق أمام الدبابة الثانية التى اندفعت من خلفها لتفتح الطريق بنيرانها ، وأصابت أحد الرجال وكان قريباً من المدق . . وخلال هذه الفترة تمكنت المجموعة الثانية من إسقاط فرد الرشاش فى الدبابة الثانية . . وبوصول هذه المجموعة ارتفع عدد القواذف إلى ثلاث .

ووقف ثلاثة رجال فوق سطح الأرض بقواذفهم . . وصوبوها فى اتجاه الدبابة الثانية ليحولوا سحابة الغبار البيضاء التى تثيرها إلى هالة سوداء من الدخان والنيران . . وبعد لحظات دوى انفجار مروع أحالها إلى كتلة سوداء . . شكراً وحمداً . . وهدأت نفوسهم قليلا . . فهم فى موقف أفضل كثيراً مما كانوا عليه منذ لحظات قصيرة . . والحقيقة التى اكتشفوها بعد نجاحهم الأول . . والكبير أن الإسرائيليين يرتكبون كثيراً من الأخطاء .

وكان تفسيرهم . . ربما المفاجأة التى تعرضوا لها جعلتهم يمزقون قواتهم بدفعها لتلقى مصيراً منفرداً . .

كما كان خط تقدم الدبابات مختلفاً كلية عن خط التقدم الصحيح .

فقد تحركت الدبابات الأربع بفواصل متقاربة لتتمكن من اقتحام النقطة التى يحتمون فيها ويحصدونهم جميعاً .

وكانت الدبابتان الخلفيتان تقفان بعيداً عن موقع الاشتباك وخلفهما العربة اللورى المغطاة . . وتجمد موقف القتال لبعض الوقت . . وكانت فرصة تمكنت خلالها المجموعتان الخلفيتان من الخروج من الأرض الطينية واندفعتا لاحتلال أماكن مناسبة على امتداد الخط الذى تحتله المجموعتان الأماميتان .

وتحركت الدبابتان بسرعة فائقة وتوقفتا فجأة . . وانطلقت نيران رشاشاتهما يمين المدق ويساره ، ومرة أخرى تقدمت الدبابتان وعندما وصلتا إلى مسافة ١٠٠ متر من المجموعة الأمامية أطلق أحد الرجال قذيفة مرقت يسار البرج . . وغمر فرد الرشاش المنطقة بنيران كثيفة وفى نفس الوقت اندفعت الدبابة بسرعة وألحقت بالرجال بعض الخسائر .

وشاركت الدبابة الثانية بنيرانها وأصبح من العسير على أى من الرجال أن يخرج رأسه من خلف حفرته .

وعبرت الدبابة الأولى المجموعة الثانية تحت وابل النيران التى تطلقها الدبابة الخلفية .

أصبح الموقف حرجاً وارتفع أحد الرجال « وهو يحمل قاذفه فوق كتفه وأطلق قذيفته لتستقر فى الشبكة المعدنية خلف الدبابة التى اندفعت ترنح على جانب المدق الأيسر حتى كادت تغوص فى الأرض الطينية الرخوة وظلت النيران مشتعلة بها مدة طويلة . وأصبح عدد الدبابات المدمرة ثلاثاً وبقيت واحدة . . وطاشت قذيفتان أطلقتا فى اتجاه الدبابة . .

وتمكن « عبد النبى » من إصابة جنزيرها بقذيفة ثالثة عندما أوشكت على الإفلات . . وعندما كانت تنحرف يمين الدبابة المدمرة أدارت برجها بسرعة نحو الرجال وأخذت تطلق نيراناً غزيرة . . ومؤثرة . . على المجموعين الثالثة والرابعة . . ولم تكن الدبابة تبعد عن آخر مجموعة بأكثر من عشرين متراً . . وكانت قذائف مدفع الدبابة تهز الأرض . .

واختلطت انفجارات القذائف بأصوات طلقات الرشاش . . وانفجارات القنابل اليدوية التي يلقيها فرد الرشاش بالدبابة بين حين وآخر . .

كان الموقف سيئاً وخطيراً ومعقداً وخيل للقائد أن هذه الدبابة قد تقضى على رجاله . . بعد أن زادت نسبة الإصابات وشاهد وهو فى موقعه ثلاثة أفراد يخرجون من الدبابة الأولى ويسارعون بالفرار نحو العربة اللورى التى حملتهم وانطلقت مسرعة نحو الشرق . . فأيقن أن الدبابة انتهى أمرها . .

وتذكر قول أحد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما شاهد سحابة تمضى فى السماء فقال : « امطرى حيث شئت فسوف يأتيني خراجك » .

فقال لنفسه وهو يرى اللورى يسرع شرقاً . . اهرب أينما شئت فسوف تقع فى أيدى رجالنـــا . .

وخاطب القائد قائد المجموعة القريبة من الدبابة الباقية وطلب منه أن يجد حلاً للخلاص من هذا الموقف . فى نفس الوقت كان هناك جنديان يرقدان متجاورين . . استقر أمرهما على خطة وانتظرا . . كان الخطر الحقيقى جندى الرشاش لو أمكن حبسه داخل الدبابة لازدادت فرصة الوصول إليها .

وجاءت الفرصة . . أطلق جندى العدو دفعات غزيرة من النيران وعندما توقف ليبحث عن هدف . . انهمرت النيران حوله واصطدمت بالبرج فأسرع ينزلق بداخله . . خلال هذه اللحظة اندفع الرجـل الثانى فى وثبة سريعة عبر المدق ليرقد على الناحية الأخرى . . كان المدق يعلو عن مستوى الأرض فى المنطقة ليصنع على جانبيه جسراً مائلا يمكن الاختفاء به عن مراقبة الدبابة .

وبدأت الدبابة تطلق نيرانها فى اتجاه الرجل الأول الذى كان يختفى قليلا ثم يعود ليجازف بالارتفاع والضرب فوق البرج حتى لا يعطى فرصة لفرد العدو فوق الرشاش ليرتفع مرة أخرى . . كان يشعر أن النجاح قد أصبح وشيكاً ، فزميله يقترب بحرية حتى قارب أن يصل أمام الدبابة . . لا يفصله سوى عرض المدق . . واستمر يطلق النيران ليمنع ذلك الجندى من الخروج . . وفجأة شعر كأن قضيباً ساخناً يخترق ذراعه اليسرى وجانبه . . لقد أصابته نيران العدو . . واختفى خلف الساتر برهة تحت تأثير ألمه . .

وسرعان ما تذكر زميله ومحنتهم . . فارتفع بسرعة يطلق الرشاش فى جنون ثم انزلق خلف ساتره مرة أخرى وقد حبس أنفاسه وقلبه يدق بعنف فزميله أطل من فوق الجسر وانطلق نحو جانب الدبابة وأوشك على ارتقائها .

وفى اللحظة التى كان يقاوم فيها آلامه . . كان زميله يصعد فوق جنزير الدبابة . وبيده قنبلة يدوية أعدها للقذف ، وارتفع فوق البرج وهو ممسك بها بقوة ، وصاح صيحة مدوية تحمل كل غله وغيظه وسعادته بالنجاح . . طالباً من جنود العدو بالدبابة التسليم أو الموت .

ولم يكن يدرى هل فهموا حديثه باللغة العربية أم لا . . ولكنه كان مستعداً لترك القنبلة تسقط من يده لينتهى كل شىء .

وتوقفت نيران الدبابة . . وخرج طاقمها مستسلماً .

وكانت نهاية معركة تدمير الاحتياطى المدرع خلف النقطة الحصينة عند الكيلو ١٩ جنوب بورسعيد . . التى كانت أول نقطة تسقط من خط بارليف .

سقوط أول نقطة عند الكيلو متر ١٩

كانت نقطة الكيلو متر ١٩ عند الكاب جنوب بورسعيد أول نقطة قوية من خط بارليف تسقط فى يد الصاعقة بعد ساعة و٢٣ دقيقة من ساعة (س) وهذه النقطة القوية إحدى ثلاث نقط قوية شمال القنطرة فى الشريط الساحلى الضيق شرق القناة المحصور بين القناة غرباً والملاحات شرقاً وهذه النقط هى التينة والكاب ورأس العش . وقد اقتحمت الصاعقة والمشاة القناة من مواقعها غرباً وهاجمتها بالمواجهة ومن الأجناب ودار قتال وحشى ، وتلاحم الجانبان . وأخيراً سقطت النقطة وكانت أول نقطة تسقط من خط بارليف .

سقوط النقطة الحصينة لسان التمساح

الملاجئ نمرة ٦

تمكنت قوات الفرقة الثانية المشاة من الاستيلاء على النقط الثلاث القوية فى منطقة بحيرة التمساح وهى لسان التمساح والملاجئ ونمرة ٦ يوم ٦ أكتوبر عندما نجحت فى مفاجأة العدو بدفع مدرعات برمائية من طراز ب م ب عبر بحيرة التمساح . وكانت هذه الفكرة تلح على ذهن قائد الفرقة برغم أنه كان يعلم أن جميع الخبراء بما فيهم الإسرائيليون يجمعون على أن بحيرة التمساح لا تصلح لعبور المركبات البرمائية ، أولاً : لوعورة الأرض . . ثانياً : لوجود حقل ألغام شرق البحيرة بعمق ٣٠٠ متر بالإضافة إلى مرابض دبابات يمكن لاحتياطيات العدو المدرعة استخدامها لإحباط الهجوم فى حالة اكتشافه .

وكان القائد يرى أن نجاح المحاولة سيحقق له :

* مفاجأة العدو تكتيكيًّا .
* إتاحة الفرصة لقواته للمناورة بحرية .
* استغلال هذه المنطقة التى تشكل ثغرة فى خط بارليف ، تركها اعتمادًا على استحالة الهجوم من البحيرة .

وانتقى القائد الجنود الصيادين ودرس معهم أجزاء معينة من الساحل حتى اكتشفوا مكانا يصلح للعبور . وفى الليلة السابقة للهجوم أجرى تجربة بمركبة برمائية للتأكد من نجاح المحاولة .

واستخدم أصوات الدبابات والبلدوزرات للتغطية على صوت المركبة البرمائية لحرمان العدو من اكتشاف التجربة وما يترتب على ذلك من إدراك النوايا المصرية .

كان هدف القائد من تحقيق المفاجأة تهديد الجانب الأيسر لخط بارليف شمال الإسماعيلية لإجبار العدو على إخلاء مواقعه مبكراً والتى كانت تهدد مدينة الإسماعيلية وتؤمن الطريق الأوسط .

كما أن مثل هذه المفاجأة المبكرة ستؤدى إلى جذب احتياطيات العدو إلى هذا الاتجاه . مما يؤدى إلى تخفيف الضغط على الاتجاهات الأخرى .

ومع أول طلقة مدفعية ظهر يوم ٦ أكتوبر بدأت المدرعات البرمائية تعبر البحيرة بالتدريج وعلى مرحلتين ومعها عشرة مهندسين لفتح ثغرة فى حقول الألغام . .

واستطاعت القوات أن تستولى على مرابض الدبابات ثم عبرت الكتيبة المخصصة لتأمين بحيرة التمساح .

واندفعت فى نفس التوقيت قوة من منطقة مستشفى قناة السويس بالإسماعيلية للاستيلاء على التجهيز الهندسى فى عمق العدو القريب لعزل النقط الثلاث القوية فى هذه المنطقة وكان من نتيجة المفاجأة أن سحب العدو أفراده من نقطة لسان التمساح وانضموا إلى النقطتين المجاورتين . وبمجرد نزول آخر ضوء سحب العدو جميع قواته . وقرر القائد ترك العدو يمر ليقع فى كمين تم إعداده وعندما دخل العدو فى منطقة الكمين تمت إبادته بالكامل .

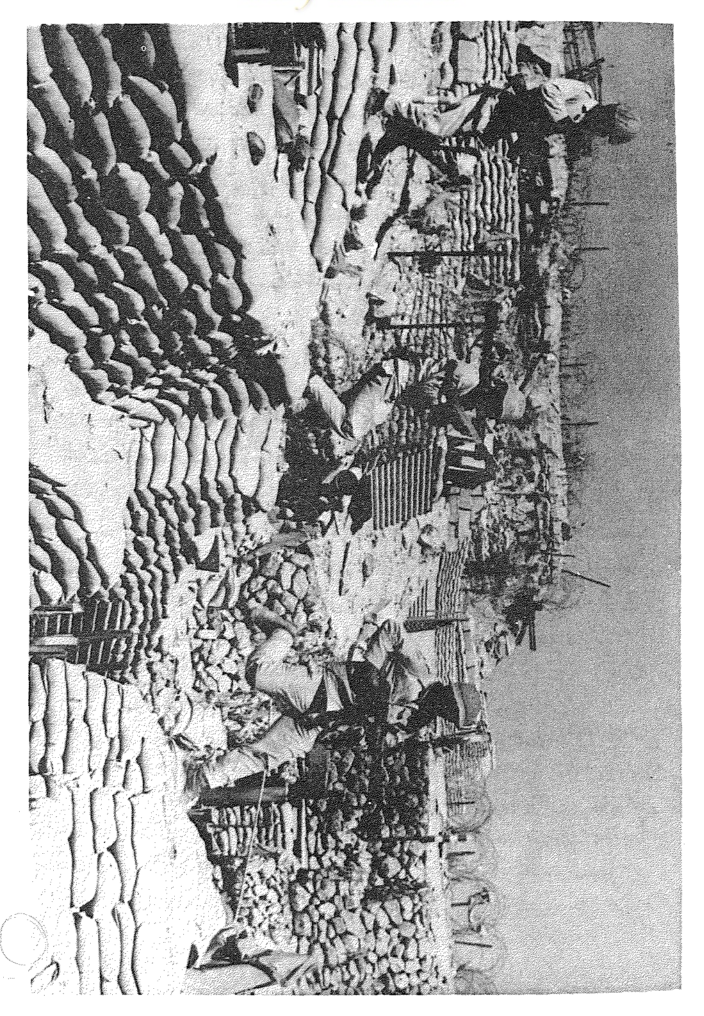
وخسر العدو ٧ دبابات وما يقرب من ثلاث سرايا .

سقوط شمال الفردان

تمكنت قوات الفرقة الثانية المشاة من الاستيلاء على نقطة شمال الفردان الساعة الرابعة والثلث – أى بعد ساعتين من ساعة (س) .

وسقطت القنطرة

عندما التقى الرئيس السادات بالعميد فؤاد عزيز غالى قائد الفرقة ١٨ المشاة لآخر مرة قبل بدء العمليات الحربية شرح له الأهمية السياسية البالغة للإستيلاء على مدينة القنطرة وحمله مسئولية تنفيذ هذه المهمة ، وفى آخر لقاء بين وزير الحربية وقائد الفرقة ١٨ وكان ذلك يوم أول أكتوبر سأله كيف تستولى على القنطرة ؟



ورد العميد فؤاد بأنه سوف يضغط على زر فتستولى قواته على المدينة .

وكانت خطة القائد تعتمد على استغلال إمكانياته من النيران لإجبار العدو فى النقط السبع القوية فى منطقة القنطرة للاختباء داخل الملاجئ وتدمير النقطة القوية الموجودة على جانبي المدينة والتى تؤثر على اقتحام نقطة القنطرة رقم ٣ التى أنشأها العدو على حافة القناة بمدينة القنطرة شرق . على أن يتم اقتحام النقطة القوية مباشرة بالمواجهة مع الالتفاف من كلا الجانبين بالقوات الرئيسية لاستكمال حصار القنطرة بقوة بأسرع ما يمكن .

وقد تمكنت قوات الفرقة بعد ٣٥ دقيقة من اقتحام القناة من محاصرة العدو داخل المدينة وداخل النقط القوية .

وكان على رجال الصاعقة أن يهاجموا النقطة القوية ويقتحموها من المواجهة ، وأثناء سير عملية التطويق من كلا الجانبين تمكنت قوات الفرقة من تدمير احتياطيات العدو المحلية والتكتيكية وتقدر بحوالى كتيبتى دبابات ولواء مشاة ميكانيكى ، عدا كتيبة ، وألجمت المفاجأة قوات العدو فى المدينة مما دفع بعض الأفراد إلى الفرار . وسقطت نقطتا القنطرة ١ ، ٤ فى مدة تتراوح بين ٢٣ ، ٢٥ دقيقة من بدء الهجوم عليها .

وقد تمكنت قوات الفرقة خلال هذه المعارك من أسر حوالى ٤٦ فرداً . وقد نجحت القوات فى الاستيلاء على المدينة بعد ساعتين ، أى حوالى الساعة الرابعة والنصف مساء ، ورفض القائد إبلاغ القيادة بالاستيلاء على المدينة قبل أن تدخل دباباته ومدفعيته الميدانية فى رأس كوبرى الفرقة لصد أية هجمات مضادة يمكن أن يقوم بها العدو .

وبدأت هجمات العدو المضادة فى قطاع الفرقة ١٨ بعد فترة تتراوح بين ٢٠ ، ٣٠ دقيقة من اقتحام القناة .

وتكررت هجماته المضادة لفك الحصار عن قواته داخل مدينة القنطرة شرق

معركة شمال البلاح

وفى إحدى محاولات العدو فى الساعة ١٨٤٥ يوم ٦ أكتوبر تمكن العدو – نتيجة تجميع قوة جديدة من اختراق الجانب الأيمن لقوات الفرقة ووصلت بعض عناصر دباباته إلى مشارف المدينة من الجنوب بعد أن استرد نقطة شمال البلاح من أيدى قواتنا .

ووصلت قوات العدو إلى الضفة الشرقية للقناة ونجحت فى تطويق الجانب الأيمن للفرقة ١٨

وركبت دبابات العدو الساتر الترابى وتمكنت من تدمير أحد الكبارى بالضرب المباشر .

وكان من نتيجة ذلك أن واجهت قوات الفرقة موقفًا حرجاً ، أضيف إليه انخفاض نسبة تدفق القوات من الغرب إلى الشرق إلى أقل من النصف .

وتصدت قوات الفرقة للهجمة المضادة الإسرائيلية ولم تتح له فرص استثمار النجاح وتعزيز أوضاعه وقامت بشن هجوم مضاد كاسح .

وبعد قتال مرير تمكنت من إعادة الإستيلاء على نقطة شمال البلاح مرة أخرى قبل منتصف الليل .

وواصلت قوات الفرقة الاشتباك مع العدو حتى أتمت إبادة القوة التى قامت بالهجوم المضاد .

وينجو القائد :

وفى الوقت نفسه الذى كانت فيه قوة للعدو تهاجم الجانب الأيمن للفرقة ١٨ كانت هناك قوة أخرى تهاجم الجانب الأيسر .

وفعلا نجحت بعض الدبابات فى الوصول إلى داخل المدينة ، ومن هذه الدبابات وصلت دبابتان إلى مسافة ١٥٠ متراً من النقطة التى يدير منها العميد فؤاد عزيز غالى معركة فرقته ، وبدا لكل من شاهد الموقف أنها نهاية القائد وطاقم القيادة . وقبل أن تتمكن

الدبابتان من إطلاق نيرانهما اندفع أحد الجنود لمهاجمة الدبابة الأولى بالقاذف آر . بى . جى ليصيبها إصابة مباشرة بعدها يندفع ليهاجم الدبابة الثانية بقنبلة يدوية مضادة للدبابات وتنفجر الدبابتان وينجو القائد وطاقم القيادة .

وتنجح قواتنا فى صد الهجوم المضاد من الجانب الأيسر وتدمر للعدو ٢٦ دبابة

سقوط النقط القوية

بانتهاء الليلة الأولى للقتال سقطت فى يد القوات المصرية ١٥ نقطة قوية من خط بارليف على مواجهة القوات المسلحة .

كانت الأولى هى نقطة الكيلو ١٩ جنوب بورسعيد . . والثانية نقطة الكيلو ٤٤ وبعدها توالى سقوط النقط القوية . .

معركة المليز

تقدم احتياطى العدو المدرع المكون من لواء دبابات من المليز عبر المضايق على الطريق الأوسط الساعة السابعة و ٤٥ دقيقة لمهاجمة رأس كوبرى الفرقة الثانية المشاة قبل فتح الكبارى وتدفق الدبابات والأسلحة الثقيلة . . وهاجمت إحدى الكتائب الكتيبة من اتجاه اليسار مستخدمة الأضواء الكاشفة بهدف جذب نيران القوات المصرية فى اتجاهها وتضليلها عن اتجاه الهجوم الرئيسى .

وأدرك القائد المصرى ذلك وكان يعرف فى نفس الوقت أن قواته المشاه تواجه موقفاً صعباً ، فقد كان عليها أن تصد الدبابات بإمكانياتها المحدودة وكان القائد حسن أبوسعده قلقاً حول نتيجة المعركة الأولى لفرقته ، لأنه لو تحقق لها النصر فلن تتوقف أبداً .

وأصدر القائد أوامره إلى قائد إحدى الكتائب بتدمير هذه الكشافات ودفع أطقم اقتناص الدبابات للاشتباك مع العدو .

وأصيب العدو بالارتباك ولحقت به خسائر . وأثناء الاشتباك تلقى القائد بلاغاً بفتح الممر وأن الكوبرى سيتم إنشاؤه خلال دقائق .

ولم ينتظر . أبلغ جميع قواته أن الكوبرى تم فتحه لرفع روحهم المعنوية وشد أزرهم وفعلا أيقن جميع الرجال من نجاحهم فى صد الهجوم واندفعت أطقم اقتناص الدبابات تهاجم بشراسه .

وبدأ العدو المرحلة الثانية من الهجوم يهاجم الجانب الأيمن من الطريق الأوسط إلى طريق القناة واعتمدت الدبابات فى هجومها هذه المرة على أجهزة الرؤية الليلية . وكان العدو يتصور أن القوات المصرية قد ابتلعت الطعم وأنها تركز على الهجوم على الجانب الأيسر .

وسمع القائد فى جهاز الاستقبال النداء « كيتوكو تمام » «كيتوكو يعبر الآن » كانت هذه الكلمات تعنى أن الدبابات تتدفق شرقاً فوق الكوبرى . .

وأصدر القائد أمره « لكيتوكو » الاسم الكودى لوحدة الدبابات بالانضمام إلى القوات القائمة بصد الهجوم المضاد ، وصد وتدمير قوات العدو التى تهاجم من الجانب الأيمن .

وتقدمت الدبابات المصرية بأقصى سرعة على طريق القناة العرضى .

ودفع القائد سرية من دباباته للاشتباك مع العدو ، ودفع باقى الكتيبة للالتفاف على جنب العدو الأيسر . وبالتعاون مع المشاة والأسلحة المضادة للدبابات تم تدمير ١٨ دبابة للعدو .

وفشل هجوم العدو المضاد وارتدت باقى قواته شرقاً بعد قتال استمر أكثر من ساعتين ونصف .

خلال هذه المعركة ضلت إحدى دبابات العدو ودخلت منطقة رأس الكوبرى . ووجد القائد وطاقم القيادة أنفسهم فجأة فى مواجهتها فانبطحوا أرضاً واشتبك معها طاقم اقتناص وبعد إصابتها أسروا السائق وكان يهودياً عراقياً ، وكان أول أسير يقع فى يد الفرقة الثانية .

وبعد نجاح العدو فى اختراق رأس الكوبرى لمسافة كيلو مترين خلال الهجوم المضاد تم كسر الهجوم وخسر العدو ٢٢ دبابة وأعيد الموقف إلى ما كان عليه . .

الصاعقة عند التل الأحمر

كانت منطقة عملية محطة التل الأحمر على مسافة ٦ كيلو مترات من مدينة القنطرة شرق . .

وعندما شق رجال الصاعقة طريقين خلال منطقة يسيطر عليها العدو للوصول إلى المنطقة ، كان عليهم أن يستخدموا الأرض جيداً ، فالمنطقة لا تسمح بالاختفاء الكامل . .

وعندما وصل العدو بعد ساعتين ونصف اكتشف وجودهم . .

وكانت قوة العدو المتقدمة للتدخل فى القتال الدائر بين موجات متقدمة للفرقة ١٨ وبين قوات العدو ونقاطه الحصينة ، تضم سرية دبابات وسرية مشاة ميكانيكية . . وهى قوة أكبر بكثير من الرجال المكشوفين العراة من الدروع . . ومع هذا اختاروا الالتفاف حول الرجال لمهاجمتهم من الجنوب بدلا من الشمال طريق تقدمهم . . ليكون الهجوم من الخلف وليس من المواجهة . .

وخلال صدام النيران والإرادات تمكن الرجال بواسطة قواذف الار . بى . جى من تدمير دبابتين وأربع عربات مدرعة . .

ونجحوا فى وقف تقدم القوة حتى وصلت قوات المشاة إلى منطقة القتال حوالى الساعة السادسة مساء . . بعد قتال استمر لمدة ساعتين . .

وكانت الخسائر بضع عشرات من الشهداء والجرحى . .

دور للصاعقة فى تحرير القنطرة

موجات مشاة الفرقة ١٨ تقتحم القناة وتهاجم بضراوة أربع نقاط حصينة للعدو فى منطقة القنطرة . . وكان دور رجال الصاعقة أن يسرعوا بدورهم إلى المدينة لخنق هذه المواقع الحصينة ومنع قوات العدو المدرعة من الاشتباك مع المشاة التى ستتعطل نتيجة قتالها مع العدو بالنقط الحصينة . .

واتجهت سرايا الصاعقة إلى شمال وجنوب القنطرة . . وفى الوقت نفسه اتجهت مجموعة أخرى لإغلاق المدينة من اتجاه الشرق لإتاحة الفرصة الكاملة للمشاة للاستيلاء على النقط القوية رقم ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ . .

واشتبكت الصاعقة مع احتياطى العدو المدرع المكون من ٦ دبابات والموجودة خلف المدينة ونجحت فى تدمير ثلاث منها . .

ودمرت المشاة الدبابات الثلاث الأخرى بعد نجاحها فى الإستيلاء على النقطة الحصينة . .

وبوصول مجموعات الصاعقة إلى مناطق عملها . . ونجاح موجات المشاة فى التقدم شرقاً ، أصبحت المدينة مطوقة أو محاصرة بنطاقين . . أو دائرتين . . الدائرة الأولى وتضم مجموعات الصاعقة . . أما الثانية فهى أكبر وتضم رأس كوبرى الفرقة ١٨ المشاة . .

وكلا النطاقين يمنعان أى احتياطى للعدو من التقدم والتدخل فى الموقف لإنقاذ أفراده المحاصرين أو الفارين . .

وصباح السابع من أكتوبر ، بدأت الصاعقة فى تطهير المدينة من أفراد العدو الموجودين بداخلها .

وبعد قتل أو أسر جميع من كان بالمدينة من أفراد العدو أعلنوا لقائد الفرقة ١٨ عن تطهير وتحرير المدينة .

عمل انتحارى على الطريق الأوسط

كانت الساعة تقترب من السادسة مساء ، عندما بدأت مقاتلات العدو فى الانقضاض على الهليكوبترات المصرية المتجهة برجال الصاعقة إلى منطقة عملية على الطريق الأوسط .

خسر العدو بعض طائراته ، وخسرنا ٨ طائرات ونجحت أربع طائرات فى إبرار الرجال .

وبعد إبرارهم اندفعوا فى مجموعات صغيرة لاحتلال كمائن عند منطقة كثيب «الصابحة» لتعطيل احتياطى العدو المدرع ومنعه من الاشتباك مع قواتنا المهاجمة قبل أن يتحقق لها الاتزان الدفاعى .

والمنطقة عند كثيب الصابحة تمثل إحدى المخانق فى سيناء فى منطقة الطريق الأوسط وقد اختيرت بعناية وبعد دراسة مفصلة لطبوغرافية المنطقة .

وكان حجم القوات قد تقلص نتيجة سقوط بعض الهليكوبترات ، وكان على القائد « زيتون » أن يعمل على نشر قواته فى المنطقة بالطريقة التى تحقق أفضل النتائج .

وقبل آخر ضوء بنصف ساعة أبلغ القائد مركز القيادة عن تحرك دبابات العدو من المليز . .

وكان معنى هذا أنه على وشك الاشتباك مع العدو . .

ولم يكن مطلوباً منه فى الخطة سوى أن ينجح فى تعطيل تقدم المدرعات لفترة تتراوح بين ثلاث أو أربع ساعات ، أى بمنعها من الوصول إلى النسق الثانى من الكمائن التى أعدتها الصاعقة قبل الساعة العاشرة مساء . .

ودار قتال عنيف . . ضار . . شرس . . وحشى . . وليست لدينا صورة عن هذا القتال فقد استشهد كل أفراد المجموعة ومعهم قائدهم : البطل زيتون . .

لقد كان التجسيد الحى . . للشعار . . القتال حتى آخر طلقة . . وآخر رجل . وكانوا أول من وضع هذا الشعار موضع التطبيق فى معارك أكتوبر / رمضان . .

كل ما نعرفه أن قوة دبابات العدو التى كان مقرراً أن تصل إلى خط كمائن النسق الثانى للصاعقة فى الساعة العاشرة مساء ، قد وصلت الساعة الثالثة صباحاً . .

وليس هناك دليل أبلغ من هذا على عنف القتال وضراوته . . برغم تقلص حجم القوة إلى حد كبير . .

وقد حقق زيتون ورجاله بذلك عملا رائعاً . . دفعوا ثمنه أرواحهم . .

كان عملا انتحارياً مثالياً فى تاريخ العسكرية المصرية .

وخسارة أن أحداً منهم لم يعد ليروى لنا ملحمة هذا الصراع .

قوات العدو المدرعة
تصطدم بالصاعقة
للمرة الثانية على الطريق الأوسط

بعد أن تجاوزت دبابات العدو النسق الأول من كمائن الصاعقة عند كثيب الصابحة على الطريق الأوسط بعد توقف استمر أكثر من ثمانى ساعات ، كانت تتصور أنها ستصل إلى مياه القناة خلال أقل من ساعة وهى الفترة الزمنية اللازمة لتقطع المسافة وقدرها حوالى ٥٠ كيلو مترًا على الجنزير . .

ولم تكن تتوقع أية مقاومة على الطريق الأوسط بعد الوصول إلى المناطق التى نجحت موجات المشاة فى الوصول إليها شرقاً . .

وكانت مفاجأة لها أن تصطدم بكمائن النسق الثانى للصاعقة بعد مسيرة حوالى ٣٠ كيلو متراً عند منطقة كثيب عيفان على الطريق الأوسط . .

واشتعلت النيران فى بعض الدبابات ، وتوقف الطابور المدرع ، وبدأ العدو فى إنارة المنطقة بحثاً عن الرجال . .

واستمر القتال لمدة ثلاث ساعات . . وكان ذلك أطول من المدة الزمنية التى تضمنتها الخطة ، وكانت أيضاً فترة كافية استغلتها دباباتنا التى وصلت إلى الشرق فى تحقيق الاتزان الدفاعى لرؤوس الكبارى المصرية . .

وانسحب الرجال مع خسائرهم تاركين العدو يواصل البحث عنهم .

قتال بقرية الجلاء

أسرع رجال الصاعقة للوصول إلى قرية الجلاء قبل أن تصل إليها قوات العدو المدرعة القادمة من بير حبيطة .

كانت قوة الصاعقة تتمثل فى ثلاث فصائل ، عندما دار القتال مع سرية دبابات إسرائيلية مقسمة إلى جزءين . . وازداد القتال عنفاً داخل القرية نتيجة لإصرار الطرفين على الانتصار .

ولأول مرة فى قتال متلاحم بين الدبابات والرجال تستخدم القنابل اليدوية المضادة للدبابات . . وهذا كما يقول الخبراء العسكريون لا يحدث إلا عندما يصل القتال إلى ذروته ، وعندما لا يكون هناك أمام الفرد سوى مواجهة الدبابة وجهاً لوجه .

وتمكنت سرية الصاعقة بفصائلها الثلاث من اقتحام القرية بعد تدمير ٦ دبابات للعدو . .

وبعد ساعة ونصف وصلت قوات المشاة لتتسلم القرية بالكامل لها .

تأمين الجانب الأيمن للجيش الثالث

كانت مهمة وحدة الصاعقة التى أبرتها الهليكوبتر فى القطاع الجنوبى هى تأمين الجانب الأيمن للجيش الثالث بإغلاق مضيق سدر أمام احتياطيات العدو المتجهة من الشرق إلى الغرب لعرقلة تقدم قواتنا البرية المتقدمة جنوباً على الساحل الشرقى لخليج السويس .

وفى اللحظات الأولى من بدء العمليات أصيبت الطائرة التى تحمل القائد ورئيس العمليات فتولى القيادة أقدم ضابط فى الوحدة .

وبعد إبرار القوات فى مجموعتين بدأت كل مجموعة تتقدم فى اتجاه على أن تلتقى عند المضيق على مسافة ٨٠ كيلومتراً شرقاً .

واستمرت هذه الوحدة فى العمل حتى يوم ١٨ أكتوبر عندما صدر لها الأمر بالعودة .

هجمات مضادة :

وقد نفذ العدو ٨ هجمات مضادة خلال اليوم الأول للقتال بعناصر من اللواء ١٤ المدرع مشكلة فى مجموعات سرايا دبابات مدعمة بعناصر مشاة ميكانيكية ضد الأنساق الأولى من المشاة المترجلة التى اقتحمت القناة اعتباراً من الساعة الثانية والنصف ظهراً .

واستخدم العدو مدفعيته من عيارات مختلفة ضد الهجوم المصرى فى محاوله لتعطيله . . وحاولت قيادة العدو فى سيناء استخدام باقى قواتها المدرعة التى تضم اللواء السابع المدرع واللواء ٤٠١ المدرع واللواء ٤٦٠ مدرع .

بعد ٤٠ دقيقة تعرضت قوات الجيش الثانى لهجوم مضاد بالدبابات . . وبعد ساعتين تعرضت لهجوم آخر مضاد .

وهاجم العدو رأس كوبرى الجيش الثالث ليلة ٦ / ٧ أكتوبر بلواء مدرع قبل عبور المدرعات وتمكنت المشاة من صده وتدميره بواسطة الأسلحة الخفيفة المضادة للدبابات .

وفى الساعة الثالثة وخمس دقائق تحركت قوة مدرعة صغيرة تقدر بسرية دبابات ناقصة من موقع عيون موسى للهجوم على اللواء السابع مشاة من الفرقة ١٩ فى القطاع الجنوبى فى محاولة لوقف الهجوم المصرى .

فى الساعة الخامسة وخمس دقائق تحركت قوة دبابات تقدر بسرية ناقصة من اتجاه ممر الجدى للهجوم على اللواء ١٣٠ مشاة مستقل فى القطاع الجنوبى .

أعمال قتالية للمهندسين :

تمكنت دبابات الفرقة ١٨ وأسلحتها الثقيلة من العبور الساعة ١١,٣٠ مساء بعد نجاح وحدات المهندسين من إنشاء أول كوبرى وكانت حمولته ٢٥ طناً .

كما أنشأت وحدات المهندسين فى قطاع الفرقة معديات تحولت إلى كوبرى خلال اليوم الثانى للقتال .

وبدأت دبابات الفرقة الثانية فى العبور فى الساعة ٩,٣٠ بدلا من العاشرة والنصف ، وذلك بسبب اندفاع وحدات المهندسين لبدء العمل ساعة س + ١ بدلا من ساعة س + ٢ طبقاً لما هو محدد فى الخطة . . لم يستطيعوا الصبر أكثر . .

وكانت هذه الساعة سبباً فى تمكين الدبابات من الاشتراك فى صد الهجوم المدرع المعادى ودحره . وكان الكوبرى حمولة ٦٠ طناً . كما أتمت وحدات المهندسين إنشاء الكوبرى الثانى فى قطاع الفرقة فى الساعة التاسعة والربع مساءً . وكان حمولة ٥٠ طنًّا .

وانتهت وحدات المهندسين فى قطاع الفرقة ١٦ المشاة من إنشاء أول كوبرى فى الساعة العاشرة والنصف مساء ، وبدأت دباباتها وأسلحتها الثقيلة فى التدفق شرقاً . . وكان بحمولة ٦٠ طنًّا وبعد نصف ساعة أى فى الحادية عشرة كانت الدبابات تتدفق على الكوبرى الثانى حمولة ٥٠ طنًّا .

أول اشتباك جوى

بعد أن انتهت الطائرات المقاتلة القاذفة من طراز ميج ١٧ من قصف مواقع العدو فى منطقة شرم الشيخ ورأس محمد جنوب سيناء واستدارت للعودة إلى القاعدة التى انطلقت منها ، تعرضت لها دورية جوية معادية فوق مياه البحر الأحمر ودار أول اشتباك جوى خلال معارك أكتوبر. واستمر القتال لمدة لا تتجاوز ثلاث دقائق على ارتفاع يتراوح بين ١٠٠ و٥٠٠ متر .

وقد بدأ العدو بحجم طلعات يصل إلى حوالى ١٠٠٠ طلعة فى اليوم على الجبهتين المصرية والسورية ثم انخفضت إلى ٧٩٠ طلعة .

نشاط العدو الجوى فى اليوم الأول

بعد خمس دقائق من بدء الهجوم كان للعدو حوالى ٣٠ طائرة فوق سيناء تعمل كمظلات جوية واستمرت لمدة ١٥ دقيقة .

وبعد ٤٠ دقيقة بدأ رد فعل إيجابى محدود من قوات العدو الجوية فى صورة هجمات جوية متتالية بمجموعات صغيرة من الطائرات ضد مناطق ووسائل العبور والقوات شرق القناة .

وكان إجمالى حجم المجهود الجوى على الجبهة المصرية خلال اليوم الأول حوالى ٣٥٠ طلعة طائرة منها ٦٠ ٪ نهاراً .

وقد خسر العدو الجوى بعد ثلاث ساعات من بدء القتال ١٥ طائرة نتيجة اصطدامه بحائط الصواريخ المصرية .

أعمال قتالية للبحرية

قصفت سرايا المدفعية الساحلية ببورسعيد نقطة العدو الحصينة شرق بور فؤاد والنقطة الحصينة عند الكيلو ١٠ جنوب بورفؤاد عند منطقة رأس العش .

وفى القطاع الجنوبى قامت سرايا المدفعية الساحلية بمعاونة الجيش الثالث الميدانى بقصف مناطق العدو فى المواجهة .

وقامت لنشات الصواريخ فى البحر الأبيض بتوجيه ضربة بالصواريخ غير الموجهة على تجمعات العدو ، فى رمانة – كما قصفت مرسى رأس برون وموقع رادار للعدو فى المنطقة وقد اشتبكت مع طائرات العدو بعد أداء المهمة وفى البحر الأحمر هاجمت لنشات الصواريخ منطقة رأس سدر بالصواريخ غير الموجهة .

كما قصفت البحرية شرم الشيخ ورأس محمد ورأس سدر بالصواريخ وبدأت فى قطع خطوط إمداد ومواصلات العدو فى باب المندب .

وفى البحر الأبيض ضربت شرق بورفؤاد ورمانة ورأس جرين وقطعت خطوط مواصلات العدو فى البحر الأبيض .

تقييم لهجمات العدو المضادة

تميزت هجمات العدو المضادة خلال اليوم الأول بالقوة وعدم الأنتظام وتكبدها خسائر فادحة . .

كما دفع كل احتياطياته القريبة ودفع كل ما كان يتوفر له من قوات إلى الاشتباك مع رؤوس الجسور . .

كان واضحاً أنه لا يأخذ الأمر بجدية كاملة بل باستهتار كامل وبإحساس أنه قادر على بعثرة الهجوم المصرى .

وفى نفس الوقت كانت الضربات الجوية ونيران المدفعية التى دمرت مركز قيادته ومراكز الإعاقة والشوشرة قد أثرت على قدراته وإمكانياته فى العمل . . فقد كان العدو يتصور أن القوات المصرية ستفشل حتى فى اقتحام القناة اعتماداً على :

١ – ضرورة فشل المصريين فى العبور نتيجة النيران الكاسحة التى يمكن أن تطلق عليهم من حصون خط بارليف وكذلك السوائل الملتهبة التى كان يأمل أن تغطى القناة ، وبذلك فليس هناك أى أمل فى وصولنا إلى الشاطئ الشرقى .

٢ – عدم قدرة المهندسين على إزالة الساتر الترابى وإنشاء الكبارى والمعديات ودون تأمين الجانب الشرقى وأنه بفرض نجاح المصريين فى اقتحام جزء من القناة فإن المهندسين سوف يحتاجون إلى حوالى ٢٤ ساعة لإنشاء هذه الكبارى . وبالتالى فإن الدبابات والأسلحة الثقيلة لن يتم عبورها قبل حوالى ٤٨ ساعة من بدء الهجوم . . وكان هذا الوقت -يكفى لجلب احتياطيات مدرعة من العمق تقوم بتصفية القوات التى نجحت فى إنشاء رؤوس الكبارى فى الشرق وقد أخطأ ديان والقيادة الإسرائيلية الحساب عند تقديرهم لإمكانيات الجيش المصرى فى العبور خاصة فى النقط الرئيسية التالية :

١ – قدرة المشاة المترجلة على صد الدبابات والطائرات المغيرة على ارتفاع منخفض والتشبث بالأرض وحدها دون أى أسلحة ثقيلة لمدة طويلة .

٢ – كفاءة المهندسين وقدرتهم على إقامة الكبارى والمعديات على هذا المانع فى مدة تتراوح ٦ ، ٩ ساعات .

٣ – التنظيم الجيد للعبور الذى وصل إلى أن كل ضابط وجندى فى القوات التى تقوم بالعبور أو تقوم بتقديم الدعم له كان يعلم جيداً دوره بالتفصيل والوقت الذى ينفذ فيه هذا الدور بالدقيقة إلى الحد الذى جعل عملية العبور تتم وكأنها سيمفونية رائعة يشترك فيها عشرات الألوف من البشر فى وقت واحد .

٤ – المفاجأة التى حققتها قواتنا والتى ظهرت نتائجها بوضوح فى الأيام الأولى للمعركة حين كانت جميع تصرفات العدو تتسم بعدم التنسيق والارتجال لمدة يومين على الأقل.

وهل وضع ديان والقيادة الإسرائيلية فى حسابهم الأثر المعنوى الخطير الذى تحدثه أصوات عشرات الألوف – وهى تعبر القناة وتنادى فى وقت واحد الله أكبر الله أكبر . . لا اعتقد ذلك .

نشاط سياسى

فى الساعة الثامنة مساء تلقى الرئيس السادات إخطاراً وهو فى غرفة العمليات بمقر القيادة وكان قد وصلها قبل ساعة الصفر بنصف ساعة بطلب مقابلة عاجلة من السفير السوفييتى .

ترك الرئيس غرفة العمليات وذهب لاستقباله فى مركز القيادة .

وقال السفير الروسى للرئيس إن سوريا تطلب وقف إطلاق النار وإنها طلبت ذلك رسمياً من الاتحاد السوفييتى .

رفض السادات الطلب وطلب من السفير إبلاغ حكومته بهذا وأرسل برقية إلى الرئيس الأسد .

فى يوم ٧ أكتوبر تلقى السادات برقية من الأسد تنفى أن سوريا طلبت وقف إطلاق النار

وعقب وصول البرقية طلب السفير الروسى مقابلة الرئيس مرة ثانية وكرر مرة أخرى أن سوريا تطلب وقف إطلاق النار .

وكان رد السادات عنيفاً ، وأوضح له أنه يكفيه رد الأسد . .

والرواية مع الاتحاد السوفييتى وسوريا لم تتم فصولها حتى الآن ؟

يوميات المعركة

اليوم الثانى للقتال

سقوط نقطة الشط الحصينة

عند علامة الكيلو ١٤٩

بعد أن نجحت المدفعية أثناء التمهيد النيرانى فى فتح ثلاث ثغرات فى النقطة الحصينة رقم ١٤٩ عند الشط بواسطة أسلحة الضرب المباشر ، بدأت مجموعات الاقتحام هجومها من المواجهة للاستيلاء على الموقع المعادى الحصين .

ولم تتمكن هذه المجموعات من تحقيق هدفها نتيجة عنف مقاومة العدو . وخلال ليلة ٦ أكتوبر طوقت هذه المجموعات النقطة من جميع الأجناب لمنع وصول أية إمدادات والحيلولة دون أية محاولة للانسحاب من النقطة .

ولجأت قاعدة النيران التى أقامتها القوة المهاجمة من اللواء الخامس المشاة إلى إطلاق النيران باستمرار على الموقع للضغط على العدو والعمل على استنزاف مخزونه من الذخيرة .

وبعد وصول المزيد من إمدادات الذخيرة للقوات المهاجمة استمرت فى إطلاق النيران .

وعند أول ضوء يوم ٧ أكتوبر حاولت القوات اقتحامها للمرة الثانية ولم تنجح بسبب تدخل الطيران ، ونتيجة لدقة الطائرات فى القصف الجوى فوق وحول النقطة الحصينة ودقة نيران المدفعية الإسرائيلية بعيدة المدى وأرسل (المقاتل أبو العلا) قائد اللواء دورية إلى موقع قوات الأمم المتحدة الموجود فوق تبة مجاورة وبتفتيش الموقع اكتشفت الدورية وجود ملازم أول إسرائيلى بين أفرادها كان يقوم بتوجيه نيران المدفعية والطائرات .

وكان من نتيجة القبض على هذا الأسير أن أوقف العدو قصف النقطة الحصينة .

وقد لجأ العدو إلى قصف النقطة الحصينة بالمدفعية والطائرات لوقف الهجوم المصرى عليها ، فقد كان يدرك أن أفراده داخل الموقع الحصين لن تؤثر فيهم مثل هذه النيران وأن أثرها سيكون على المهاجمين فقط .

بعدها تقرر مهاجمة النقطة الحصينة من الأجناب دون المواجهة .

وتقدم الشهيد الرائد محمد زرد ومعه مجموعة من ٦ أفراد تعاونهم دبابتان لاقتحام النقطة باختراق قطاعات الأسلاك الشائكة بعملية صامتة لخداع العدو ومفاجأته ، وبقيت مجموعة لستر عملية الاقتحام ووصل زرد إلى مسافة قريبة من فتحة أحد مزاغل العدو وألقى فيها قنبلة يدوية ودخل الملجأ لتطهيره .

وعندما بدأت مجموعة الشهيد زرد فى اقتحام الخنادق والملاجئ . . دار اشتباك متلاحم .

واشتركت قوات العدو فى باقى مواقع النقطة الحصينة فى قصف المهاجمين بالنيران وبالقنابل اليدوية التى يتم قذفها بجهاز آلى .

وأصابت إحدى شظايا هذه القنابل اليدوية الشهيد زرد فى بطنه بجرح بالغ وظل برغم هذا يقود قواته لمواصلة الهجوم حتى سقط شهيداً .

واندفع ملازم أول ومعه فردان إلى الخندق الذى استشهد فيه زرد لقيادة الرجال وتوالى سقوط الخنادق مع زيادة حدة الهجوم المصرى وإصرار الرجال على الثأر للشهيد زرد .

وبدأ بعض أفراد العدو يخرجون مستسلمين ، استسلم من الخندق الأول أربعة أفراد ، وبعد اقتحام الخندق الثانى استسلم ١٧ فرداً وبعد أن تم تطهير النقطة الحصينة استولت قواتنا على حمولة ٢٠ عربة لورى من الذخيرة والأسلحة نقلتها إلى القاهرة .

وقد خسر العدو فى هذه المعركة ٢٦ قتيلا بالإضافة إلى الأسرى .

هجمة مضادة ضد رأس كوبرى الفرقة السابعة :

فى الساعة الحادية عشرة إلا الربع قام العدو بهجمة مضادة بقوة كتيبة دبابات مدعمة ضد رأس كوبرى الفرقة السابعة المشاة .

هجمة مضادة

قام العدو فى الساعة الواحدة والنصف بهجوم مضاد بقوة سرية دبابات على اللواء الخامس مشاة من الفرقة ١٩ مشاة .

وهجمة مضادة أخرى

قام العدو بهجمة مضادة بقوة ٢ لواء مدرع فى اتجاه المحورين الشمالى والأوسط .

وهجمة مضادة ثالثة

فى الساعة الرابعة والنصف صباح يوم ٧ أكتوبر كان على اللواء السابع مشاة أن يصد الهجوم المضاد الثانى منذ بدأ اقتحام قناة السويس . كانت قوة العدو المهاجمة تقدر بسرية دبابات .

موقف الفرقة ١٨ المشاة

فى نهاية اليوم الثانى من القتال استكملت الفرقة ١٨ مشاة تدمير أربع نقط حصينة .

موقف الفرقة ١٦

عندما بدأ يوم ٧ أكتوبر كان تركيز العدو على وقف الهجوم بواسطة الطيران والمدفعية الثقيلة من عيار ١٧٥ ملليمترا .

وكانت قوات الفرقة تواصل التدفق شرقاً خاصة الدبابات والمدفعية والعربات المدرعة والمركبات .

وحاولت قوات العدو البرية الاتصال بقوات الفرقة الزاحفة لخوض معارك تعطيلية لمنعها من تطوير الهجوم .

موقف الفرقة ١٩ المشاة

بعد أن واجهت الفرقة ١٩ مشاة بعض العقبات خلال عملية اقتحام القناة يوم ٦ أكتوبر واكتساح النقط الحصينة لخط بارليف وصد هجمات العدو المضادة المدرعة ليلة ٦ - ٧ أكتوبر قررت القيادة العامة دفع كتيبة المدفعية من لواء اقتحام جوى والمسلحة بصواريخ مضادة للدبابات لدعم الفرقة .

وبدأت الكتيبة تعمل كستارة مضادة للدبابات بعد أن عبرت القناة صباح يوم ٧ أكتوبر .

وخلال ساعات من انتشارها فى مواجهة الفرقة استطاعت أن تدمر للعدو ٢٨ دبابة .

واستشهد قائدها البطل الرائد شريف ومعه ٣٠ ضابطاً وصف ضابط وجندياً .

كما أصيب رئيس عمليات الكتيبة . ويمكن القول إن نجاح هذه الكتيبة فى المهمة المكلفة بها كان أحد عوامل نجاح الفرقة ١٩ فى إنشاء رأس الجسر والاحتفاظ به خلال الأيام الأولى للقتال .

وتمكنت كتيبة صاعقة فجر يوم ٧ أكتوبر بعد مسيرة مترجلة حوالى ٢٥ كيلو متراً قطعتها فى ليلة كاملة أن توقع لواء مدرعاً فى كمين فى منطقة كثيب الصناعات شرق الإسماعيلية فى مواجهة الفرقة ١٦ المشاة وتدمر له ٨ دبابات ، ٤ عربات مدرعة وتعطل مسيرته لمدة تزيد على الساعة .

بعدها تخلصت من المعركة .

أعمال قتالية للمهندسين :

وأتمت وحدات المهندسين إنشاء الكوبرى الأول فى قطاع الفرقة السابعة المشاة فى الجيش الثالث فى الساعة الرابعة والنصف صباح يوم ٧ أكتوبر وكان بحمولة ٦٠ طناً .

وبعدها بساعتين أتموا إنشاء الكوبرى الثانى حمولة ٥٠ طناً .

واستطاعت وحدات المهندسين الانتهاء من إنشاء أول كوبرى فى قطاع الفرقة ١٩ المشاة فى الساعة الرابعة والنصف صباح يوم ٧ أكتوبر وكان بحمولة ٥٠ طناً .

وبعدها بساعة ونصف ساعة انتهت من إنشاء الكوبرى الثانى بحمولة ٢٥ طناً .

وسقط موقع رأس العش

فى البداية كان دور المشاة فى الهجوم على موقع رأس العش الحصين . .

لم ننس بعـــد رأس العش . . فهنا توقف الزحف الإسرائيلى شرق القناة وهنا بدأ الصمود المصرى ، فعندما حاولت وحدات العدو التقدم شمالا فى أول يوليو ١٩٦٧ فى اتجاه بور فؤاد لإكمال السيطرة على كل سيناء . ولم يكن قد مضى على يونيه – الحصاد –

سوى ثلاثة أسابيع ، تصدت لها بالإرادة والنيران القوات المصرية . . وفشلت المحاولة . . وأكد رجال من الصاعقة والمظلات والمشاة والمدفعية قدرتهم على دحر العدو . .

وها هم رجال أكتوبر ٧٣ . . إخوة فى السلاح لرجال أول يوليو ٦٧ . . يقتحمون القناة لاستعادة رأس العش . . ويمكن القول إنه أكثر مواقع خط بارليف مناعة وتحصيناً . فالموقع يواجه قواتنا من الشمال . . والغرب . . وتحيط به الملاحات شرقاً . . ويرتبط بشريط ضيق من الأرض يربطه بالموقع الحصين فى كل من الكاب والتينة . . ويشكل موقع القنطرة الحصين القاعدة الرئيسية للمواقع الثلاثة . .

ولأن الموقع معرض من الجانبين لنيران قواتنا ، فقد حولته القيادة الإسرائيلية إلى قلعة قادرة على القتال لأكثر من شهر بصفة متصلة دون حاجة إلى الإمداد .

وكما توقع رجال المشاة ، واجهتهم نيران عنيفة وغاضبة وواثقة أيضاً من قدرتها على رد أى هجوم . . واستمرت المعركة ، ورجال المشاة يكسبون الأرض ويتقدمون . .

وجاء الدور على فصيلة صاعقة لعبور القناة عند علامة الكيلو ١١ جنوب بورسعيد ، وعلى مسافة كيلو متر واحد جنوب موقع رأس العش المقام عند علامة الكيلو ٣٠ . . إن عليهم أن يفعلوا ذلك بواسطة الحبال . . وواجهتهم أيضاً نيران العدو . . ولم يحل هذا الاستقبال دون إكمال عبورهم الغريب . .

وقبل أن يصل كل الرجال ظهرت دبابة معادية وأصابت نيرانها بعض الرجال . . ولم يتوقفوا . .

ونجح القائد فى الحصول على قوارب وإذن بالعبور نتيجة الموقف الجديد والحاجة إلى السرعة .

واجتازوا منطقة العبور وتركوا للرجال الذين وصلوا إلى الضفة الشرقية مهمة تدمير الدبابة . .

كانت كلمة الله أكبر هى صيحة الرجال وإيمانهم . . وخلال سيمفونية القتال والنيران والانفجارات والدماء . . أسعفتهم فرحتهم وهم يعبرون بالقارب . . فرددوا جميعاً أغنية تناسب الموقف . . كلماتها . . يا لاّ بينا . . نحرر سينا . . جدف يا ابنى . . واوعى تهدى . خلى الموجة الثانية تعدى . .

عظيمة ورائعة روح المقاتل المصرى العالية وقدرته على مواجهة الأحداث حتى ولو كان القتال والتعرض للاستشهاد . .

ومرة أخرى يوجه العدو نيرانه إلى القوارب ويصيب اثنين منها . .

لاشىء يمنعهم من التقدم . . فلم يكد القائد يصل مع رجاله إلى الضفة الشرقية أسفل الساتر الترابى ، حتى أصدر الأمر للرجال بالتقدم . . ومعه تحرك بعض أفراد المشاة الذين كانوا ما زالوا أسفل الساتر ينتظرون هدوء نيران رشاشات العدو . .

ودفع القائد بمجموعة إلى الساتر من اليمين لإطلاق النيران على دشم الرشاشات حتى تتيح لباقى الرجال فرصة الصعود ومهاجمة جنوب النقطة الحصينة . .

وتحت النيران تحركوا . .

كان إيمانهم جميعاً أن التوقف عند سماع صوت الطلقات ، يجعل الإنسان غير قادر بعد ذلك على تغيير الموقف . . فالمعركة حركة . . وكلما كانت الحركة سريعة وفى الاتجاه الصحيح والوقت المناسب ساعد ذلك على تحقيق أفضل النتائج .

ونجحوا فى فتح ثغرة فى الأسلاك الشائكة وواصلوا الصعود . . وأخيراً وصلوا إلى فتحة الساتر الترابى . . لتنهال عليهم وحولهم نيران غزيرة . . وارتموا سريعاً خلف الساتر . .

واستمرت مجموعة إطلاق النيران على اليمين فى إطلاق نيران مختلف أسلحتها على مصادر نيران العدو . .

وعاد الآخرون يصعدون بحذر . . ويندفعون عندما تهدأ النيران للحظات وألقوا أنفسهم تباعاً داخل إحدى الدشم وانتشر الرجال فى الخندق الذى يربط الدشمة بمواقع النقطة . . الآن من السهل أن يروا مواقع النقطة الحصينة التى تمتد أمامهم للشمال مسافة كبيرة . . وتمثل جزراً مستقلة تفصل بينها أرض فضاء تعتبر مناطق قتل لكل من ينجح فى الوصول إلى الداخل . .

وألقى القائد رفعت نظرة على الناحية الأخرى التى يفصلها عنه صحن تغطيه نيران غزيرة تندفع بطريقة تكاد تكون منتظمة . . فأمكنه أن يميز مزغلا كبيراً ، فأشار لأحد أفراد القذائف ليضرب عليه . . وكانت المفاجأة مذهلة . . ارتفعت سحب الدخان تعلو ألسنة اللهب من المنطقة فور انفجار القذيفة بداخلها . .

واتضح أن الهدف مخزن للوقود . . وأشاع المشهد روحاً حماسية فى نفوس الجميع . . مشاة . . وصاعقة . . الله أكبر . .

وتقدم الرجال حتى أصبحوا أمام ذلك الصحن الذى يفصل بينهم وبين الناحية الأخرى من النقطة .

وانتشروا بحذر شديد وهم يطلقون نيران تفتيش فى كل مكان يشكون فى وجود العدو به . .

كانت هناك نيران معادية مستمرة مجهولة المصدر حتى الآن . . نتيجة الثنيات الكثيرة الناتجة عن اختلاف كميات الردم الترابى فوق منشآت النقطة .

تمكنوا من تمييز مصدر جديد للنيران بعد أن أصيب أحد الرجال . . وبسرعة ردوا جميعاً بالنيران ، وقذف جندى بقنبلة يدوية نحو المدخل - وانطلقت صرخات الألم . . وتوقفت النيران من هذا المصدر .

كانوا ينتظرون فرصة مواتية تهدأ فيها النيران ليعبروا الصحن إلى الناحية الأخرى . . وسنحت هذه الفرصة . .

وانطلق القائد ومعه أحد الجنود يقطعان المسافة التى لا تتجاوز ٣٠ متراً وهما يتوقعان أن تنهمر حولهما النيران فى أى لحظة . .

وبعد أن وصلا بدأ الرجال يعبرون المنطقة فى جماعات صغيرة . .

وعادت نيران العدو تغمر المنطقة من جديد . .

واقتحموا دشمة بالنيران . . ووجدوا بداخلها أحد أفراد العدو قتيلا فوق رشاش نصف بوصه . فتعاون بعض الرجال لتشغيله والضرب به على مصادر نيران العدو . .

وجاءت لحظة الصدام مع دبابات العدو بالإضافة إلى دشم الموقع . . وردت الدبابات بعنف على كل قذيفة توجه لها . .

وسقط لنا شهداء وجرحى . . واستمر القتال . .

واحتاجوا لـلذخيرة . . وبشجاعة تحمل المسئولية الجندى البرماوى من المشاة الذى عبر الصحن وخلع ملابسه ونزل إلى مياه القناة . . وعاد بصناديق الذخيرة . . وكانت شظية فى أحد هذه الصناديق كافية لتحويله إلى فتات . .

ثلاث مرات ، نجح خلالها فى إمداد رفاق السلاح بأهم وأغلى ما يحتاجون إليه فى موقعهم . .

وتدفقت قوات جديدة من المشاة لدعم النجاح الذى تحقق . .

واشتد القتال فوق كل جزء من النقطة وصل إليه الرجال . . وظلت المشكلة . . . الوصـول إلى القطاع الشمالى من النقطة . . والدبابات . . وعاد القائد رفعت ليلتقى بقائد وحدة المشاة شرق القناة . . كان يحتاج إلى قذائف وأفراد مهندسين لفتح ثغرة للتقدم شمالا . . . فى اتجاه باقى مواقع النقطة الحصينة ومصاطب الدبابات . .

وشكل مجموعة صغيرة أسرع بها عبر الصحن ، وعندما وصل إلى منطقة المواقع بين الموقع جنوب النقطة وبين اللسان الترابى الممتد نحو الشمال للوصول إلى مواقع العدو على الناحية الأخرى ، قام فرد من المهندسين بفتح ثغرة فى حقل الأسلاك ، وعندما أعطى للرجل الأول إشارة عبور الثغرة ، لم يستطع أن يخرج رأسه من الخندق . . فقد انهالت الطلقات حولهم من النوع الخارق حارق الذى يتميز بوميض ينير مساره وأوشك الموقف أن يتجمد . . واندفع رفعت من فوق الخندق وتدحرج حتى وصل إلى الأسلاك فعبر الثغرة والنيران تصفر فوق رأسه حتى وصل خلف كومة من الرمال بعد المدق الذى يعد طريق الدخول والخروج من وإلى النقطة . . وحذا الرجال حذو رفعت . . وسرعان ما تجمعوا خلف تلك الكومة الكبيرة . التى كانت بداية اللسان الترابى الذى يخترقه خندق مواصلات يؤدى إلى شمال النقطة . . وتقدموا . . والنيران تتناثر حولهم طلقات بنادق ورشاشات وقذائف مدفعية ودبابات وهاونات . . فساروا فى الخندق متخفين حتى وصلوا إلى نهايته . . ووسط هذا الصخب تمكن القائد من رفع رأسه بحذر . . فشاهد على مسافة ٥٠ متراً فقط دبابتين مخندقتين . . ثوان مضت . . بعدها خرجت الدبابتان من مكمنيهما واستدارتا لتصبح مقدمتاهما نحو الخندق الذى يختفى رفعت والرجال بداخله . .

هل ميزتهما الدبابتان أم لا . . ؟

لم تكن لديهم إجابة مؤكدة واستعدوا للاشتباك . . وعلى مسافة ٣٠ متراً توقفت الدبابتان لإعادة الملء . . بعد أن كادت أنفاس مجموعة الرجال تتوقف من رهبة اندفاع

الدبابات الضخمة نحوهم . . هم العراة من الدروع .

واستطاعوا سماع حوار أفراد العدو . . وهم يستعدون للضرب على الدبابتين . .

وتراجعوا بسرعة . . ولولا هذا التراجع لدفنوا جميعاً فى موقعهم . . انفتح باب الجحيم من كل صوب على المنطقة التى كانوا بها . .

وأسرعوا يتراجعون حتى وصلوا إلى كومة الرمال أمام المدق . .

خلال هذه الفترة كان رجال المشاة قد اقتحموا ميس النقطة . .

والتقى رفعت بقائد المشاة مرة أخرى . .

وكان الدور على كتيبة الصاعقة لدعم الهجوم على موقع رأس العش . وكانت أوامر عمر خالد قائد قطاع بورسعيد لعبد المنعم قائد كتيبة الصاعقة تقضى باحتلال الموقع المعادى قبل شروق شمس اليوم الثانى للقتال . .

وانقسمت الكتيبة إلى ثلاث مجموعات . . وبعد التنسيق مع قيادة الكتيبة المشاة بدأت أولى المجموعات فى العبور . . وتسلق الساتر الترابى . . ويلتقى رفعت برجال كتيبته ويقودهم عبر الصحن الخطير إلى شرق النقطة . . ويعود ليستقبل باقى المجموعة . . والمجموعات التالية . .

بعدها عاد إلى المجموعة الأولى عبر الخندق إلى ذلك الجزء المشرف على مصاطب الدبابات .

وكان من السهل عليهم فى موقعهم رؤية الدبابتين وهما تطلقان قذائفهما عبر الصحن بعنف بالغ . . وأصدر محفوظ قائد المجموعة الأمر للقواذف بالاستعداد وارتفع ستة أفراد فى لحظة واحدة وأعينهم فوق أجهزة التنشين وأصابعهم على الزناد فى انتظار إشارة القائد . .

الله أكبر . .

وانطلقت القذائف . . واستقر بعضها فى الدبابتين . . وتمخض الموقف عن تدمير واحدة تماماً . . وارتدت الثانية خلف ساترها وهى تدير برجها نحو المجموعة . . واستشهد رجل وهو يحاول إطلاق قذيفة جديدة تجاهها . .

واستمر تبادل إطلاق النيران بين مصادر العدو وبين المجموعتين الأخيرتين فترة طويلة دون أن يتمكن أحدهم من التقدم .

وكانت تباشير الصباح وهى تولد تعطى انطباعا بأن العدو متشبث بالموقع على أمل أن تصله النجدة . . ولم يكن هناك ما يوحى بانهياره القريب . . فبعد قتال يستمر لأكثر من ١٤ ساعة متصلة ما زالت نيرانه مستمرة بعنف لوقف أى تقدم أو نجاح تحرزه قواتنا . . وكانت القيادة المصرية تتوقع هذه المقاومة الصلبة من العدو . . وكانت تدرك تماماً مدى تحصين الموقع وأهميته بالنسبة للعدو . . وكانت تصر على الاستيلاء عليه وسحق قوة العدو الموجودة بداخله . . وتلقينه درساً . .

كانت الدبابة الباقية شمال شرق الموقع تشكل خطورة كبيرة على جميع القوات التى عبرت إلى النقطة .

واندفع رجلان وأطلقا قنبلتين فى اتجاه الدبابة التى لم يكن ظاهراً منها سوى مدفعها وجزء طفيف من البرج .

وبدفعة من نيران العدو غمرت المنطقة . . سقط أحدهما شهيداً . .

وخرج اثنان من أفراد العدو من إحدى الدشم مستسلمين . . وكانا أول أسرى الموقع . .

وتمكن العميد صلاح عبد الحليم قائد اللواء ١٣٥ مشاة وجزء من رجاله كانوا يخوضون معركتهم ببسالة داخل النقطة حشد كمية هائلة من نيران المدفعية والدبابات من الغرب والشرق وصبها على القطاع الذى لم يسقط بعد من موقع رأس العش . . وتقرر دفع مجموعة الصاعقة التى كانت تشكل الاحتياط للعبور والمرور من ثغرة بين الأسلاك شمال الموقع الحصين لتسقط فوق الدبابة والعربة المختبئتين خلف قمة الساتر الترابى الكبير . .

وأثناء اندفاع الرجال بسرعة نحو الشاطئ الشرقى للقناة ، انهمرت عليهم النيران من رشاش العربة المختبئة . . وبدأت الأمور تتعقد من جديد وإن نجحوا فى الوصول وصعود الساتر الترابى شرق القناة . . وتمكن بعض رجال المشاة من تشغيل عدد من الرشاشات الإسرائيلية عثروا عليها داخل مخزن السلاح . . واتسم الموقف جنوب النقطة بمزيد من النشاط والحسم وتمكن بعض الرجال من إعداد « تجهيزة » من لغمين ، أعدوهما للنسف على مدخل أحد الملاجئ . . وكان الانفجار رهيباً بدرجة دفعت إليهم بجزء من جثة أحد أفراد العدو . . بعدها خرج واحد من أفراد العدو وفى يده مولد دخان يثير حوله سحابة كثيفة . . وفى محاولته اليائسة للنجاة سارع يختفى داخل إحدى الدشم المتصلة بالخندق

ويفاجأ بفوهة بندقية فى ظهره . .

وصبت قاذفات اللهب المصرية نيرانها على أفراد العدو من إحدى الفتحات . . أعقبها خروجهم تباعاً مستسلمين . . ووصل عددهم إلى تسعة أفراد . . كانت ملامحهم تشى بالإرهاق الشديد والإجهاد والإحباط والياس . . والهزيمة . .

وشدد كل الرجال ضغطهم على باقى مواقع العدو . . والمصادر التى ما زالت تطلق النيران . .

بكل الإصرار على الانتهاء من هذه المهمة بأسرع ما يمكن استمروا يكسبون الأرض بوصة . . بوصة . . وقدماً . . قدماً . .

وفوجئ الرجال بنيران العدو تتوقف تماماً من الجزء الشمالى وخيل إليهم بعد أن ساد الهدوء فترة من الوقت أن الفرصة مواتية للتقدم إلى هناك . . وما كادوا يتحركون حتى أعادتهم نيران المدافع والرشاشات التى انطلقت بغزارة من جميع أنحاء المنطقة . . فسارعوا يحتمون بخنادقهم ويخفضون رؤوسهم بداخلها . .

وفى تلك اللحظة خرجت الدبابة والعربة خلفها ، وعبرتا الصحن ، واندفعتا وهما تطلقان النار على الخندق الأيمن والجزء الجنوبى حيث يوجد الرجال .

وتمكنت الدبابة والعربة من الخروج من الموقع وهما تحملان جميع الأفراد الذين كانوا يدافعون عن الجزء الشمالى .

ولم يستمر فرارهما طويلا . . كانت قواتنا عند الكيلو متر ١٩ فى انتظارهما . تغلق أمامهما الطريق

وأفطر الرجال فى رأس العش بعد أن أدوا صلاة المغرب فى خشوع . .

وكانت أول صلاة تقام داخل أضخم حصن أقامته إسرائيل . .

هجمات العدو الجوية

ومن الساعة الثانية ظهر يوم ٦ أكتوبر حتى الساعة الرابعة صباح يوم ٧ أكتوبر ، أى خلال ١٧ ساعة كان العدو قد قام بـ ٧٧٤ طلعة طائرة عند منطقة عمل الجيش الثانى شرق وغرب القناة بما فى ذلك وحدات الدفاع الجوى .

وتحت هذا الضغط الجوى واصلت القوات تقدمها وتمكنت من إنشاء رؤوس الكبارى . .

زادت هجمات العدو الجوية بشكل كبير يوم ٧ أكتوبر وتركزت خلال هذا اليوم على قواتنا شرق القناة وعلى الكبارى والمعديات ، بالإضافة لمهاجمة عدد من مطاراتنا فى المنصورة القطامية وجناكليس وشبراخيت وطنطا وبير عريضة .

ووصل حجم مجهود العدو الجوى خلال هذا اليوم إلى أكثر من ٤٠٠ طلعة طائرة ٧٥ ٪ منها نهاراً والباقى ليلا .

خسائر العدو الجوية

كان من الطبيعى أن تتوقع القيادة هجوما جوياً ضارياً يقوم به السلاح الجوى الإسرائيلى للحصول على السيطرة الجوية .

وفعلا خطط العدو وخاطر بضرب المطارات الأمامية لإخراج قواتنا الجوية من المعركة وقامت ٧٠ طائرة إسرائيلية باختراق المجال الجوى المصرى بخلاف طائرات الحماية الجوية التى ظلت خارج نطاق مدى الصواريخ المصرية .

وهاجم العدو بهذه الطائرات جميع المطارات المتقدمة واقترب من هذه الأهداف على ارتفاعات منخفضة لتجنب وسائل الكشف ونيران قواعد الصواريخ المصرية .

ولم تؤثر هذه الهجمات تأثيراً جسيماً على المطارات وعادت للعمل مرة أخرى قبل مضى وقت طويل .

وفى نفس الوقت دفع العدو ١٨ طائرة ثمناً لهذا الهجوم .

ولم يتوقف العدو ، بل استمر فى محاولته للهجوم على المطارات واستمرت خسائره أيضاً .

القوات البحرية

صدام عند باب المندب

ظهرت أمام الغواصات المصرية التى تغلق البحر عند منتصفه – قرب بورسودان – فى وجه الملاحة الإسرائيلية سفينة ثلاجة إسرائيلية حمولة ٢٠ ألف طن ، كانت قد دخلت

البحر الأحمر قبل السادس من أكتوبر ، فأطلقت عليها طوربيداً من عيار ٢١ بوصة فجنحت السفينة على جانبها الأيمن واستمرت تميل حتى انقطعت أخبارها .

بعدها وحتى انتهاء الحرب ، توقفت الملاحة الإسرائيلية فى البحر الأحمر تماماً .

موقف العدو

يوم ٧ أكتوبر – اليوم الثانى للقتال – كان العدو لا يزال فى مرحلة عدم الاتزان واتسمت هجماته المضادة بالضعف وكانت قراراته فى معظمها قرارات ارتجالية .

وبدا واضحاً أن العدو لا يعرف بالتحديد أين يوجه ضرباته فى اتساع مواجهة الهجوم والمفاجأة وأساليب الخداع سواء بالمناورة بالكبارى والمعديات أو استخدام الكبارى الهيكلية والهجوم بخمس فرق مشاة فى نفس الوقت وانتشار وحدات الصاعقة والمفارز المتقدمة فى عمق سيناء أدى إلى « برجلة » قيادات العدو وفقدانها القدرة على توجيه ضربات مركزة ضد هدف محدد سواء بالمدفعية أو الطيران .

وساعدت إيجابية قواتنا ووضوح الهدف أمامها على فشل العدو فى تحقيقه أهدافه بالإضافة إلى عوامل أخرى أدت إلى هذا الفشل منها :

١ – تأثير نيران المدفعية غير المباشر على مدفعيات العدو .

٢ – كفاءة الدفاع الجوى ، وارتفاع حجم خسائر العدو فى الطائرات .

٣ – استخدام الدخان لإخفاء عبور باقى القوات .

خسائر العدو :

ويمكن حصر خسائر العدو فى اليوم التالى للقتال فيما يلى :

١ – سقوط النقطة القوية عند علامة الكيلو ١٤٦

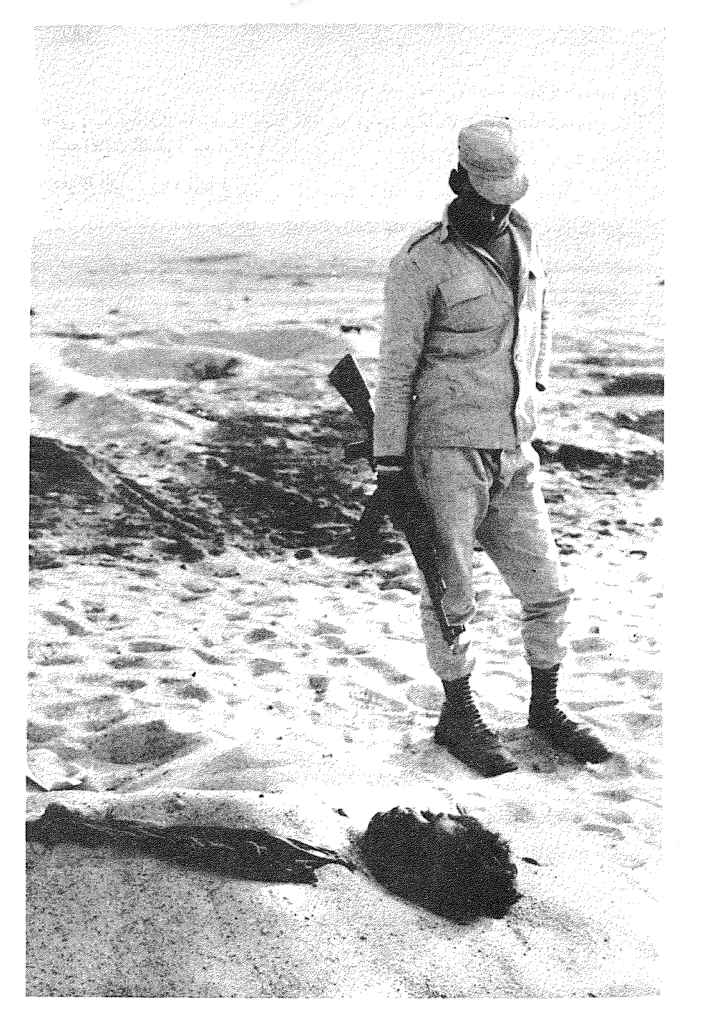
٢ – سقوط النقطة القوية عند علامة الكيلو ١٤٨

٣ – سقوط نقطة الشط الحصينة عند علامة الكيلو ١٤٩

٤ – سقوط نقطتين قويتين فى جنوب البحيرات

٥ – تمكن الفرقة ١٨ مشاة من تدمير أربع نقط حصينة

٦ – تمكن الفرقة ١٩ مشاة من تحطيم ٢٨ دبابة وإنشاء رأس جسر .



اليوم الثالث للقتال : يوم ٨ / ١٠

معركة اللواء / ١٩٠ المدرع

بعد أن أفاق العدو من صدمة المفاجأة وزالت عنه حالة الارتباك بدأ يعيد دراسة الموقف من جديد . .

كان تقدير القيادة الإسرائيلية خلال الساعات الأولى أن القوات المسلحة الإسرائيلية خاصة القوات الجوية والمدرعات قادرة على « كنس » القوات المصرية وتكبيدها قدراً من الخسائر يفوق مالحق بها عام ١٩٦٧ ، وبعدم اكتراث بدأت تواجه الموقف ودفعت بقوات محدودة لمهاجمة رؤوس الكبارى . .

وتمكنت القوات المصرية من صد وتدمير هـذه الهجمات المعتادة وفشلت القوات الجوية الإسرائيلية فى مواجهة حائط الصواريخ المصرى . .

وبدأت رؤوس الكبارى المصرية الخمسة تتدعم باستمرار . .

وقررت القيادة الإسرائيلية توجيه ضربة رئيسية إلى رأس كوبرى الفرقة الثانية المشاة التى تهدد الطريق الأوسط الحيوى . .

ودفع العدو اللواء المدرع من بئر سبع على الجنزير تحت قيادة العقيد عساف ياجورى واستمر اللواء يتقدم على الطريق الساحلى حتى وصل إلى رمانة ومنها تقدم على الطريق العرضى رقم ٣ إلى الفردان . .

كانت مهمة اللواء المدرع كما حددتها قيادة العدو تدمير القوات المصرية فى منطقة الفردان . .

بدأ العدو معركته بدفع سرية دبابات على الجانب الأيسر لرأس كوبرى الفرقة لجس النبض . . وخسر العدو ٦ دبابات من هذه السرية بعد اشتباك لم يستمر طويلاً . . بعدها دفع العدو سرية أخرى من نفس الاتجاه تم تدميرها بالكامل . . وللمرة الثالثة دفع العدو سرية فى اتجاه كتيبة أخرى وكان الثمن تدمير ٤ دبابات منها . .

خلال هذه الفترة اكتشفت دوريات الاستطلاع عدداً كبيراً من الدبابات يصل

إلى حوالى ٧٠ دبابه تجمع فى العمق على مسافة ١٠ كيلو مترات . .

والتقطت قواتنا إشارة لاسلكية موجهة من قائد اللواء إلى قيادته لإبلاغها أنه سيبدأ الهجوم بأقصى سرعة بعد ٢٠ دقيقة . .

ولم يكن أمام القائد المصرى وقت طويل لتقدير الموقف واتخاذ القرار وحشد قواته استعداداً للمعركة . .

كان الزمن المتاح أمامه حوالى نصف ساعة لاتخاذ القرار واستكمال الحشد . .

قدر القائد الموقف اعتماداً على دراسته للأرض وأسلوب العدو ونتيجة عمليات جس النبض بقوة ثلاث سرايا التى قام بها العدو ، فقد وصل إلى نتيجة مؤداها أن الهجوم الرئيسى سيتم من اتجاه طريق الفردان منتصف تشكيل قتال العدو . .

كان هذا الاتجاه هو الاتجاه الوحيد الذى يسمح للعدو بالمناورة واختار العميد قائد الفرقة تطبيق أسلوب قتال مصرى جديد لم يواجهه العدو من قبل ألا وهو أرض القتل المغطاة والمنتخبة بعناية والمسيطر عليها بالنيران من جميع الاتجاهات . .

لقد طبق العدو هذا الأسلوب معنا كما طبقه بنجاح الجيش الألمانى فى شمال أفريقيا خلال الحرب العالمية الثانية . .

ويتطلب هذا الأسلوب قبول الاختراق فى اتجاه أرض القتل ، مثل هذا القبول يحمل فى طياته الكثير من المخاطر ، فعمق رأس الكوبرى وقتذاك ٥ كيلو مترات ولو تمكن العدو الذى سيهاجمه بسرعة تصل إلى ٤٠ كيلو متراً فى الساعة من الوصول إلى عمق ٣ كيلو مترات فسوف يتمكن من القضاء على رأس الكوبرى . .

وقبل القائد المصرى المخاطرة وخلال ١٥ دقيقة من اتخاذ القرار اتخذت جميع الوحدات أوضاعها حول الأرض المختارة ووضع القائد كل ما يمتلك من أسلحة حول هذا الجيب ووضع كل العناصر المتحركة على الأجناب للمناورة بها لتوسيع أرض القتل . .

وترك العدو للهجوم فى التوقيت الذى حدد . . وانتظرت القوات . .

لم يشعر القائد المصرى بالقلق من حجم الدبابات المهاجمة بل شعر به نتيجة سرعة الدبابات الإسرائيلية التى وصلت إلى ٤٠ كيلو متراً . .

ووصل العدو إلى الحد الأمامى لرأس الكوبرى وناوشته قواتنا لجذبه إلى الداخل فى

أرض القتل وفعلاً تقدم مندفعاً فى اتجاه القناة . .

وداس أثناء تجاوزه مواقع قوات الحد الأمامى فوق الخنادق والحفر التى يحتمى بها الضباط والجنود . .

كان هدف العدو الوصول إلى القناة مقتنعاً أن مجرد تحقيق هذا الهدف سيثير الذعر بين القوات وسيعجل بانهيار قيادة الفرقة وبعد وصوله إلى المياه يستدير لتدمير القوات الموجودة فى منطقة رأس الكوبرى . .

وبمجرد عبور دبابات العدو الموقع الدفاعى للقوات بمسافة ٥٠٠ متر انفتحت أبواب الجحيم وانهمرت عليه النيران من جميع الأجناب من الشمال والجنوب والغرب وخرجت الكتيبة المشاة التى تدافع عن الحد الأمامى من مواقعها بقيادة البطل إبراهيم زيدان لتهاجم العـدو من الخلف وتغلق عليه الطريق واشتبكت فى نفس الوقت فى قتال متلاحم من مؤخرة العدو . .

وخلال دقائق تم تدمير جميع دبابات العدو . .

بعدها شوهدت مركبة قياده ودبابة تندفعان خلف القوات فى اتجاه طريق الفردان للتخلص من المعركة فتصدى لهما النقيب عادل القلش وأصاب دبابة العدو بطلقة مباشرة من دبابته فقفز منها ٤ أفراد من بينهم ضابط وحاولت مركبة القيادة التقاطهم وقبل أن تنجح المحاولة استطاع طاقم مدفع مضاد للدبابات أن يدمرها فتجمع ٧ أفراد من المركبتين حاولوا الاختفاء فى إحدى الحفر على جانب الطريق ، واتجهت إليهم مفرزة بقيادة الشهيد فؤاد انضمت إليهم مجموعة أخرى للقبض عليهم وأسرهم . .

وعلى مسافة كيلو متر واحد ألقى أفراد العدو بالسلاح ورفعوا أيديهم طالبين التسليم . .

وعند سؤال الضابط عن اسمه ورتبته أجاب أنه العقيد عساف ياجورى قائد اللواء / ١٩٠ المدرع ، وطلب مقابلة القائد المصرى .

ولم تنته المعركة . . هكذا قرر القائد المصرى الذى أصدر أوامره لقواته بتطوير الهجوم للاستيلاء على قيادة القطاع الأوسط . .



وبدأت مواقع خط بارليف تسقط واحداً إثر الآخر

وجه القائد العام للقوات المسلحة النداء التالى :

يسعدنى أن أبلغكم أن الفرقة الثانية المشاة قد دمرت اللواء / ١٩٠ مدرع الإسرائيلى بالكامل صباح اليوم وأسرت قائده العقيد عساف يا جورى وأكثر من مائة من أفراده وقد بلغ ما تم تدميره من قوات العدو المدرعة فى القطاع الأوسط صباح اليوم ١٥٠ دبابة ، وإنى باسمكم جميعاً أهنئ العميد أركان حرب حسن أبو سعده قائد الفرقة الثانية المشاة وضباطه وجنوده وأشد على يدهم فرداً فرداً كما أقدم شكرى العميق لكل فرد من رجال قواتنا المسلحة فى البر والبحر والجو على ما بذلوه ويبذلونه . .

الاستيلاء على قيادة القطاع الأوسط

دفع العميد حسن أبو سعده باقى قواته على الطريق الأوسط لتطوير الهجوم بعد نجاح قواته فى صد هجوم اللواء / ١٩٠ المدرع وتدميره . .

وتمكنت هذه القوات من الاستيلاء على تبة الشجرة ومركز قيادة القطاع الأوسط للعدو . .

كانت مفاجأة كبيرة للعدو أن تنجح قواتنا فى صد هجوم مضاد مدرع فى اتجاه وتندفع لتطوير الهجوم فى نفس اليوم من اتجاه آخر . .

وعندما دخلت قواتنا الموقع وجدت أوانى الطبخ فوق النيران واللحم قد اقترب من النضج . .

وكان من نتيجة المفاجأة انهيار مركز القيادة وسقوطه بدون مقاومة حقيقية . .

ومركز القيادة يضم موقعين حصينين متصلين بواسطة أنفاق محصنة يضم الموقع الأول مقر القيادة وغرفة العمليات ومقار قادة القوات الموجودة فى القطاع والأجهزة المخصصة للاتصال بالوحدات والقيادات الفرعية والقيادة الجنوبية والقيادة العامة والأجهزة والمعدات الإلكترونية التى تحتاج إليها القيادة سواء للسيطرة على القوات أو التصنت والتشويش على قواتنا . .

وتضم غرفة العمليات أحدث معدات السيطرة والاتصال الإلكترونية ومجموعة ضخمة

من الوثائق ، خرائط وصور استطلاع جوى وتقارير ومعلومات وقرارات ، وقد وجدتها قواتنا كاملة لم يحاول العدو التخلص منها . .

ويضم الموقع الأول أيضاً غرف نوم القيادة المجهزة أيضاً بأجهزة اتصال عادية وطوارئ . .

ويضم الموقع الثانى المطابخ والمخازن وأماكن نوم القوة المخصصة للدفاع عن المنطقة عموماً ومقر القيادة على وجه الخصوص . .

وقد وجدت قواتنا عشرات الأطنان من الذخيرة المختلفة ومخزونات لتموين يمكن أن يكفى القيادة والقوة الموجودة لمدة شهرين على الأقل . .

وحاولت القيادة الإسرائيلية استرداد هذا الموقع وفشلت واستمرت قواتنا تسيطر عليه . .

سقوط جنوب الفردان

استمرت النقطة القوية جنوب الفردان تقاوم بعناد وتصد الهجمات المتتالية طوال الـ ٤٨ ساعة . .

وبعد النجاح فى الاستيلاء على نقطة شمال الفردان قرر القائد استغلال هذا النجاح والالتفاف حول النقطة من اتجاه الشرق ولم تنجح المحاولة . .

وفرضت عليها القوات حصاراً واستمرت فى الضغط عليها برغم الخسائر فى الأفراد المهاجمين . .

وبعد حصار استمر يومين تمكن الشهيد الملازم عاطف من التسلل عبر الأسلاك الشائكة إلى داخل النقطة وسط نيران المدفعية ومعه جنديان وبالسلاح الأبيض قتل طاقم الرشاش الأول الذى يؤمن مدخل النقطة القوية واستولى عليه وبنيران هذا الرشاش قتل طاقم الرشاش الثانى واندفعت باقى المجموعات إلى داخل النقطة فدمرت عربة مدرعة ودار قتال متلاحم انتهى بتسليم باقى أفراد العدو . .

واستولت قواتنا على مجموعة كبيرة من الوثائق والمعدات من داخل هذه النقطة التى كانت تعتبر مركز قيادة لإحدى الوحدات الفرعية . .

* **مع استكمال تشكيل قتال الفرقة ١٦ المشاة من الدبابات والعربات المدرعة والدفاع الجوى**

يوم ٨ أكتوبر – اليوم الثالث للقتال – بدأت الفرقة فى تطوير هجومها ونجحت فى الوصول إلى خطوط المهمة النهائية لها . .

وأمكن لها تحقيق الأتصال مع قوات الفرقة الثانية المشاة التى تعمل شمال الإسماعيلية على جانبها الأيسر ، وكونت الفرقتان رأس كوبرى كبير يضم قطاعى شمال وجنوب الإسماعيلية وهو ما يطلق عليه رأس كوبرى جيش . .

أول هجوم مضاد كبير

خلال هذا اليوم ركز العدو هجماته المضادة على الجانب الأيسر للفرقة عند نقطة الأتصال بين الفرقتين لمنعهما من تكوين رأس كوبرى واحد . .

وهاجم العدو بالدبابات من المواجهة مع القيام بعملية التفاف من الجانب الأيمن للواء . .

كان العدو يريد أن يطوى هذا الجانب لإحداث ثغرة بين الفرقتين يمكن استغلالها فيما بعد . .

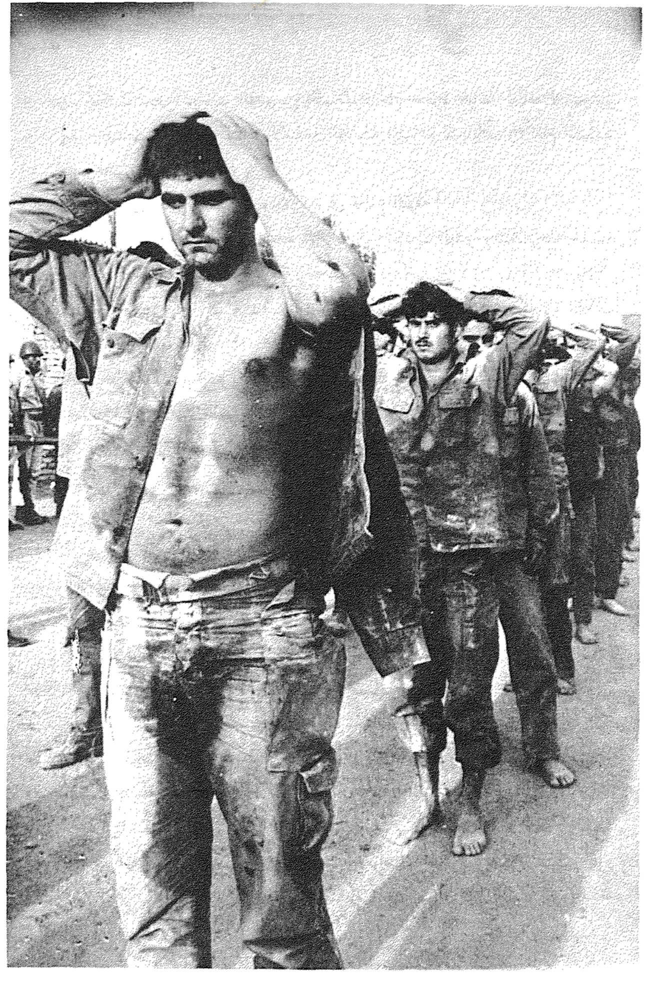
بدأ هجوم العدو الساعة الخامسة مساء بقوة كتيبتى دبابات تضم من ٤٠ إلى ٤٥ دبابة بالإضافة إلى كتيبة مشاة ميكانيكية . .

واستمر القتال حتى الساعة العاشرة والنصف دون أن يحقق العدو أى نجاح فى عملية الاختراق مما اضطره إلى سحب قواته إلى الخلف لإعادة تجميعها وترك بعض العناصر على اتصال بقوات الفرقة تتبادل معها النيران . .

وقد أصيب خلال هذه المعركة العقيد عادل سليمان يسرى بشظية من قذيفة مباشرة لإحدى دبابات العدو فى ساقه أثناء وجوده على الحد الأمامى للقوات لإدارة المعركة الدفاعية . .

وبرغم إصابته الجسيمة رفض أن يقدم له أى فرد أى مساعدة ، وعندما فشل فى استخدام رباط الميدان استخدم رمال سيناء لسد الجرح ووقف النزيف . .

وبعد نجاح اللواء فى صد الهجمة المضادة تمكن رجاله من إخلائه وقد ساعد ضوء القمر خلال هذه الليلة – وكانت ليلة ١٣ رمضان – رجالنا على وقف وصد وتدمير العدو . .



مرة أخرى . . تعود طوابير الأسرى مثلما كانت من قبل فى التاريخ العسكرى المصرى

وقد تمكنت بعض دبابات العدو من التسرب داخل خطوط قواتنا لمسافة لا تتجاوز ٦٠٠ متر وتصدت لها عناصر المشاة بالأسلحة الخفيفة المضادة للدبابات والألغام المضادة للدبابات ونجحت فى تدميرها . .

وكان هذا أول هجوم مضاد له وزن كبير فى قطاع الفرقة . .

وكان هذا مؤشراً إلى انتهاء فترة عدم الاتزان التى سادت العدو وبدء مرحلة جديدة تتسم قرارات العدو فيها بالتعقل والدراسة والتخطيط . .

وأصبح واضحاً أيضاً أن هـدف العدو هو تدمير رؤوس الكبارى وإعادة القوات إلى ما كانت عليه . .

وكانت معركة مساء ٨ أكتوبر مؤشراً يؤدى إلى استنتاج أن العدو يستعد لتوجيه ضربة رئيسية خلال ساعات ضد الفرقة / ١٦ المشاة . .

الاستيلاء على نقطتى الدفرسوار

خلال ليلة ٨ – ٩ أكتوبر تمكنت قوات الفرقة من الاستيلاء على نقطتى الدفرسوار بدأ الهجوم على النقطتين فى نفس الوقت مع آخر ضوء يوم ٨ أكتوبر . .

وبدأ واضحاً أن العدو يستميت فى الدفاع عن النقطتين الشمالية والجنوبية المتعاونتين معاً بالنيران . .

وواصلت قوات الفرقة الهجوم والضغط على النقطتين المتجاورتين ، كان قرار القائد أنه لابد من الاستيلاء عليهما . . كان يتوقع هجوماً مضاداً رئيسياً وكان يرى أنه من الضرورى أن تواجه الفرقة هذا الهجوم ومعها النقطتان القويتان .

وتمكنت القوات التى تهاجم النقطة الشمالية من اقتحامها من الخلف وبعد الاستيلاء عليها سقطت النقطة الجنوبية . .

ومما يذكر أن قائد إحدى الفصائل المهاجمة برتبة نقيب أصيب أثناء اقتحام النقطة الشمالية ، وبرغم إصابته استمر فى قيادة فصيلته ومواصلة الهجوم وبعد الاستيلاء على النقطة الشمالية انتقل للهجوم على النقطة الجنوبية وبعد وصوله إليها أصيب ثانية بدفعة نيران . .

وتوقف القتال عند أول ضوء يوم ٩ أكتوبر وأسرت قوات الفرقة ٣٧ فرداً . . وسقط باقى أفراد العدو قتلى . .

الاستيلاء على موقع النقطة / ٥٧

عندما تقدمت مجموعات وحدة مشاة بالقطاع الأوسط الساعة الواحدة والنصف ظهر يوم الثامن من أكتوبر لاستئناف الهجوم فتح العدو النيران عليهم من موقع حصين يطلق عليه النقطة ٥٧ . .

كان العدو قد أنشأه ضمن النسق الثانى لخط بارليف لسد الثغرات الموجودة بين النقط القوية للخط خاصة على المحاور والطرق الرئيسية المؤدية إلى قلب سيناء . .

كان الموقع يتمتع بإخفاء وتمويه جيد ، وبالتالى فلم يظهر فى صور الأستطلاع الجوى ولم تكتشفه عناصر الإستطلاع خلال الأيام ٦ ، ٧ ، ٨ أكتوبر قبل استئناف الهجوم . .

وظل الموقع صامتاً لا يطلق نيراناً فى انتظار دور هام يقوم به لإحباط هجوم وحصد قواتنا خلال تقدمها . . وفعلاً . . فتحت النقطة نيرانها من الداخل والخارج على مجموعات المشاة بعد أن تجاوزتها بهدف قطع خط الرجعة عليها . .

وتدخلت كتيبة مركبات مدرعة برمائية تعمل فى النسق الثانى واشتبكت مع الموقع الإسرائيلى ونجحت فى تدمير دباباتين وثلاث عربات مدرعة وفرت دبابة وعربة مدرعة .

وخسرت الوحدة المصرية عربتين مدرعتين . .

وأخيراً اقتحمت سرية مشاة الموقع واستولت عليه وحاول العدو استرداد هذا الموقع ٤ مرات خلال اليوم التالى ٩ أكتوبر . .

المحاولة الأولى الساعة السادسة والنصف صباحاً والثانية التاسعة صباحاً والثالثة الثانية عشرة ظهراً والرابعة الساعة الرابعة مساء انتهت جميعها بالفشل . .

وفشلت محاولة جديدة للعدو لاسترداد النقطة يوم ١٠ أكتوبر . .

المدفعية تحبط استعدادات العدو للقيام بهجوم مضاد :

مساء يوم ٨ أكتوبر وصل بلاغ من أحد القادة الذين تم دفعهم إلى عمق العدو على المحور الأوسط مع أربعة من المقاتلين كان البلاغ عن تجمع لواء مدرع لإعادة ملء الدبابات بالوقود . .

كان القرار استغلال هذه الفترة التى تفقد فيها المدرعات القدرة على العمل وتعتبر من أضعف أوقات عمل الدبابات ، واختيرت مدفعية الجيش الثانى لضرب العدو وتمكن العميد أبو غزالة من تجميع أكثر من عشرين وحدة مدفعية ظلت تضرب لمدة عشر دقائق منطقة تجمع اللواء . .

والتقطت أجهزة اللاسلكى المصرية إشارة من قائد اللواء إلى قيادته عن الخسائر التى لحقت به وعدم قدرة اللواء على تحقيق مهمته . .

النشاط الجوى

توجهت تشكيلات من المقاتلات القاذفة من طراز ميج ١٧ لقصف موقع أم خشيب للمرة الثانية - كانت المرة الأولى يوم ٦ أكتوبر - وعندما اقتربت الطائرات شاهدت الموقع الضخم الذى كانت القيادة الإسرائيلية تسيطر منه على قواتها فى سيناء : عشرات المبانى المحصنة ومواقع المدفعية والمدفعية المضادة للطائرات . . الهوائيات التى ترتفع إلى مسافة ٢٠ متراً والتى تدل على وجود أجهزة اتصال بعيدة المدى . .

وقرر قائد التشكيل الدخول على الموقع من جهة الشرق وقصف مواقع المدفعية المضادة للطائرات بعدها تقوم كل طائرات التشكيل بصب نيرانها على منشآت الموقع المختلفة . .

واشتعلت النيران فى كل الموقع بعد أن ألقت الطائرات أكثر من ٥ أطنان من القنابل وعشرات الصواريخ . .

وفجأة سمع القائد الطيار رقم ٣ فى التشكيل يقول له « العدو الجوى ظهر »

وبدأت الفانتوم تظهر فى سماء المنطقة « لتأديب هؤلاء المشاغبين » . .

هكذا قدرت القيادة الجوية للعدو وهكذا تصور قائد أسراب الفانتوم عندما وصلت إلى سماء المنطقة . .

وبدأت أولى طائرات الفانتوم تقوم بالهجوم . . نزلت من ارتفاعها الكبير فناور قائد التشكيل المصرى والطيار رقم / ٢ فمرت الفانتوم من بينهما : العدو له التفوق .

وطائراتنا على مسافة أطول من ٤٠ كيلو متراً من القناة أى أنها بعيدة عن شبكة الصواريخ المصرية . .

وانفصلت طائرات العدو وبدأت كل منها فى الهجوم على إحدى الطائرات المصرية . . وعندما يقوم طيار بإحباط هجمة معادية ويناور يجد فى انتظاره طائرة معادية أخرى تستعد للهجوم عليه فيناور من جديد وهكذا . .

وقرر الطيارون ألا يسمحوا للفانتوم بإصابتهم وأن يناوروا بصفة مستمرة حتى تتاح لهم فرصة للتخلص من الاشتباك للعودة إلى قواعدهم قبل أن ينفد الوقود منهم . .

وعندما كان القائد يطير فوق الموقع الإسرائيلى الموجود فوق جبل أم خشيب بدأ يهبط فوق ميل الجبل ليطير على ارتفاع منخفض فوق الأرض . .

وأثناء نزوله شاهد طياراً معادياً يسقط خلفه فاتجه بطائرته إلى اليمين وبدأ ينـاور للأرتفاع لإفساد هجمة العدو . .

وعندما تخلص من العدو نظر حوله وجد كل طائرات التشكيل مشتبكة مع العدو وكلها تناور بكفاءة . .

وارتفع الطيار المعادى مرة أخرى خلف طائرة القائد لمعاودة الهجوم عليه . .

وللمرة الثانية يناور قائد التشكيل المصرى بزاوية حادة ويتجه لأعلى فيهبط الطيار الإسرائيلى ولا يستطيع إكمال الهجمة كما لا يستطيع أن يناور بهذه المرونة لمتابعة طائرة قائد التشكيل . .

ويرى القائد طائرة معادية تتخذ وضعاً مناسباً لمهاجمة إحدى طائرات التشكيل وكان يقودها طيار حديث فنادى عليه « العدو خلفك » ناور. در لليمين وشد لأعلى . .

ولكن الطيار المصرى لا يتمكن من تنفيذ المناورة التى أمر القائد بها لإصابته بصاروخ . .

ويعود الطيار المعادى بطائرته الفانتوم ليواصل مطاردة طائرة قائد التشكيل المصرى ويرتفع إلى أعلى ويحاول أن يواجه طائرة القائد من الخلف فيستدير القائد لليسار بينما

يناور العدو إلى اليمين بعد أن فشل فى محاولته ثم يعود فيصبحان جنباً إلى جنب . . وفى الوقت الذى بدأ القائد ينظر فى اتجاه الطائرة المعادية وجده يناور ويتجه للمرور أمامه . .

ورآه القائد يخطئ فينادى على الطيار رقم ٢ فى التشكيل وينبهه إلى هذا الخطأ ويرد رقم ٢ « هاته » ويناور القائد حتى تكون طائرة العدو أمامه مباشرة عندما يكمل المناورة ويعدل من وضع طائرته ويضع يده على جهاز إطلاق نيران رشاشاته . .

ولا ينتبه الطيار المعادى للخطأ الذى وقع فيه . . ولا يحاول أن يصححه كما توقع القائد المصرى ويستمر فى الطيران للمرور أمام طائرة القائد مصراً على الخطأ ويطلق القائد نيرانه وتشتعل طائرة العدو وتنفجر ويرتفع منها الدخان ولا يتمكن الطيار الإسرائيلى من القفز بالمظلة . .

وكانت أول طائرة فانتوم تسقط بواسطة ميج / ١٧ . .

النشاط البحرى

بدأت لنشات الصواريخ المصرية فى إعداد كمين بحرى فى المنطقة بين دمياط والبرلس لتشكيل بحرى إسرائيلى كانت أجهزة الاستطلاع المصرية قد رصدت خروجه من ميناء عتليت الإسرائيلى فى الساعة الواحدة والنصف ظهراً ، يوم ٨ أكتوبر . .

كان تشكيل العدو مكوناً من ثلاث مجموعات كل مجموعة من ثلاث وحدات . .

وبمجرد دخول وحدات العدو فى مدى صواريخ اللنشات المصرية من طراز « ستايكس » وهو أبعد مدى من الصواريخ « جابربيل » أصدر قائد التشكيل أوامره بالاشتباك ، وهكذا دار أول حوار بالصواريخ الموجهة فى التاريخ الحديث . .

تدخلت طائرات العدو فى المعركة وهاجمت الهليكوبتر الوحدات البحرية ، وفى ليلة ٨،٧ خرج أحد التشكيلات البحرية الصاروخية من قاعدة بور سعيد للمرور بغرض اكتشاف وتدمير أى وحدات بحرية معادية تقترب من منطقة رمانة بالذات

وفى حوالى الساعة ٣٥ , ٣ صباحاً اكتشف التشكيل هدفاً بحرياً متوسط الحجم ودارت معركة البحرية انتهت حوالى الساعة ٣٠ , ٤ ، وبعد حوالى الساعة الخامسة قامت

الضفادع البشرية المصرية بإغارة ناجحة على مرسى بلاعيم حيث يوجد حفار يعمل لصالح إسرائيل . . وبعد انفجار الألغام التى وضعها الرجال تعطل الحفار عن العمل تماماً . .

نشاط معاد

حاول الجنرال أريل شارون تنفيذ خطة الاختراق يوم ٨ أكتوبر ليوقف «مفرمة اللحم» التى بدأتها القوات المصرية شرق القناة ضد القوات الإسرائيلية بعد أن نجحت فى إنشاء رؤوس كبارى قوية على امتداد القناة وجمع شارون فرقة مدرعة وبدأ فى الساعة الثانية عشرة ظهراً فى الزحف تجاه الغرب وبعد ثلاث ساعات ونصف هبطت هليكوبتر أمام عربة القيادة التى ستقل شارون وكان قد وصل إلى مشارف ممر متلا وكانت الطائرة تحمل رسولاً خارجياً أوفدته القيادة العامة برسالة خاصة لوقف الهجوم ، نظراً لعنف الستار الحديدى الذى يتكون من الصواريخ المصرية المضادة للدبابات . .

* حاول العدو يوم ٨ أكتوبر القيام بضربة مضادة من رمانة فى اتجاه القنطرة فتصدت لها القوات الجوية وحالت بينها وبين تحقيق هدفها . .
* قام العدو بهجمة مضادة بقوة لواء مدرع وكتيبة دبابات فى اتجاه رأس كوبرى الفرقة ١٦ مشاة . .
* قام العدو بهجوم مضاد بقوة كتيبة دبابات ضد قطاع الفرقة السابعة المشاة بدأت الهجوم فى الساعة الثانية عشرة والنصف . .
* أرسل العدو مجموعة تخريب خلف خطوطنا غرب القناة ، أبرها بواسطة الهليكوبتر . .
* وصل حجم مجهود العدو الجوى يوم ٨ أكتوبر إلى حوالى ٤٨٠ طلعة طائرة على الجيش المصرى منها ٦٢ ٪ نهاراً ومع التركيز على القوات شرق القناة والمعابر والكبارى . .

اليوم الرابع للقتال يوم ٩ / ١٠

تدمير اللواء المدرع الإسرائيلى رقم ٦٠٠

عندما بدأ التاسع من أكتوبر – اليوم الرابع للقتال – بدأ العدو فى تحويل الهجمات المضادة إلى ضربات مضادة بحجم لواء مدرع فأكثر لتحقيق أهدافه . .

وكانت معركة الفرقة ١٦ مشاة الكبيرة فى تلك اليوم مع العدو . شغل العدو مواجهة الفرقة بالكامل والتى تصل إلى أكثر من ٢٠ كيلو متراً بحوالى ٦٠ دبابة فى مجموعات كل مجموعة مكونه من ١٠ إلى ١٥ دبابة فى تشكيل قتال . .

كان ذلك الساعة الثامنة و٢٥ دقيقة وبدا أمام القائد أن هذا لا يمكن أن يكون هجوم العدو الرئيسى واستنتج أن العدو يريد أن تحرك الفرقة احتياطياتها فى اتجاه هذه الدبابات . .

أما لماذا ؟

وكانت الإجابة التى توصل إليها القائد أن العدو بعد أن حشد اللواء المدرع رقم ٦٠٠ فإنه يريد أن يوجه ضربة قوية فى قطاع ضيق قد لا يتجاوز عدة كيلو مترات لتحقيق التفوق على قوات الفرقة وبتنفيذ الضربة يستطيع الاختراق والوصول إلى المياه وتدمير رأس الكوبرى . .

وحتى يمكن للعدو توجيه هذه الضربة بنجاح فإنه يريد سحب الاحتياطى بعيداً حتى لا يجد القائد المصرى أمامه احتياطيات يدفعها لمواجهة الهجوم .

وأصدر القائد تعليماته إلى الوحدات للاحتفاظ بالاحتياطيات إلى آخر لحظة . .

كان القائد واثقاً أن الأنساق الأولى قادرة على تدمير عناصر العدو الموجودة فى المواجهة وفعلا . . صدقت توقعات القائد .

فى الساعة العاشرة صباحاً بدأ العدو هجومه الرئيسى بحجم لواء مدرع كامل يضم ١١٠ دبابات بالإضافة إلى الـ ٦٠ دبابة الموجودة فى مواجهة الفرقة . .

شن العدو هجومه للاختراق من منتصف تشكيل قتال الفرقة . .

واستغل القائد حشد المدفعية بالإضافة إلى خطوط النيران لإلحاق أكبر قدر من الخسائر بالعدو . .

واستمر العدو فى هجومه متحملا هذا القدر من الخسائر .

فى هذه اللحظة حرك القائد الاحتياطى على مستوى الفرقة ومستوى اللواءات و بالتعاون مع العناصر المدرعة أمكن للفرقة صد الهجوم المضاد للواء المدرع المعادى رقم ٦٠٠ ولم يتمكن من اختراق رأس كوبرى الفرقة وتوقف الهجوم فى الساعة الرابعة والنصف مساء ..

وفى الساعة السابعة مساء تلق القائد برقية من وزير الحربية . .

أبلغكم شكرى على ما أبديتموه مع رجال الفرقة من بطولات فى معركة التصدى لهجوم اللواء الإسرائيلى المضاد اليوم وهزيمته مع أطيب تمنياتى أدعو لكم بالنصر .

وأمر القائد بإذاعة البرقية على الفرقة فوراً . .

وخلال ليلة ٩ — ١٠ أكتوبر حاول العدو الهجوم أكثر من مرة ليلا ولم يكن حظه أسعد من حظه فى المرات السابقة وباءت جميع هجماته بالفشل . .

وجه وزير الحربية شكراً إلى كل من العميد أركان حرب حسن أبو سعده والعميد أركان حرب عبد رب النبي حافظ ورجالهما على ما أبدوه من بطولات فى معركة التصدى لهجوم اللواء المدرع الإسرائيلى المضاد أمس وهزيمته . .

معركة جبل المر :

يبعد جبل المر عن القناة بحوالى ١٥ كيلو متراً فى اتجاه الشرق وطوله حوالى ٦ كيلو مترات وارتفاعه ١١٧ متراً ويختلف من حيث جغرافيته عن أى جبل آخر فى المنطقة بما يحوطه من غرود يصعب اجتيازها . .

والجبل بهذه المواصفات يمثل هضبة حاكمة وقد استغله العدو بعد يونية ١٩٦٧ وأقام فوقه نقطة ملاحظة ومرابض لنيران مدفعيته بعيدة المدى للسيطرة على المنطقة الممتدة شرق وغرب القناة . .

وكان على رجال الفرقة ١٩ مشاة أن يستولوا على هذا الجبل ويحتلوا مواقع العدو التى أقامها عليه لتحقيق السيطرة على أهم هيئة حاكمة فى رأس كوبرى الفرقة . .

وعندما بدأت قوات الفرقة ١٩ فى تطوير الهجوم يوم ٩ أكتوبر قام قائد أحد لواءات الفرقة وأحد قادة الكتائب المشاة الميكانيكية ، بالتقدم واقتحام مصاطب دبابات العدو . .

وبدأ طيران العدو يتدخل لوقف الهجوم بعد أن توغل المهاجمون مسافة تصل ٩ كيلو مترات . .

وتشتبك عناصر الدفاع الجوى مع طائرات العدو وتسقط إحدى الطائرات من طراز سكاى هوك ويأسر الرجال الطيار حياً . .

ويواصل الرجال تقدمهم وقتالهم ويجتازون الغرود الرملية ويبدأون فى احتلال أجناب الجبل من اتجاه الغرب . .

ويحاول العدو دفع دبابتين لمحاولة وقف الهجوم . .

ويشتبك رجال الصواريخ المضادة للدبابات . . وفى نفس الوقت تتقدم بعض دبابات العدو للدخول فى المعركة . .

وتصاب إحدى الدبابات ويواصل الرجال شق طريقهم إلى القمة . .

كان هذا الهجوم يزداد ضراوة فى نفس الوقت الذى تقوم فيه إحدى مفارز اللواء السابع مشاة بالهجوم على موقع العدو الحصين فى عين موسى فى إطار خطة تطوير هجوم الفرقة التى تتضمن أيضاً الاستيلاء على مصاطب الدبابات فى العمق وكان هذا فى حد ذاته سبباً يحول بين العدو وبين وقف خطة تطوير الهجوم بفاعلية . .

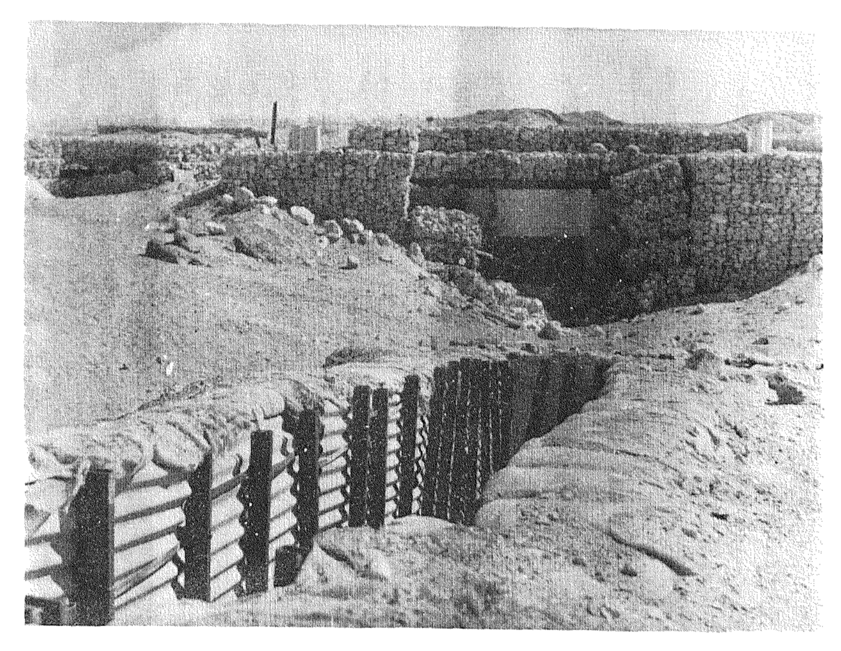
وفى الساعة الواحدة والنصف ظهراً ارتفع العلم المصرى فوق قمة جبل المر . .

العقيد الفاتح وهو قائد لواء والعقيد الغليفى وهو قائد كتيبة مشاة ميكانيكية قاما بقيادة فصيلة أثناء معركة جبل المر التى حشد لها العدو أعداداً كثيرة من الدبابات والصواريخ المضادة للدبابات وتمكنت الفصيلتان من اعتلاء قمة الجبل والتحكم فى ساحة المعركة فتمكنت قوات الفرقة من الاستيلاء على هذا الموقع الحيوى . .

الاستيلاء على مركز قيادة القطاع الجنوبى :
والخط الحصين ومحطة ضخ المياه :

بعد نجاح قواتنا فى اقتحام قناة السويس واكتساح النقاط الحصينة لخط بارليف فى القطاع الجنوبى أقام العدو عدة خطوط محصنة تضم عدداً من المصاطب ومرابض النيران على عمق ١٢ كيلومتراً شرق القناة . .

وعندما بدأت قواتنا الضغط لمواصلة التقدم شرقاً دارت معارك طاحنة كان العدو خلالها مسيطراً بواسطة نيران المدفعية والدبابات والصواريخ المضادة للدبابات نتيجة لوجود هذه المصاطب ومرابض النيران . .



ما أشبه مدفعية عيون موسى بمدافع ناخارون الشهيرة

وقررت قيادة اللواء الخامس من الفرقة / ١٩ مشاة ضرورة الاستيلاء على خط المصاطب الحصينة . .

وتم تعديل أوضاع القوات وقبل الهجوم بساعتين اجتمع القائد بقادة الوحدات الصغرى والفرعية وأصدر تعليماته الأخيرة لهم . .

وكانت الخطة الجديدة تعتمد على التحرك ليلا والاستيلاء على الخط الحصين بعملية صامتة ، فقد كان العدو يحتل هذه المصاطب نهاراً ويجلو عنها ليلا لتجميع دباباته كلها فى نقطة واحدة بعيداً عن مرمى مدفعيتنا واعتماداً على استخدام نيران المدفعية بعيدة المدى فى ضرب غلالات من النيران تحمى هذه المصاطب . .

وفعلا تحركت القوات بتشكيلات قتال ووصلت إلى الخط قبل الفجر وسيطرت عليه وكسبت ما يقرب من ستة كيلو مترات شرقاً وبعد دقائق وصلت دبابات العدو لاحتلال الخط والسيطرة منه على قواتنا ففوجئت بأن قواتنا قد سبقتها للعمل ودارت معركة خسر فيها العدو ٦ دبابات .

وكانت مفاجأة لقواتنا عندما اكتشفت وجود معسكر قيادة القطاع الجنوبى داخل هذا الخط الحصين كامل المحتويات واكتشفت قواتنا وجود غرفة عمليات بخرائطها ووثائقها وصورها الحيوية كاملة داخل مركز القيادة وعثرت على رادارات أرضية وأجهزة إعاقة وشوشرة وأجهزة توجيه طائرات وأجهزة إلكترونية .

ووجدت قواتنا أن بالمركز المبنى تحت سطح الأرض والمحصن تماماً ٢٠٠ سرير مما يدل على مدى ضخامته . .

ومن هذا المركز كان العدو يدير كل عملياته فى كل جنوب سيناء . .

كما استولت قواتنا على محطة ضخ المياه الرئيسية لمنطقة متلا وحاول العدو عبثاً استرداد هذا الخط . . فشن هجوماً مضاداً قوياً بعدد ٢٦ دبابة فتصدت له المدفعية المصرية بأسلحة الضرب المباشر وغير المباشر لكسر حدة الهجوم وعندما بدأ الاشتباك استطاع الرجال أن يدمروا له ١٩ دبابة . .

بعدها ارتد العدو إلى الخلف واعتمد على نيران مدفعيته البعيدة المدى من عيار ١٧٥ ملليمتراً لإزعاج قواتنا . .

سقوط الجباسات

عندما بدأ اللواء السابع مشاة يقتحم القناة كان القائد والرجال يدركون أن عليهم الاستيلاء على نقطة حصينة تعتبر من النقط الرئيسية التى تعتبر ركيزة من ركائز دفاعاته فى القطاع الجنوبى وهى نقطة الجباسات . .

وكان أصعب ما واجه رجال هذه الوحدة وباقى وحدات الجيش الثالث أنها قاتلت مدرعات العدو ليلتين دون أن تكون لديها أسلحة مضادة للدبابات بالمعنى المفهوم . . كان اعتمادها أساساً على الأسلحة الخفيفة المضادة للدبابات والمناورة بالقوات محلياً وخداع العدو . .

وقد سقطت النقطة القوية عند الجباسات يوم ٩ أكتوبر بعد قتال مرير . .

الاستيلاء على الموقع الحصين بعيون موسى :

المكان . . عيون موسى . .

والموقع . . بطارية مدفعية ميدان بعيدة المدى عيار ١٥٥ ملليمتراً . . تضم ٦ مدافع . .

ومن هذا الموقع صب العدو نيرانه على مدينتى السويس وبور توفيق ومنطقتى الزيتية وحوض الدرس . .

الموقع حصين جداً ويذكرنى بموقع مدافع نافارون الشهيرة ، كل مدفع من المدافع الستة عشر تحميه دشمة خرسانية تعلوها كتل من الحجر كل كتلة ملفوفة بالأسلاك حتى إذا تعرضت للقصف فى بعض أجزائها لاتنهار الكتلة كلها وفوق كل هذا أكياس من الرمال بارتفاع ستة أمتار . .

وهذه البطارية بمدافعها الستة تعمل أتوماتيكيًا . . يتم التعمير أتوماتيكيًا وتخرج ماسورة المدفع على قضيب بعد أن يفتح باب الدشمة المصنوع من الصلب وبعد إطلاق القذيفة يعود المدفع إلى داخل الدشمة وينغلق الباب وهكذا . .

ويمكن لهذه المدافع الستة أن تطلق طنى ذخيرة فى الدقيقة الواحدة . .

وكل مدفع من هذه المدافع يتحكم فى اتجاه محدد . .

وقد حاولت قواتنا أن تنال من هذا الموقع خلال معارك الاستنزاف دون جدوى . .

وصباح يوم ٩ أكتوبر تقدمت مفرزة من اللواء السابع مشاة بقيادة مسعد أحد قادة كتائب اللواء للاستيلاء على هذا الموقع . .

كانت خطة المقاتل فوزى قائد اللواء تعتمد على خداع العدو ومفاجأته بعد أن درس خريطة الموقع وانتشار باقى وحدات العدو فى كل المحور . .

وتقدمت الدبابات يعتليها المشاة من ثلاثة اتجاهات يسبقها تمهيد نيرانى من المدفعية . .

وكان هدف القائد من فرد قواته على مواجهة واسعة واستغلال وجود بعض الوحدات الفرعية المتقدمة على الأجناب أن يتخيل العدو أن هناك حشداً هائلا للهجوم لا سيما وأن تقدم الدبابات والمدرعات من الاتجاهات الثلاثة وما يثيره تحركها من أتربة مع استمرار إطلاق النيران من كل الأسلحة لن يعطى العدو فرصة التفكير الهادئ لاتخاذ قرار صائب . .

وفعلاً أثار تقدم القوات من كل أجناب الموقع ذعر العدو فآثر الفرار ونجحت خطة القائد التى كانت معرضة للفشل لو أدرك العدوكم هى بسيطة هذه القوة التى تتقدم لاحتلال هذا الموقع الحصين ، ولو أدرك أن نيران مدافعه وحدها قادرة على وقف الهجوم . .

وقد فوجئ رجال المفرزة عندما دخلوا الموقع ووجدوا هذه الكمية الهائلة من الذخائر التى خلفها العدو . .

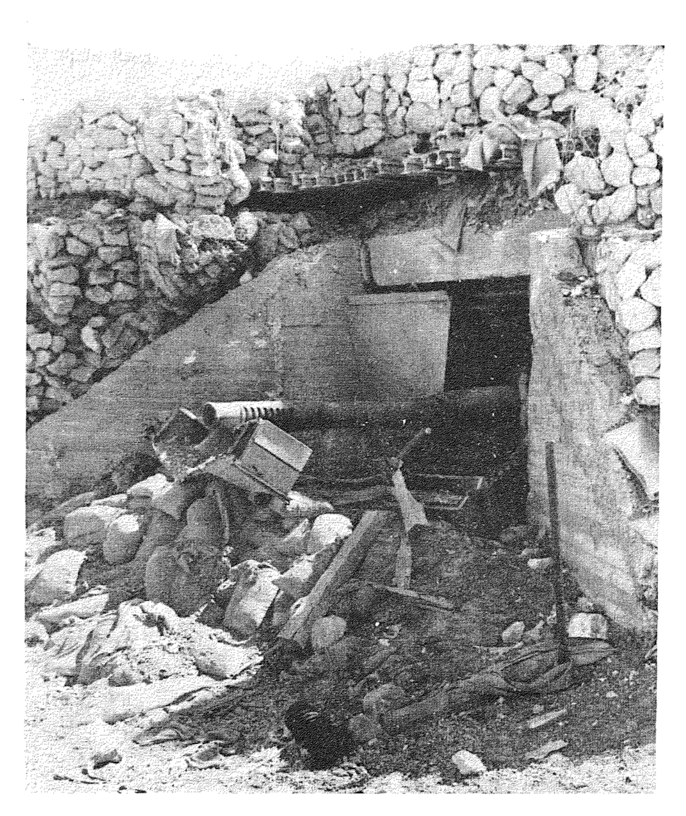
وقد تم الاستيلاء على الموقع الساعة الثامنة والربع صباحاً . .

وكان بالموقع ٧٠ فرداً من أفراد العدو وتمكنت القوة من أسر ٧ أفراد والاستيلاء على ٣ دبابات ..

بعدها حاول العدو استرداد هذا الموقع عدة مرات وبرغم طلعاته الجوية التى بلغت ٩٦ طلعة لم يتمكن من تحقيق هذا الهدف . .

النشاط الجوى :

قامت القوات الجوية بـ ٢٦٤٩ طلعة خلال الفترة من ٦ إلى ٩ أكتوبر وواصلت ضرب حشود العدو وخوض القتال الجوى مع العدو الذى يحاول الوصول إلى القواعد الجوية المصرية والعمق المصرى بالتعاون مع الدفاع الجوى الذى كان الحماية الرئيسية للقوات البرية والأهداف المدنية الموجودة فى عمق الدولة .



واستولت قوات اللواء السابع على موقع عيون موسى

النشاط البحرى :

أغارت فصيلة من الصاعقة البحرية على منطقة الودرية على خليج السويس وقامت بتلغيم مفارق الطرق ونسفت مستودعات البترول الموجودة فى المنطقة . .

هاجمت مجموعات من الصاعقة نقطة الشئون الإدارية للعدو فى منطقة بالوظا ونجحت فى إلحاق خسائر بها . .

* . . وسقطت النقطة القوية عند كبريت . .
* . . وسقطت النقطة القوية عند رأس مسلة . .
* فى الساعات الأولى يوم ٩ أكتوبر الساعة ٢,٤٥ تقدم العدو بلواء مدرع للقيام بهجوم مضاد ضد رأس كوبرى الفرقة السابعة مشاة . .
* فى الساعة الحادية عشرة قبل ظهر يوم ٩ أكتوبر قام العدو بهجوم مضاد بقوة سريتى دبابات ضد اللواء الخامس مشاة من الفرقة ١٩
* استمرت القوات أيام ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ فى صد هجمات العدو المضادة وفى تحسين أوضاعها وحل مشاكلها الإدارية والفنية حتى انتظمت رؤوس الكبارى وأصبحت مستعدة للانطلاق شرقاً . .

اليوم الخامس للقتال يوم ١٠ / ١٠

الوقفة التعبوية :

أوقفت القوات خلال الفترة من ١٠ إلى ١٣ أكتوبر وقفة تعبوية لتكبيد العدو المزيد من الخسائر وفى حماية شبكة الصواريخ المصرية .

فلم يكن الهدف هو تحرير أكبر قسط من الأرض ، بل كان الهدف تكبيد العدو أكبر قدر من الخسائر سواء فى المعدات أو فى الأفراد ، فمثل هذه الخسائر هى التى تستطيع التأثير على العدو تأثيراً جوهريًا . . هكذا كانت خطة لقيادة العامة .

اليوم الخامس للفرقة ١٦ المشاة :

عاود العدو الهجوم عبر قطاع الفرقة ١٦ المشاة صباح يوم ١٠ أكتوبر – اليوم الخامس للقتال – دون تركيز ، فقد كان تركيزه الأساسى على قطاع الفرقة الثانية المشاة فى نطاق القطاع الشمالى .

بدأ العدو هجماته فى الساعة الخامسة و ٤٠ دقيقة على منتصف تشغيل قتال الفرقة ضد اللواء الثالث المشاة الميكانيكى ، ولم يحقق هجوم العدو أى نجاح .

وبعد هذا الهجوم جدد العدو هجومه المضاد على الجناح الأيمن – اللواء ١٦ مشاة – فى قطاع الفرقة بقوة ٤٠ دبابة ، كما هاجم الجناح الأيسر لهذا اللواء فى نفس الوقت بقوة ٢٠ دبابة وفشل العدو .

وتم صد الهجوم .

وقام العدو بشن عدة هجمات مضادة على الجناح الأيسر للواء بقوة ٥٠ دبابة مدعمة بعناصر مشاة ميكانيكية .

وفشل العدو مرة أخرى .

مساء يوم ١٠ أكتوبر دفع القائد بقوة مشكلة من الدبابات وعناصر المشاة للاستيلاء على نقطة العدو القوية فى تل سلام . .

وبعد مقاومة ضعيفة من جانب العدو أمكن للقوة الاستيلاء على النقطة القوية بعد تدميرها .

النشاط الجوى :

عندما قام تشكيل من الميج ١٧ بقصف مدرعات العدو المتقدمة على الطريق الساحلى فى الساعة الثالثة بعد ظهر يوم ١٠ أكتوبر ظهرت فى السماء مقاتلات العدو من طراز ميراج وتدخلت لمنع طائراتنا من العودة بعد أداء مهمتها .

وبدأ قتال جوى .

انتشر التشكيل المصرى على ارتفاع يسمح له باستغلال إمكانيات طائراته وقدراتها

الممتازة على المناورة لمواجهة طائرات العدو . . ولم يكن أى من الطيارين المصريين يتصور أنه قادر على إسقاط الميراج بواسطة الميج ١٧ .

كان الهدف من الاشتباك مجرد منع العدو من تحقيق أهدافه لو استمرت المعركة واتسع نطاقها .

وكان من بين طيارى التشكيل طيار يشترك لأول مرة فى قتال جوى . . وعندما بدأ الاشتباك سأل نفسه فى لحظة . . لماذا لا يسقط عدوه ؟ . . كان مسيطراً على الطائرة تماماً ومستوعباً لكل فنون القتال الجوى . . وله قلب عامر بالايمان . .

ولم يعد يناور لإجهاد عدوه ومنعه من إصابته . . بل بدأ يناور لاصطياده . . وعندما حانت الفرصة أخيراً ونجح فى وضع عدوه أمامه ، وقبل أن يستغل عدوه سرعته العالية للهرب لو اكتشف موقفه الحرج . . أطلق نيرانه . . واحترقت طائرة العدو . . وانفجرت أمامه . .

وكانت المرة الأولى التى تسقط فيها الميج ١٧ مقاتلة من طراز ميراج .

وانتشر الخبر .

* تمكن العدو أثناء قيامه بهجوم مضاد بقوة لواء مدرع من اختراق رأس كوبرى الفرقة الثانية المشاة لمسافة كيلومترين فى مواجهة اللواء ١٢٠ مشاة

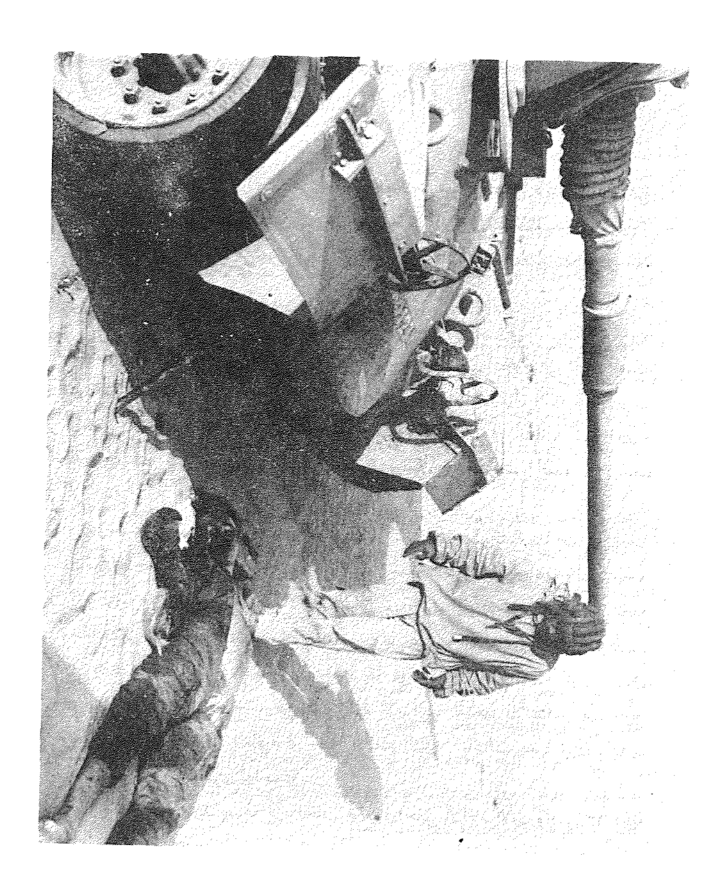
* قام العدو بهجوم مضاد بقوة سرية دبابات ضد رأس كوبرى الفرقة ١٨ مشاة .

* قام العدو بهجمة مضادة بقوة سريتى دبابات فى اتجاه كوبرى الفرقة ١٦ مشاة .

* بدأ العدو نتيجة الخسائر الكبيرة فى المعدات والأفراد على جبهة القناة فى سحب اللواءات المدرعة ٧ ، ٦٠٠ ، ٢١٧ ، ٤٠١ لاستعواض خسائرها خلال الأيام الأربعة الأولى من القتال .

* وصل حجم قوات العدو التى خسرها فى سيناء إلى ٨ لواءات مدرعة حوالى ٨٠٠ دبابة ، ٣ لواءات مشاة ميكانيكية ولوائى مشاة .

* ابتداء من صباح ١٠ أكتوبر ركز العدو على شغل قواتنا بنيران المدفعية والهجمات الجوية والهجمات المضادة بالمدرعات . واستمر ينهج هذا النهج حتى يوم ١٣ / ١٠ لإجهاد قواتنا مع الاستمرار فى بناء احتياطيات استراتيجية فى العمق استعداداً للتحول للهجوم المضاد .



اليوم السادس للقتال يوم ١٠/١١

معركتا تبة المثلثات رقم ١٠٠

تشكل هذه التبة بروزاً مؤثراً على خط المرتفعات الموجود فى عمق ١٥ كيلو متراً شرق القناة ، وتسيطر على منطقة الهواويش وهى موقع حاكم للغاية فى المنطقة .

وقد استولى اللواء الأيمن من الفرقة الثانية على هذه التبة أثناء تقدمه بنجاح فى اتجاه الطريق الأوسط .

وأراد العدو استرداد هذه التبة فشن ثلاث هجمات طوال يومى ١١ ، ١٢ أكتوبر فشلت جميعها فى تحقيق أهدافها ، بدأ العدو محاولته الأولى بالهجوم على الموقع المصرى فوق التبة صباح يوم ١١ أكتوبر بالالتفاف حول الموقع فى اتجاه الشمال وأثناء تقدمه تورط فى حقل ألغام أعدته قواتنا خلف الموقع . وبعد تورطه كان فى انتظاره كمين مضاد للدبابات فتح عليه النيران ، وصبت المدفعية نيرانها عليه . وخسر العدو ٦ دبابات وفر الباقى .

وبعد ظهر نفس اليوم حاول العدو للمرة الثانية وهاجم بكتيبة دبابات فى نسقين متتالين وهاجمت الموقع سرية من الأمام لشغله وجذب انتباهه فى اتجاهها والتف العدو بباقى القوة حول الموقع من نفس الاتجاه السابق ، كانت القيادة تتوقع أن يكرر العدو محاولته نظراً لأهمية الموقع فجهزت حقل ألغام آخر على عمق ٥٠٠ متر من الحقل الأول . . .

وتقدمت الدبابات الدقاقة لتفتح طريقاً فى حقل الألغام الأول تمر منه باقى الدبابات وتحقق لها النجاح ، فواصلت القوة الإسرائيلية تقدمها للالتفاف حول الموقع مرة أخرى وتورطت القوة المعادية فى حقل الألغام الثانى . وانهالت عليها نيران المدفعية وتقدم كمين دبابات مصرى لمهاجمتها .

وارتبك العدو وارتد بسرعة إلى الخلف فوقع فى حقل الألغام الأول وخسر ١٣ دبابة فى هجومه الثانى .

* نجحت قوات الفرقة ١٨ مشاة فى توجيه ضربة قوية يوم ١١ أكتوبر ضد بقية القول المدرع ١٩٠ بواسطة قوات القنطرة شرق وأسفرت هذه الضربة عن استكمال تدمير بقايا القول وتكبيد العدو مزيداً من الخسائر .

النشاط الجوى

أقصر معركة جوية ٥٠ ثانية فقط

كانت هناك ٨ طائرات فانتوم تطير على ارتفاع منخفض مقتربة من الاتجاه الشمالى الشرقى للدلتا من اتجاه البحر ، وقدرت قيادة القاعدة الجوية الموجودة فى المنطقة أن هذه الطائرات ستقوم بالهجوم على القاعدة . . .

وأقلعت المقاتلات الاعتراضية لتشكيل مظلة فوق سماء القاعدة لحمايتها وحلقت الطائرات الإسرائيلية فوق الدلتا ولكنها لم تقترب من القاعدة فاتجهت إليها المظلة المصرية واستطاعت أن تشتبك معها فى معركة جوية قصيرة أسفرت عن إسقاط ٤ طائرات وأسر ٥ أفراد منهم قائد التشكيل ، وخلال هذه المعركة تمكن طيار (شاكر) من إسقاط طائرتين الأولى بصاروخ والثانية بنيران الرشاش ، وأصاب طيار آخر (مدحت) إحدى الطائرات بصاروخ ، ولاحق طيار ثالث غصوب الطائرة الرابعة حتى اقترب منها جداً وأطلق عليها نيرانه لتنفجر أمامه وتصاب طائرته فيقفز بالمظلة .

تسكين شبكة الدفاع الجوى فى بورسعيد

لجأ العدو إلى مهاجمة بورسعيد جوًّا منذ اليوم الثانى للقتال وتعرضت كتائب الصواريخ فى المدينة إلى بعض الأعطال .

وكان قرار اللواء محمد على فهمى قائد قوات الدفاع الجوى عمل فترة تسكين واستغلالها بدفع جماعات إصلاح لاستعادة الموقف بسرعة تحت الضرب مع إعطاء الحرية للمدفعيات المضادة للطائرات بالعمل .

ونجحت جماعات الإصلاح فى استعادة الموقف قبل يوم ١١ أكتوبر.

وعندما وصلت قوات العدو الجوية يوم ١١ أكتوبر وهى تشعر أن المدينة مكان للنزهة نتيجة صمت كتائب الصواريخ ، فوجئت بالنيران التى تخشاها تشتبك معها . وخسر العدو ١٢ طائرة .

* قام العدو بهجوم مضاد بقوة لواء مدرع ضد رأس كوبرى الفرقة ١٨ مشاة ، والفرقة ٢ مشاة وتم صد الهجوم وأسر ١٣ دبابة .

* فى الثانية و ٢٥ دقيقة صباح يوم ١١ أكتوبر قام العدو بهجوم مضاد بقوة كتيبة دبابات ضد رأس كوبرى الفرقة السابعة مشاة .

* حاول العدو القيام بعملية إغارة على مرسى السادات والأدبية ولم ينجح فى الوصول إلى البر وخسر لنشاً مسلحاً وعدداً من القوارب المطاط المحملة بالكوماندوز .

اليوم السابع للقتال يوم ١٠/١٢

معركة تبة المثلثات رقم ١٠٠ الثالثة

صباح يوم ١٢ أكتوبر قصف العدو الجوى الموقع المصرى فوق التبة بشكل عنيف وظهرت فى الأفق ٥٥ دبابة حددت عناصر الاستطلاع محلاتها وطرق تجمعها . .

وفاجأتها نيران المدفعية المصرية فى العمق لتربك تشكيل قتالها وتؤخر هجومها حتى تتضح نوايا العدو من القصف الجوى المركز على الموقع . .

وتوقعت القيادة أن يقوم العدو بعملية إبرار جوى على الموقع أو خلفه .

ونتيجة للخسائر الكبيرة التى لحقت بالسرية التى تدافع عن الموقع المصرى فوق التبة أمر القائد بدفع سرية جديدة على أن تختبئ خلف الموقع وتظل مستعدة باستمرار لمهاجمة العدو فى حالة قيامه بالإبرار .

وفعلا بدأ العدو عملية الإبرار الساعة العاشرة والنصف خلف وفوق وأمام الموقع على مراحل .

كانت أول مرة يقوم فيها العدو باستخدام أسلوب الإبرار الجوى أثناء العمليات وخلال عملية الاقتراب استغلت الهليكوبتر الخيران العميقة المنتشرة فى المنطقة مع الطيران على ارتفاع منخفض لتجنب رقابة قواتنا بقدر الإمكان .



من خسائرهم

وكانت القوة المصرية التى تحتل التبة لا تتجاوز ٣٥ فرداً من المشاة سلاحهم خفيف وليس معهم أى عناصر مدرعة .

واندفعت الدبابات المدرعة التى تم إبرارها لتسيطر على مناطق الهبوط لتأمينها ضد الهجمات المضادة ولتأمين هبوط باقى القوة ورصدت قواتنا ١٩ عربة مدرعة نصف جنزير تم إبرارها تحمل كل عربة من ١٠ إلى ١٢ فرداً .

وبدأت مجموعات العدو فى إطلاق نيرانها فى كل اتجاه للقضاء على أى مقاومة لرجال الموقع .

كان تصور القيادة الإسرائيلية أن مجرد النجاح فى إنزال العربات المدرعة سيثير الفزع فى القوة المصرية الصغيرة خاصة بعد القصف الجوى العنيف ، وبالتالى ستتمكن القوات المهاجمة من السيطرة على الموقع وتصورت القيادة الإسرائيلية أيضاً أن القيادة المصرية ستركز جهودها لصد هجوم طابور المدرعات ولن تكون أمامها فرصة لنجدة الموقع المهاجم .

واشتعلت روح القتال بين أفراد الموقع المصرى واندفعوا بما فيهم الجرحى يقاتلون العدو ويلتحمون معه ، فى هذه اللحظة أصدر القائد أمراً للسرية المختبئة فى أحد الخيران بالهجوم .

خلال هذه الفترة كان طابور مدرعات العدو الذى يضم ما يقرب من ٥٥ دبابة و ١٠ عربات نصف جنزير يواصل تقدمه للهجوم على الموقع .

ودفع القائد المصرى كتيبة دبابات تؤمنها كتيبة صواريخ مضادة للدبابات لصد دبابات العدو وإحباط هجومه ، ومنعه من الوصول إلى التبة وفوجئ العدو بالهجوم من الخلف والأجناب أثناء اشتباكه فى قتال ضار مع قوة الموقع فأصيب بالارتباك وأخذ فى الارتداد بعد أن خسر ١٠ عربات مدرعة . وأثناء محاولته التخلص من الاشتباك وقع فى حقل ألغام واستمرت قواتنا تتابعه فدمرت له ٤ عربات أخرى .

ونجحت قوة الدبابات المصرية ومعها الصواريخ المضادة للدبابات فى صد هجوم طابور الدبابات الإسرائيلى وأرغمته على الارتداد وخسر العدو ٢٠٠ قتيل فى هذه المعركة بالإضافة إلى خسائره فى الدبابات والعربات المجنزرة . والتقطت قواتنا إشارات استغاثة ،

إحداها بصوت واحد من طيارى الهليكوبتر يبكى ويصف المنظر بأنه فظيع ويطلب النجدة من قيادته .

بعدها توقف العدو عن مهاجمة الموقع برغم تأثيره على دفاعاته .

* قام العدو بالهجوم المضاد بقوة سريتى دبابات ضد اللواء الخامس مشاة من الفرقة ١٩ مشاة .

بدأ الهجوم فى الساعة الثانية ، ٣٥ دقيقة .

* فى الساعة السابعة صباحاً دفع العدو بلواء مدرع لاختراق مضيق سدر يتقدمه حرس أمامى مكون من ١٥ دبابة ، ١٢ عربة نصف جنزير ، ٨ عربات جيب ، وأتوبيسين محملين بالرجال .

كانوا يعلمون أن الصاعقة المصرية تغلق الطريق أمامهم وكانت خطتهم أن يقتحموا المضيق عنوة .

وأعد الرجال كميناً للإيقاع بالعدو ، وعندما دخلت قوات العدو الكمين بدأ الاشتباك الذى استمر حتى الساعة الخامسة مساء .

وخلال قتال الساعات العشر تمكنت الصاعقة من تدمير قوة الحرس الأمامى

* أغارت وحدات من الضفادع البشرية الإسرائيلية على قاعدة الغردقة البحرية وتم تدمير قارب مطاط بطاقمه من الضفادع شرق جزيرة الجفتون .

وقد استخدم العدو فى الهجوم على القاعدة وأرصفتها قوارب « برترام » بعد إدخال تعديلات أعطتها صفة السلاح السرى ، فقد زود القارب بمقعد قاذف بعد أن حول مقدمته إلى كتلة متفجرات .

وخلال الهجوم يندفع الضفدع بالقارب بسرعة عالية ويوجهه فى اتجاه الهدف ، وبعد أن يقترب من الهدف ويتأكد من إصابته يضغط على زر بجواره فيرتفع المقعد بالضفدع إلى أعلى وإلى الخلف ليتم التقاطه إذا لم ينجح فى استخدام المقعد كلنش صغير .

اليوم الثامن للقتال يوم ١٣/١٠
قصة احتلال موقع لسان بورتوفيق

كانت ساعة الصفر بالنسبة لهم تحين بعد ثلاث ساعات من بدء اقتحام القوات المسلحة للقناة . . قبلها اتخذوا جميع الإجراءات استعداداً لاقتحام موقع العدو الحصين فى منطقة لسان بورتوفيق . . . ودخلت كتيبة الصاعقة مدينة بورتوفيق التى تخلى عنها لهم رجال المشاة . . وحتى لا يشعر العدو أن هناك تغييراً يحدث فى المدينة دخلوا على مراحل . . وتخلوا عن زيهم المموه القريب إلى قلوبهم وارتدوا مثلما يرتدى المشاة حتى لا يكتشف العدو وجودهم . . وتمنطقوا بأحزمة المشاة الصفراء بدلا من أحزمتهم السوداء اللون . . وحافظوا على نظام وعادات المشاة خلال الفترة التى أمضوها فى بورتوفيق قبل أن تحين ساعة س . . وكان تأخير ساعة الصفر يحرمهم من ميزة مفاجأة العدو ، وكان أيضاً يساعد العدو لدعم موقعه استعداداً لهجوم متوقع . .

وقد حدث فعلا أن انضمت إلى النقطة بعض احتياطيات للعدو كانت فى موقع عيون موسى الحصين ولم تتدخل فى معركة الفرقة ١٩ المشاة . . وأصبحت المهمة أكثر تعقيداً . وحانت اللحظة . . . وانهمرت نيران المدفعية المصرية لإسكات الموقع وتدميره تمهيداً للهجوم ولم يرد الموقع . . وكان أمام القائد فؤاد احتمالان : الأول أن تكون النقطة دمرت تماماً . . والثانى أن العدو يحبس نيرانه انتظاراً للرجال العراة من الدروع . . واستبعد القائد الاحتمال الأول . . وبعد ١٠ دقائق توقفت نيران المدفعية وانطلقت سرية فى مجموعتين من موقع الهجوم الابتدائى على الماء لحصار النقطة من اتجاهى اليمين واليسار لمنع أى احتياطيات للعدو من التقدم للاشتراك فى معركة النقطة . وقابل العدو الرجال بنيران شديدة من كل الاتجاهات . . مثلما توقع القائد والرجال . . وتحت راية مصر ونداء الله أكبر . . واصل الرجال رحلتهم إلى الشاطئ الآخر . . سقط منهم قتلى . . وغرقت قوارب بمن فيها . . وجرح الكثيرون . . واستمروا . . ووصلت المجموعتان إلى الشاطئ . وهاجمت مجموعة العمل على الاتجاه الأيمن نقطة ملاحظة للعدو وقتلت أفرادها واستطاعت أن تدمر له دبابة وتستولى على كل معدات النقطة ومنها تلسكوب

بحرى كبير ووسائل اتصال لاسلكية وتليفونات .

ونجحت مجموعة العمل الثانية فى قطع مدخل النقطة من اتجاه اليسار . . وقامت بزرع الألغام فى المنطقة . . وأقامت المجموعتان مناطق كمائن على جانبى الموقع المعادى . وتقدمت ثلاث دبابات معادية لدخول النقطة . . فانفجرت الأولى وانقطع جنزيرها وهاجم الرجال الثانية بمدافع الآر . بى . جى وأصيبت الدبابة الثالثة بعد ذلك . .

وقبل أن تبدأ المرحلة التالية للهجوم حاول القائد زغلول إرجاءها إلى آخر ضوء للحد من حجم الخسائر نتيجة نيران العدو الشديدة . ورفض قائد السرية هذا القرار وأصر على بدء هجومه فى التوقيت المحدد بالخطة . واستخدم القائد نيران مدافعه لقصف النقطة المعادية لستر اقتحام السرية للقناة . وتحت نيران العدو الشديدة اندفعت السرية لتنفيذ مهمتها . . واستطاعت أن تصل بما تبقى من أفرادها إلى الشاطئ الآخر وتقتحم النقطة . . وتمكنت مجموعة يقودها ملازم من فتح ثغرة فى الساتر الترابى برغم مقاومة العدو الشديدة ولجوئه إلى قذف قنابل يدوية على الرجال بواسطة كاسات إطلاق لوقف هجومهم ، ووصلت المجموعة إلى داخل النقطة القوية واقتحموا دشمة من الدشم وقتلوا كل من فيها . . وسقط الضابط شهيداً . . ونظم باقى الرجال الدفاع عن الدشمة لتوقعهم أن العدو سيحاول استردادها منهم . .

وخلال ليلة ٧/٦ أكتوبر لاحظ الرجال من موقعهم فى الدشمة أن هناك دبابة إسرائيلية توالى قصف مدينة بورتوفيق وتناور باستخدام المصاطب الموجودة بالساتر الترابى وكان ذلك معناه التأثير على قواتهم التى ما زالت موجودة بالمدينة . . وتقرر تدميرها . . فتسللوا وأطلقوا عليها قذيفة آر . بى . جى . أصابتها فى غطاء المحرك من الخلف دون أن تؤثر عليها . . وصنع صف ضابط من طاقيته قنبلة مولوتوف وتقدم من الدبابة وأشعل النار فى غطاء رأسه وألقاه على محرك الدبابة ولم يتحقق الهدف . . وكانت المحاولة الثالثة أن تسلق رجل الدبابة وفتح باب البرج وألقى بداخلها قنبلة « سرمايت » وقفز قبل أن تنفجر الدبابة بمن فيها . . وسمع الرجال وهم فى الدشمة إشارات استغاثة يرسلها العدو من الموقع إلى قيادته لنجدته . . ودفع القائد المصرى بعناصر أخرى من السرية الثالثة للهجوم على النقطة . . وتمكنت هذه العناصر من اقتحام النقطة من اتجاه اليمين بالتعاون مع مجموعة

القطع فى هذا الاتجاه. وتمكنت هذه المجموعة بعد نفاد ذخيرتها من الاستيلاء على مدفع ماكينة عيار نصف بوصة من نقطة الملاحظة واستخدموه فى قصف مواقع العدو التى احتمى بداخلها .

ولجأ القائد زغلول إلى نيران الإزعاج بصفة مستمرة ليلا ونهاراً لخفض روح العدو المعنوية وسقطت فوق الموقع عشرات وعشرات من القذائف عيار ١٣٠مم وهاون ٢٤٠مم . وطبق القائد خطة الحرب النفسية وبدأ يذيع على العدو بواسطة المكبرات الصوتية أن موقفهم ميئوس منه تماماً . . فهم محاصرون . . والقوات المصرية تقدمت فى سيناء واستولت على كل النقط الحصينة وأنشأت رأس كوبرى صلب تحطمت عليه كل الهجمات المضادة . واستمر القائد فى اتباع هذا الأسلوب مع الضغط بالنيران من قوات الحصار التى أطبقت على النقطة من كل الأجناب وتمكنت من دخولها من الأمام واليمين . . ومن القوة الموجودة غرب القناة وكان رد العدو على أسلوب الحرب النفسية قصفات شديدة بالنيران من جميع الاتجاهات خلال اليوم الأول . وبدأ رد العدو يتراجع باستمرار حتى توقف عن الرد بالنيران تماماً . . وكان هذا التراجع معناه انهيار متواصل فى الروح المعنوية . . وحاول العدو استخدام قواته الجوية لحماية النقطة من السقوط فقصف بورتوفيق قصفاً مركزاً . . وكان للعدو محاولة أخرى محدودة الإلحاق خسائر بالقوة الموجودة فى بورتوفيق . . اعتمدوا فيها على استخدام إحدى الدبابات الثلاث التى أصيبت وهى تحاول دخول النقطة من اتجاه اليسار خلال الساعات الأولى للقتال . . فكان طاقم يتسلل داخلها ليلا لقصف بورتوفيق واكتشفت القوة المحاصرة الخدعة . . فأعدوا كميناً حتى إذا تسلل الطاقم دمروا الدبابة وهم بالداخل . وزادت أعداد الإشارات للاستغاثة . . وأخيراً قررت النقطة الاستسلام يوم ١٢ أكتوبر . . وتم التسليم يوم ١٣ أكتوبر .

الاستسلام :

واستسلم موقع العدو الحصين فى لسان بورتوفيق ، وكانت المرة الأولى فى تاريخ المعارك بين مصر وإسرائيل أن يستسلم موقع إسرائيلى حصين بأفراده وقادته .

ففى تمام الساعة الحادية عشرة والنصف وصل السيد « دك » مندوب الصليب



الإستسلام

الأحمر الدولى من القاهرة فى أتوبيس خاص ومعه مجموعة من مراسلى الصحف والإذاعة والتليفزيون العالميين وبعض ضباط الاتصال بالقوات المسلحة .

وفى الضفة الغربية وأمام الموقع الإسرائيلى تقدم « دك » ومعه مترجم للغة العبرية من رجال القوات المصرية المسلحة .

وكان مندوب الصليب الأحمر ممسكاً فى يده راية الصليب الأحمر ونادى عن طريق المترجم على القائد الإسرائيلى بأنه أتى ليصحبه إلى الاستسلام وطلب منه أن يظهر فوق سطح الحصن ومعه الراية البيضاء ، وبعد قليل ظهر الضابط الإسرائيلى وبيده الراية البيضاء التى كان قد صنعها من ملاءة بيضاء وكان من حوله ١٠ أفراد . ثم استقل مندوب الصليب الأحمر قارباً مصرياً إلى الضفة الأخرى وعاد بعد نحو ثلث ساعة وبصحبته الضابط الإسرائيلى الذى يقود الموقع ومعه ضابط آخر على ذراعه شارة بيضاء تفيد أنه طبيب .

كان الطبيب الإسرائيلى يمشى متخاذلا وقد وضع يديه فى وسطه بينما كان يمضغ قطعة من « اللبان » .

وقال له الضابط المصرى قائد الوحدة على الفور بالإنجليزية « انتباه » وعلى الفور امتثل القائد الإسرائيلى وأعلن الضابط الإسرائيلى استسلامه للقائد المصرى ، وأشار إلى أن فى الحصن ٤٢ من بينهم ٥ جثث ، ١٥ جريحاً بعضهم فى حالة خطيرة ، وتم فى الحال تدبير رجال الإسعاف والأطباء المصريين اللازمين لاستقبال الجرحى والأعداء المستسلمين .

وتلا ذلك نقل أفراد العدو على دفعات من الحصن إلى شاطئ بورتوفيق وحمل ٤ منهم على ناقلات إلى سيارة إسعاف ، وقدم للآخرين المياه وطلب بعض الجنود الإسرائيليين سجائر فقدمت لهم ، ومع عودة الضابط الإسرائيلى إلى منصة الاستسلام رفع العلم المصرى على الحصن فصفق جميع أفراد الوحدة والحاضرون وأنشد الجنود « بلادى بلادى » وهتفوا بحياة مصر وحريتها . وخلال عملية الاستسلام اتجهت أنظار الجنود المصريين وأسراهم الإسرائيليين إلى السماء حين أصاب صاروخ مصرى طائرة إسرائيلية فوق الموقع فانفجرت الطائرة لتصبح كتلة نار ودخان .



أسرى موقع لسان بور توفيق . . . لأول مرة يستسلم لهم موقع

كانت قواتنا قد اقتحمت الموقع يوم السبت ٦ أكتوبر أول أيام القتال وحاصرته من كل الجوانب ، وكان رجالنا قد دمروا دبابات الموقع الخمس وهاوناته الستة ومجموعات مدافع الماكينة التى كانوا قد أقاموها من حول الستائر على حين بقى الجنود قابعين داخل الدشم .

وكان من بين الذى تم الاستيلاء عليه من معدات العدو جهاز لاسلكى التقطت قواتنا عليه إشارات استغاثة من قائد الحصن يطلب فيها من قيادته السماح له بالاستسلام بعد أن قطعت عليه القوات المصرية كل المنافذ ولم يعد أمامه سوى انتظار الموت ، وكان مضمون رد القيادة الإسرائيلية على قائد الحصن أنهم سيبلغون الصليب الأحمر الدولى رسمياً للإشراف على استسلامه للقوات المصرية .

وحصن لسان بورتوفيق هو الذى استخدمه العدو فى ضرب مدينة بورتوفيق ومنه تمكن من ضرب مناطق الزيتية ومصنع السماد ومناطق كثيرة فى مدينة السويس ، وفى نفس الوقت كان يسد المدخل الجنوبى للسويس من ناحية الخليج .

ويتكون الحصن من ٦ دشم متكاملة ويشغل مساحة هامة من اللسان البالغ طوله ٣ كيلومترات ويتراوح عرضه بين ٧٥ ، ٢٠٠ متر عند مواجهته لمدينة بورتوفيق ، وقد أسرت قواتنا باستسلام الموقع الحصين خمسة من الضباط و٣٢ من ضباط الصف والجنود بكامل أسلحتهم ومنها ٣ دبابات باتون .

وبسقوط الحصن واستسلامه فى تمام الساعة الثانية عشرة والنصف يكون قد اكتمل سقوط كل مواقع خط بارليف على امتداد قناة السويس .

وبقى موقع بورفؤاد المقام فى الملاحات .

* فى الساعة الثانية إلا عشر دقائق ظهر يوم ١٣ أكتوبر هاجمت سريتا دبابات قواتنا فى موقع كبريت شرق .

* عندما حاولت خمس عربات نصف جنزير إسرائيلية الإفلات من مضيق سدر من الشرق إلى الغرب قام بعض أفراد الصاعقة بالهجوم عليها واقتحامها ، وأسفر الاشتباك عن القضاء على العربات الخمس برجالها .

* وفى الساعة الثامنة صباح يوم ١٣ أكتوبر قام العدو بهجوم مضاد بقوة سريتى

دبابات ضد مواجهة اللواء الخامس مشاة من الفرقة ١٩ مشاة .

* ازداد نشاط مجموعات استطلاع وتخريب العدو التى قام بإبرارها غرب قناة السويس بالهليكوبتر .

* تناقص حجم المجهود الجوى الإسرائيلى على الجبهة المصرية بعد يوم ١٠ أكتوبر ، فقد وصل يوم ١٠ أكتوبر إلى حوالى ٤٥٠ طلعة طائرة منها ٩٥٪ نهاراً .

ويوم ١١ أكتوبر تناقص عدد الطلعات إلى ١٨٠ طلعة طائرة منها ٨٠٪ نهاراً .

ويصل يوم ١٠/١٢ إلى حوالى ٢٥٠ طلعة طائرة منها ٨٠٪ نهاراً .

ويبلغ عدد الطلعات يوم ١٠/١٣ حوالى ١٧٠ طلعة طائرة منهـا حوالى ٧٥٪ نهاراً .

* يوم ١٣ ظهرت طائرة استطلاع أمريكية من طراز س . ر ٧١ قامت بطلعة استطلاع غطت الجبهة بالكامل من بورسعيد ونزلت حتى الإسماعيلية والسويس ومرت على مطاراتنا فى الغرب ووصلت إلى القاهرة وغرب القاهرة وفوق الدلتا ورجعت من الغرب إلى الأسطول السادس .

كانت هذه الطلعة إيذاناً بأن هناك شيئاً .

وكانت بعض الأسلحة قد بدأت تصل إلى العدو وبدأ يستعيد كفاءته .

* وصلت قوات من الصاعقة إلى كثيب السالكة ، جنوب غرب الطاسة بثلاثة كيلومترات ، واشتبكت مع قوات العدو فى قتال تعطيلى بالمنطقة تمهيداً لمعركة التطوير المقرر لها أن تبدأ صباح ١٤ أكتوبر .

المرحلة الثانية

اليوم التاسع للقتال يوم ١٠/١٤

تطوير الهجوم

عندما بدأ موقف سوريا يتأثر نتيجة للهجمات المضادة للعدو صدر قرار بتطوير الهجوم شرقاً لتخفيف الضغط على سوريا . .

وتلقى القادة الميدانيون تعليمات الهجوم خلال يومى ١٢ و ١٣ أكتوبر على أن يتم تنفيذها يوم ١٤ أكتوبر . .

وفى التوقيت المحدد فى الخطة تقدمت فرقة مدرعة ولواءان مدرعان ولواء مشاة ميكانيكى ، أى ما يعادل ٥٠٠ دبابة بالهجوم فى كل الاتجاهات شمال ووسط وجنوب ضد قوات العدو . . لجذب طيران العدو وتخفيف الضغط على سوريا . .

كان هدف تطوير الهجوم الاستيلاء على النسق الثانى لخط بارليف الواقع شرق رؤوس الجسور المصرية بحوالى ١٥ كيلومتراً والممتد بامتداد المنطقة شرق القناة والوصول إلى المداخل الغربية لممرى متلا والجدى ، من هذا الخط كان العدو يوجه هجماته المضادة ضد قواتنا وكان معنى الاستيلاء عليه ارتداد قوات العدو شرق خط المضايق . .

والمفروض أن يتم الاستيلاء على مواقع الخط الثانى الحصينة بالمشاة بعد نجاح المشاة فى الاستيلاء على النقط الحصينة لخط بارليف الموجودة على القناة وكان هذا يتعارض مع ضرورة الإبقاء على قوة رؤوس الكبارى المصرية كما هى دون تعريضها للضعف وأن تخرج قوات أخرى من داخل هذه الجسور لتطوير الهجوم على ألا تكون من فرق المشاة الخمس واتجه التفكير إلى استخدام المدرعات للاستيلاء على الخط الحصين الثانى مع ما يمثله ذلك من مخالفة لمبدأ عدم استخدام المدرعات فى الهجوم على النقط الحصينة . .

وكان العدو يتوقع مثل هذا التطوير كمرحلة ضرورية لقوات حققت المبادأة وإلا تخلت بإرادتها عن هذا العامل الهام لعدوها . .

واستطاع العدو أن يحقق مفاجأة تكتيكية بالحصول على سلاح جديد واستخدامه أثناء القتال . .

وكان هذا هو الصاروخ (تو) المضاد للدبابات كما استخدم العدو ستائر مضادة للدبابات والصواريخ المضادة للدبابات من طراز س . س ١٠ و س . س ١١ والهليكوبتر المزودة بصواريخ مضادة للدبابات . .

وأصبح واضحاً أن الأسلحة الأمريكية وصلت فعلا وبدأ العدو فى استخدامها وقد وصلت معلومات إلى أجهزة القيادة بأن الأسلحة تصل إلى مطار العريش ومنه إلى أيدى قوات العدو مباشرة وخسرت القوات خلال هذا اليوم ما يقرب من ١٨٠ دبابة . .

بعد قصف جوى ضد الأهداف الهامة وتمهيد مدفعى بقوة نيران قوامها ٤٨ كتيبة

مدفعية تضم أكثر من ٥٠٠ مدفع من مختلف الأعيرة استمر لمدة ١٥ دقيقة وضربة صواريخ أرض / أرض متوسطة المدى ضد مراكز الإعاقة الإلكترونية ومراكز القيادة والسيطرة. بدأ الهجوم المصرى فى الساعة السادسة والنصف صباحاً . .

ودفع الجيش الثانى الفرقة ٢١ المدرعة – عدا لواء – بقوة لواءين مدرعين فى اتجاه الطاسة ودفع لواء مدرعاً مستقلا فى اتجاه المحور الشمالى ودفع الجيش الثالث لواء مدرعاً مدعماً بكتيبة مشاة ميكانيكية فى اتجاه ممر متلا كما دفع لواء ميكانيكيًّا فى اتجاه ممر الجدى . .

وقد كبدت القوات المصرية التى قامت بالتطوير العدو خسائر فادحة وإن تمكنت قوات العدو من وقفها فى محلاتها وصدر القرار لها بدخول منطقة رؤوس الكبارى لتدعيمها . .

وتحقق هدف تطوير الهجوم بتخفيف الضغط على سوريا بجذب قوات العدو الجوية وبعض احتياطياته البرية . .

وهناك بديهية تقول إن المهاجم يحتاج إلى ثلاثة أضعاف القوة المدافعة ليكون أمامه فرصة لتحقيق النجاح . . وكنا نهاجم والتفوق أساسا للعدو المدافع . .

بدأ الهجوم بضربة جوية وتمهيد مدفعية وصواريخ أرض / أرض متوسطة المدى . .

وعندما اندفعت القوات المدرعة ووجهت بمقاومة عنيفة جداًّ من جانب العدو . .

وكانت الخسائر كبيرة جدًّا فى الجانبين وبرغم الخسائر الفادحة فقد استمرت قواتنا فى الاستبسال والإصرار على التقدم واكتساب الأرض وتدمير العدو .

وأثناء الهجوم استشهد اثنان من قادة اللواءات المدرعة وتأكدت القيادة المصرية فى نهاية اليوم من عدم جدوى الاستمرار فى الهجوم خاصة بعد تحريك العدو احتياطياته فى اتجاه سيناء وتخفيف الضغط على الجبهة السورية . .

وبلغ حجم المجهود الجوى للعدو ٣٠٠ طلعة خصص منها ٢٢٠ طلعة لمهاجمة وحداتنا المدرعة شرق القناة كما هاجم مطاراتنا فى الصالحية وطنطا والمنصورة . .

وتقرر دعم رؤوس الشواطئ المصرية بالوحدات المدرعة التى اشتركت فى الهجوم وأن يتم إعادة التجميع داخل الرؤوس ، واعتباراً من ليلة ١٥ و١٦ أكتوبر بدأت

إسرائيل فى العمل الجوى بعد أن انتقل لها زمام المبادأة فدفعت عناصر ومفارز للضفة الغربية لقناة السويس لإنشاء رؤوس كبارى غرب القناة . .

من معركة الفرقة ٢١ المدرعة :

صباح يوم التطوير اندفع لواءان مدرعان من الفرقة فى اتجاه «الطاسة» ووجهت مدرعات الفرقة بنيران كثيفة من لحظة بدء الهجوم . . وكان واضحاً للقادة أن العدو كان فى انتظارهم ومع ذلك وبرغم ارتفاع الخسائر واصل الرجال تقدمهم فى محاولة اكتساب مزيد من الأرض وصولا إلى الهدف والضغط على العدو لإجباره على التخلى عن مواقعه لم يكن لديهم كبير أمل فى تحقيق هذا الهدف ، فمع كل لحظة تزداد الخسائر..

ويبدو أن الهدف من التطوير كان بعيداً عن أن يتحقق ولم يتوقف أحد لأن رجال أكتوبر لم يعرفوا التراجع . . كان طريقهم للأمام دائماً . . تساقطوا شهداء واحترقت دباباتهم وتقدموا وألحقوا خسائر كبيرة بالعدو وأذاقوه طعم نيران الدبابات وتقدموا . . وسقط قائد لواء مدرع شهيداً ، بعدها سقط أكثر من قائد كتيبة وتقدموا . .

وكلما سقط شهيد تقدم عشرات ليرفعوا الراية بعده حتى وصلت أوامر القيادة بالتوقف والعودة إلى رأس الكوبرى لدعمه . .

معركة اللواء الثالث المدرع (من الفرقة الرابعة المدرعة)

دفع الجيش الثالث اللواء المدرع من الفرقة الرابعة المدرعة مدعماً بكتيبة مشاة ميكانيكية فى اتجاه ممر متلا وكان قد وصل إلى منطقة العرقوب على يمين الفرقة ١٩ المشاة ليلة ١٣ أكتوبر لتبدأ وحداته الصغرى فى اتخاذ أوضاع الهجوم استعداداً للتحرك فى إطار خطة تطوير الهجوم المصرى . . وطوال تقدم الرجال والدبابات والنيران من عيون موسى مخترقين وادى مبعوق والمر حتى وصولهم إلى الطريق العرضى رقم ٣ لم تعترضهم أية نيران معادية.

كان هدف اللواء الوصول إلى المدخل الغربى لممر متلا وكانت المعلومات التى توفرت بوسائل الاستطلاع تؤكد أن دبابات اللواء ستقطع المسافة بين منطقة الفتح ومدخل الممر خلال دقائق وأن العدو لم يكتشف نوايا الهجوم الجديد . .

وعندما بدأت الدبابات هجومها صباح ١٤ أكتوبر اعتمد القائد على أحد الأدلاء حتى يمكن لقواته أن تجد طريقها عبر المدقات والوديان وبرغم مرور بعض طائرات العدو فوق اللواء أثناء تقدمه فإن العدو لم يفتح نيرانه حتى هذه المرحلة .

وعندما وصلت دبابات اللواء إلى صحن الممر فوجئت بأول دانة تخرج من دبابة معادية . .

كان العدو قد شيد مرابض لدباباته فى المنطقة المواجهة وعلى أجناب المضيق مستفيداً من طبيعة الأرض المتدرجة الارتفاع إلى أعلى والتى تصل إلى حوالى ١٢ متراً فى الكيلومتر الواحد كلما اتجهنا شرقاً . .

كانت دباباتنا فى صحن المضيق وكانت وحدات مدفعية اللواء قد تعثرت نتيجة طراوة التربة وكانت قوات العدو تتمركز بالمنطقة المرتفعة . .

ومع هذا حولها العدو إلى معركة متحركة وتخلى عن مواقعه الحصينة ودار القتال محتدماً بين قواتنا وقوات العدو . .

استخدم العدو الصواريخ « تو » الأمريكية المضادة للدبابات والتى حقق بها مفاجأة تكتيكية خلال المعركة ، فكل من يستطيع أن يحصل على سلاح جديد ويستخدمه خلال سير القتال يحقق بذلك مفاجأة تكتيكية ، كما اشتركت فى المعركة الهليكوبتر المعادية المزودة بالصواريخ المضادة للدبابات . .

وعندما اقتربت الساعة من الثالثة بعد الظهر توقفت النيران واختار العدو أن يتخلص من المعركة على أن يحول بين قواتنا والاستيلاء على أرض جديدة نتيجة للخسائر التى لحقت به . .

ويوم ١٥ أكتوبر صدرت الأوامر للواء لتعديل أوضاعه بعد أن أمضى ليلة فى المواقع الجديدة التى وصل إليها بالنيران . .

وتعود الدبابات الخاصة باللواء إلى غرب القناة لتترك لوحدات الجيش الثالث شرقى القناة المحافظة على الأراضى الجديدة التى امتد إليها رأس الكوبرى نتيجة لتطوير الهجوم . .

معركة التبة ٩٦ الشهيرة بالبيت الإنجليزى :

تقع تبة البيت الإنجليزى فى المنطقة المواجهة لجنوب البلاح عند تقاطع طريق البلاح مع الطريق العرضى الثانى . .

وقد سميت بالبيت الإنجليزى لوجود منزل فوق التبة مشيد على الطراز الإنجليزى . .

تقدمت إحدى الكتائب للاستيلاء على التبة رقم ٩٦ وانطلقت إحدى السرايا . . لمهاجمة التبة رقم ٨٩ وقد أصر الشهيد البطل إبراهيم زيدان على قيادة السرية بنفسه برغم أنه لم يكن مشتركاً فى المهمة . .

لقد سبق أن حاولت قواتنا الاستيلاء على هذه التبة وشنت عليها عدة هجمات متتالية برغم القتال العنيف لم تنجح أى من هذه الهجمات . .

واستشهد خلال هذه المحاولات البطل محسن عجيبة ورفاق آخرون . .

وقاتل العدو فوق التبة مستتراً خلف مواقعه القوية لوقف الهجوم المصرى ، ولم يتوقف الهجوم واستمرت القوات المصرية تتقدم فى اتجاه قمة التبة تحت نيران العدو العنيفة وأصيب القائد إبراهيم زيدان بدفعة نيران من رشاش نصف بوصة ، ولكنه تماسك واستمر فى الصعود فى مقدمة رجاله ، وعندما زاد النزيف أمسك بجراحه بكل قوة وواصل التقدم على يديه ورجليه حاثًّا رجاله على التقدم بسرعة وعندما خارت قواه أخذ يصعد زحفاً . .

ونجح الرجال فى اقتحام الموقع بعد قتال شرس . .

واطمأن القائد إلى أن رجاله اتخذوا أوضاعهم على التبة بعد أن استولوا عليها ، فطلب جرعة ماء ونصحهم بالحفاظ على التبة وهتف « تحيا مصر » ونظر إلى السماء وارتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة ولفظ أنفاسه الأخيرة وانضم إلى قافلة الشهداء . .

وأطلق الرجال على هذا الموقع « تبة إبراهيم زيدان » وفى نفس الوقت كانت الكتيبة قد نجحت فى الاستيلاء على التبة رقم ٩٦ . .

* هاجمت القوات الإسرائيلية مجموعة من بلنصات الصيد فى مرسى رأس غارب .

النشاط الجوى

فى الساعة الثامنة وعشرين دقيقة مساء يوم ١٤ أكتوبر بدأت تشكيلات جوية كثيفة تضم نحو ٨٠ طائرة موزعة على ثلاث مجموعات تدخل المجال الجوى المصرى من ثلاثة اتجاهات . . من رأس البر وجمصة وبلطيم . .

كانت الطائرات تقترب على ارتفاعات منخفضة من ناحية البحر الأبيض المتوسط شمالا فى اتجاه الساحل والدلتا جنوباً وكانت كل مجموعة تضم عدة تشكيلات تطير بفاصل زمنى بين كل تشكيل والذى يليه . .

استطاعت نقاط المراقبة بالنظر اكتشاف الاقتراب الجوى المعادى وحددت فى بلاغاتها حجم العدو الجوى واتجاهات الاقتراب . .

وكان هدف العدو – بالضرورة – قصف القواعد الجوية والمطارات فى منطقة الساحل الشمالى والدلتا . .

وكانت خطة العدو زيادة عدد الطائرات المهاجمة إلى هذا العدد الكبير الذى وصل إلى ٨٠ طائرة للهجوم على القواعد الجوية والمطارات الموجودة فى منطقة الساحل الشمالى والدلتا مرة واحدة وضمت هذه الطائرات القاذفات المقاتلة من طراز فانتوم . .

وقد تصور العدو أن مقاتلاتنا ستحاول صد الهجوم وستشتبك معها المظلة الإسرائيلية وستتاح الفرصة لباقى القاذفات المقاتلة لتحقيق الهدف ليس هذا فقط . بل لقد كانت هناك للعدو تشكيلات جوية أخرى تضم نحو ٦٠ طائرة موزعة على مجموعتين شمال شرق وشمال غرب بورسعيد فوق مياه البحر الأبيض المتوسط على ارتفاعات منخفضة ومتوسطة وتتراوح بين ٥٠٠ متر و ٣٠٠٠ متر . .

كانت المجموعتان تنتظران نجاح الهجمة الجوية الكثيفة لتقتربا من قواعدنا الجوية ومطاراتنا وأهدافنا الحيوية لقصفها وكانت هذه التشكيلات تضم أيضاً قاذفات مقاتلة من طراز فانتوم بعضها يعمل كمظلة للحماية . .

ورأى المخطط الجوى الإسرائيلى أن مخططه سيتحقق له النجاح ، فالمظلة الجوية

ستستطيع خلال القتال الجوى أن « تؤدب » المقاتلات الاعتراضية المصرية وستتاح الفرصة للطيارين الإسرائيليين للانتقام لضحاياهم وخسائرهم خلال الأيام السابقة . . وفى أثناء القتال الجوى ستتمكن القاذفات المقاتلة من قصف القواعد الجوية والمطارات . . ونجاح الفانتوم فى قصف القواعد الجوية والممرات سيؤثر على سير المعركة الجوية لصالح القوات الجوية الإسرائيلية . . لأن إقلاع المقاتلات المصرية أو عودتها إلى قواعدها سيكون أمراً عسيراً . .

هكذا تصور العدو ، ، ،

ومع اقتراب تشكيلات العدو الجوية من السماء المصرية بدأت القيادة فى إحدى القواعد الجوية الأمامية توجيه المظلة الجوية الموجودة فى السماء بصفة مستمرة للاشتباك مع الأهداف المعادية ، وفى نفس الوقت دفعت تشكيلات أخرى من درجة الاستعداد الأراضى فى القواعد الجوية المنتشرة فى الدلتا لتعزيز المظلة وبعد ٩٠ ثانية كانت هناك تشكيلات جوية تنضم إلى المظلة . .

وكانت أول مقاتلات اعتراضية من طراز (ميج ٢١) تدخل اشتباكاً مع العدو من إحدى تشكيلات التعزيز التى أقلعت من إحدى القواعد الجوية الأمامية فى منطقة شمال الدلتا . . فبعد أن تلقت الأمر بالإقلاع من درجة الاستعداد الأرضى ، وخرجت من الدشم إلى الممرات وشقت طريقها إلى السماء تمكنت من مفاجأة أحد تشكيلات العدو الجوية المقتربة من القاعدة . .

وفوراً تفرقت طائرات التشكيل المعادى ، وتخلصت من حمولتها وخزانات الوقود الإضافية استعداداً لخوض قتال جوى . . وبدأت طائرات العدو تناور فوق المنطقة المحيطة بالقاعدة ، وبعد دقائق تمكنت مقاتلاتنا من إسقاط أول طائرة معادية خلال هذا الاشتباك وبعدها تمكنت باقى التشكيلات الجوية المصرية من استقبال العدو الجوى نتيجة كفاءة الموجهين الجويين . . وفى كل مرة يقترب أى تشكيل معاد كان يجد فى انتظاره المقاتلات الاعتراضية المصرية لمنعه من تحقيق هدفه . . واتجهت باقى التشكيلات إلى اتجاهات الاقتراب للاشتباك مع العدو قبل أن يصل إلى مناطق الهدف . .

وانقضت مقاتلاتنا تهاجم الفانتوم والميراج معاً حتى لا تتاح الفرصة لتنفيذ مهمتها . .

وبعد الدقائق الأولى بدأ واضحاً أن العدو يصر على مواصلة الاشتباك بعناد . . كان يتصور أنها اللحظة التى سيتمكن فيها من تأديب القوات الجوية المصرية . .

وبدأت طائرات العدو تتساقط . . وطالت المعركة . . وامتدت منطقة القتال الجوى من بورسعيد شرقاً حتى بلطيم غرباً على امتداد الساحل الشمالى ، وامتد الضلع الجنوبى من أبو حماد شرقاً حتى المنطقة حول طنطا وقويسنا والمحلة غرباً . . وأتيحت الفرصة للمواطنين فى هذا المربع الكبير لكى يتابعوا القتال الجوى الضارى ويشاهدوا طائرات العدو وهى تسقط محترقة أو محطمة . .

ونتيجه لتطور الاشتباكات بدأت القيادة التى تقود المعركة تصدر الأوامر بإقلاع تشكيلات جديدة للانضمام إلى القوات المشتبكة فى القتال الجوى . . وكانت القيادة تدفع بالتعزيزات طبقاً لحاجة المعركة . .

والقاعدة أن أى تشكيل يوشك وقوده على النفاد يجب أن يتم إخلاؤه وعودته إلى القاعدة فوراً . .

وهناك متابعة مستمرة لاستهلاك وقود كل طائرة فى أثناء الاشتباكات والطيران على الارتفاعات المختلفة . . ويقوم الموجهون بعملية حساب استهلاك الوقود لكل الطائرات بدقة متناهية لمعرفة موقف كل طائرة أولاً بأول وإبلاغ القائد به . .

كما يتم سحب الطائرات من القتال الجوى عند نفاد ذخيرتها . .

ومارست القيادة فن المناورة بالتشكيلات من القواعد والمطارات المختلفة من أجل تحقيق أكبر قدر من المرونة . . كان من الممكن لأى طائرة وأى تشكيل أن يهبط فى إحدى القواعد القريبة والمناسبة طبقاً لأوامر القيادة لإعادة التموين بالوقود وإعادة التسليح والعودة إلى الاشتباك فوراً . . ولقد كان نجاح القيادة فى أداء هذه المناورة سبباً فى استمرار المظلة الجوية المصرية فى السماء بصفة مستمرة وبنفس القدرة والكفاءة .

وكانت كل القواعد التى اندفعت منها التشكيلات لخوض القتال الجوى وصد هجوم العدو تعيش حالة من الحماس الشديد . . كانت الطائرات تعود فيتم إجراء الكشف عليها وتموينها بالوقود وتسليحها فى فترات زمنية قياسية لم تتحقق خلال فترات التدريب برغم كل الحوافز التى قدمتها القيادة . .

إن المهندسين والفنيين استطاعوا فى أثناء المعارك أن يحققوا ما لم يحققوه أثناء التدريب .
كان التشكيل يعود للإقلاع بعد فترة تتراوح بين ٦ ، ٧ دقائق من لحظة هبوطه . . واستطاعت القيادة أن تحتفظ بنسبة من الطائرات المقاتلة كاحتياطى مستعدة للإقلاع خلال دقائق لمواجهة مواقف المعركة المتغيرة .

ومرت الدقائق العشر الأولى . . ولم تنته المعركة . . وجاءت الدقائق العشرون والمعركة ما زالت مستمرة . .

سقطت طائرات العدو وما زال مستمراً فى القتال الجوى متوقعاً أن تتقطع أنفاس القيادة المصرية أو الطيران المصرى . .

فى نفس الوقت وجد الطيارون المصريون الفرصة لإذلال السلاح الجوى الإسرائيلى والنيل من الفانتوم الأسطورية السمعة . .

مضت ست سنوات والطيارون يعيشون فى الانتظار لقد قاتلوا بشجاعة وبسالة وشرف معركة ١٩٦٧ وسقط منهم شهداء أقلعوا بطائراتهم تحت القصف الجوى وهم يعلمون أنها رحلة من طريق واحد . .

وقاتل آخرون معارك يائسة ضد عدو حقق السيطرة ، أو بمعنى أدق . . السيادة الجوية منذ اللحظات الأولى للمعركة . . واستمروا بقدر طاقتهم وجهدهم ولم يهنوا . .

وكان هناك من يحملهم المسئولية وعاشوا الانتظار . .

لقد عاشوا الانتظار . . وها هى اللحظة والعدو نفسه يقدمها لهم .

كانت تشكيلات العدو تناور وتحاول الاستفادة من كل الميزات التى تتميز بها الفانتوم والميراج . . وكان الطيارون المصريون ، يبادرون مستغلين مميزات طائراتهم ورغبتهم العارمة فى الثأر والنيل من هذا العدو وكان الطيارون يعودون إلى قواعدهم للتزود بالوقود والسلاح ، ويعودون مرة أخرى لمواصلة الاشتباك ، وهناك من الطيارين من رفض مغادرة الطائرة فى أثناء إعادة الملء والتسليح .

أطول معركة جوية

واستطاعوا أن يسقطوا للعدو خلال الاشتباك الجوى الذى استمر حتى الساعة الرابعة وعشر دقائق ، أى خلال خمسين دقيقة ، ١٧ طائرة من طراز فانتوم بعدها انسحب العدو من المعركة وتخلص من الاشتباك وعاد فى اتجاه الشمال للعودة إلى قواعده . .

وعندما سألت القائد كم تساوى هذه الطائرات ؟ أخرج من حقيبته « مينى كومبيوتر » أى حاسب الكترونى صغير . . وبدأ يحسب ثم قال ٤٦ مليون دولار للطائرات بمعداتها وتجهيزاتها . . هذا بخلاف الطيارين والملاحين . .

وقد اشترى القائد هذا المينى كومبيوتر ليستخدمه فى إجراء الحسابات المعقدة خلال المعارك الجوية التى تحتاج فيها القرارات إلى السرعة . . فالثوانى قد تساوى حياة طيار وخسائر طائرة . .

وإذا كانت هذه نتيجة المعركة من جانب العدو فإننا أيضاً قد خسرنا ٦ طائرات ، ونجا كل الطيارين . .

وكانت أول معركة جوية تمتد وتستمر ٥٠ دقيقة . . وهذا رقم كبير جداً إذا عرفنا أن أطول المعارك لا تزيد على ١٠ أو ١٥ دقيقة . .

ومع ذلك فإنها لم تكن المعركة الطويلة الوحيدة فقد كانت هناك معركة طويلة أخرى استمرت لمدة ٤٥ دقيقة دارت فى اليوم التالى مباشرة . .

المرحلة الثالثة

اليوم العاشر للقتال يوم ١٥ / ١٠

الثغرة

بدأت القيادة الإسرائيلية تفكر جدياً فى اقتحام القناة والعمل داخل الخطوط المصرية غرباً فى أعقاب حرب الاستنزاف ونجاح مصر فى بناء شبكة صواريخ الدفاع الجوى . .

فقد نتج عن إقامة هذا الحائط إصابة السلاح الجوى الإسرائيلى بالعجز عن العمل

بحرية خاصة فوق القوات المصرية المحتشدة على امتداد قناة السويس ، ورأت القيادة الإسرائيلية أنها ستكون فى مأزق صعب إذا حدث واستؤنف القتال .

ولم تكن أفكار القيادة الإسرائيلية خلال هذه المرحلة تتعدى القيام بعملية محدودة لتحطيم جزء من شبكة الصواريخ لفتح ثغرة فى نظام الدفاع الجوى تستغلها القوات الجوية الإسرائيلية لتدمير باقى الشبكة والتخلص من حائط الصواريخ نهائياً ومن ثم تصبح القوات المصرية تحت رحمة الطيران الإسرائيلى . .

واهتم الجنرال أريل شارون بهذه الفكرة عقب تعيينه قائداً للجبهة الجنوبية واختار بنفسه مجموعات العمل . . وبلغ من اهتمام شارون أنه استكشف بنفسه مواقع العبور المحتمل واختار منها موقعاً عند نقطة الدفرسوار ، وأمر سلاح المهندسين ببناء منطقة تجمع للدبابات والمدرعات فى هذا الموقع وبتخفيف الساتر الترابى . . على القناة ليسهل فتح ثغرة فيه إذا جاء وقت تنفيذ العملية ويوضع علامات من الأحجار الحمراء هناك لتكون دليلا لقوة العمل . .

ويوم ١٤ أكتوبر ونتيجة إلحاح مستمر من شارون صدر له الأمر بالاستعداد لتنفيذ خطة الاختراق غرباً ، بعد أن طورها ليحقق بها أهدافاً استراتيجية بعد أن كانت خطة عمليات محدودة . .

ولم يكن من الممكن أن يصدر لشارون الأمر بالاستعداد لولا عبور الفرقة المدرعة المصرية رقم ٢١ القناة للاشتراك فى تطوير الهجوم الذى بدأ تنفيذه صباح ١٤ أكتوبر كانت هذه الفرقة تمثل احتياطيًّا استراتيجيًّا فى الغرب وكان وجودها غربا يشكل خطورة كبيرة على عملية الاختراق الإسرائيلية . .

ازداد حشد العدو فى سيناء ودفع خلال ليلة ١٤ / ١٥ أكتوبر باللواء المدرع ٤٢١ بالإضافة إلى لواء مظلات محمول على عربات مدرعة برمائية م ١١٣ على المحور الأوسط إلى منطقة الطاسة . .

وعندما توقف الهجوم المصرى وتقرر عودة القوات المدرعة للدخول فى رؤوس الكبارى لدعمها كان العدو يستعد للاختراق وبناء رأس كوبرى غرب القناة . .

وبدأ العدو فى شن هجمات مضادة مركزة ضد قواتنا وركز هجماته ضد قوات الجيش

الثانى فى منطقة الدفرسوار شمال البحيرات وهاجمت قوات العدو طوال يوم ١٥ أكتوبر وتحملت قدراً كبيراً من الخسائر ونتيجة لهذه الهجمات المستمرة توفرت لوحدة صغيرة الفرصة لعبور القناة ليلة ١٥ / ١٦ أكتوبر . .

بدأ العدو هجومه للوصول إلى القناة والعبور غرباً يوم الاثنين ١٢ أكتوبر خلال منطقة التمفصل بين قوات الجيشين الثانى والثالث عند الطرف الشمالى للبحيرة المرة الكبرى . .

واشترك فى هذا الهجوم ثلاثة ألوية مدرعة كان على أحدها شن هجوم لتحويل الانتباه على الجيش الثانى وبالتحديد على اللواء ١١٦ المشاة الموجود على الجانب الأيمن . . للفرقة ١٦ المشاة التى كان يقودها آنذاك العميد عبد رب النبى حافظ ، وكان هذا اللواء على الطرف الشمالى للثغرة . .

وكان على اللواء الثانى الإسرائيلى تأمين واحتلال منطقة العبور وتغطية عمليات العبور . .

أما اللواء المدرع الثالث فكان عليه أن يعبر من المنطقة المعدة سلفاً من شرق القناة إلى غربها . .

وابتدأ العدو فى إدخال كتيبة دبابات إثر كتيبة دبابات ، ثم لواء مدرع فى أعقاب لواء مدرع وبإصرار لاختراق التمفصل إلى غرب القناة فى هذا القطاع . . وفعلا نجح ، ووصل بقوة صغيرة وتسرب جزء منها من منطقة شمال البحيرات وبدأ فى إنشاء رأس كوبرى غرب القناة . . وقد حقق العدو هذا النجاح . فى إطار خطة أعدها لشغل قواتنا شرق القناة وإجهادها بهجمات مضادة بمجموعات سرايا دبابات مدعمة بالمشاة الميكانيكية على طول المواجهة مع دعمها بنيران المدفعية والطيران ، وتحمل العدوقدرا كبيراً من الخسائرفى قواته المهاجمة لتحقيق هدفه من الهجوم . .

وكان هدفه من الهجوم على الجانب الأيمن للفرقة ١٦ المشاة إزاحتها شمالا فى اتجاه الإسماعيلية . .

وخلال الليل تسللت مجموعة قتال إسرائيلية صغيرة تحت ستر قتال القوات الإسرائيلية وعبرت قناة السويس فى منطقة شمال البحيرات المرة والدفرسوار .

وكان اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى قد أصيب بنوبة قلبية ونقل من مقر قيادته إلى المستشفى صباح يوم ١٤ أكتوبر يوم تطوير الهجوم وتولى رئيس اركانه القيادة إلى أن عين

اللواء عبد المنعم خليل قائداً للجيش الثانى مرة أخرى . . فقد كان قائداً لهذا الجيش من قبل . .

وعندما اكتشف رئيس أركان الجيش الثانى هذا التسلل يوم ٦ أكتوبر لم يخطر القيادة العامة على أساس أنه تسلل بسيط هو قادر على التعامل معه . .

وعندما ذهب وزير الحربية إلى مجلس الشعب مع الرئيس السادات يوم ١٦ أكتوبر لم يكن يعلم عن هذا التسلل شيئاً . .

وعندما أبلغت القيادة العامة بالموقف كانت المعلومات التى تصلها متضاربة ولم تكن هناك معلومات مؤكدة عن مواقع دبابات العدو واتجاهات عملها . .

وكنتيجة لتركيز العدو هجماته اعتباراً من يوم ١٥ أكتوبر على الجانب الأيمن للفرقة ١٦ فقد نجح فى احتلال النقطة القوية فى تل سلام التى كان قد هجرها ثم احتل النقطتين فى الدفرسوار شرق القناة اللتين دمرتهما قواتنا قبل إخلائهما . .

وبعد وصول العدو إلى غرب القناة مباشرة لجأ إلى الاختفاء داخل المنطقة المشجرة حتى لا يشعر به أحد . ثم مالبثت القوة الإسرائيلية أن كبرت وازداد عدد دباباتها حتى وصل الرقم إلى ٣٠ دبابة . .

وبدأت الثغرة تتسع . .

ولجأ العدو إلى أسلوب حرب العصابات بالدبابات وهو أسلوب جديد على قواتنا التى تعاملت معها . . فقد كانت تكتشف باستمرار أنها تهاجم قوة غير موجودة . . وحدث نوع من الخلل فى كفاءة تنفيذ المهام لتدمر قوات العدو . .

ونجح شارون عن طريق هجماته بالدبابات فى الضفة الغربية فى فتح ثغرة فى نظام الدفاع الجوى المصرى ، الأمر الذى مكن القوات الجوية الإسرائيلية من القيام بغارات جوية بحرية لأول مرة منذ بدء القتال . .

نشبت معركة عنيفة فى الثغرة نفسها وهى المعروفة بمعركة قرية الجلاء أو معركة المزرعة الصينية كما يطلق عليها العدو مع ازدياد حدة الهجمات المصرية من كلا الجيشين ، ولكن هذا لم يحدث إلا فى مساء يوم الثلاثاء ١٦ أكتوبر أى بعد فوات الأوان فعلا لمنع إقامة رأس الكوبرى الإسرائيلى . .

وصدر قرار بإغلاق الثغرة من منطقة تمفصل الجيشين الثانى والثالث شرق القناة بـ لواءين مدرعين ، لواء من الجنوب من الجيش الثالث ولواء مدرع من الشمال من الجيش الثانى . .

وكانت الخطة أن يهاجم كل لواء من اتجاه . . الأول من الجنوب فى اتجاه الشمال والثانى من الشمال فى اتجاه الجنوب على أن يلتقيا فيتم إغلاق الثغرة

وكانت خطة القيادة لتقضى على قوات العدو فى الغرب تعتمد على حصاره فى أضيق مساحة من الأرض وإغلاق طريق الإمداد فى الشرق بواسطة هذا الهجوم . .

وعندما بدأ تنفيذ الخطة يوم ١٧ / ١٠ نجحت قوات الجيشين التى خصصت للهجوم فى الوصول إلى مسافة ٤ كيلو مترات خلال معارك رهيبة . .

وتمكن العدو من دفع مزيد من القوات غرباً بعد أن فشلت القوات المصرية فى إغلاق الثغرة شرقاً . .

واشتركت فى ضرب العدو بالمنطقة القاذفات المقاتلة والقاذفات المحملة بالصواريخ

وعرفت حجم الخسائر للعدو من طيار أصيبت طائرته وهبط بالمظلة فى المنطقة ووقع فى الأسر وأفاد بأنه وقع على جثث العدو فى المنطقة التى ظلت هليكوبترات العدو تحملها باستمرار فى رحلات متصلة . .

ولم تترك القيادة شيئاً لسد هذه الثغرة وتدمير قوات العدو لم تقم به . .

ومع هذا نجح العدو فى دخول منطقة جبلية فى غرب فايد وبدأ يتعمق جنوباً . .

وبحلول ميعاد الوقف الأول لإطلاق النار فى الساعة ١٩٢٢ يوم الاثنين ٢٢ أكتوبر فإن قوات العدو لم توقف تحركاتها ولم تلتزم به واندفعت جنوباً فى اتجاه السويس وميناء الأدبية لاستكمال خطة تطويق الجيش الثالث شرق القناة وبحلول الموعد الثانى لوقف إطلاق النار فى الساعة ٧٠٠ يوم ٢٤ أكتوبر كانت قد وصلت جنوباً حتى ساحل خليج السويس . . عند الأدبية وقطعت طريق السويس القاهرة وسيطرت على منطقة تمتد حوالى ٢٠ ميلا غرب القناة . .

وكان العدو قد نجح فى إقامة جسر من الإمداد بين العريش والدفرسوار نتيجة تدفق الأسلحة الأمريكية ، وكان هذا من أهم العوامل التى شجعته على المضى فى تنفيذ خطة الاختراق . .

كانت الدبابات تصل إلى العريش فتسلم إلى طاقم من الاحتياطى أو من اللواءات المدرعة التى دمرت خلال المعارك ويعاد تشكيلها ثم تتحرك جنوباً فى اتجاه الدفرسوار وفى بعض الأحيان كانت الدبابات تصل إلى غرب القناة خاصة إلى مطار فايد بواسطة الهليكوبتر لإحلالها مكان الدبابات المصابة . .

ولم تكن الدبابات هى السلاح الوحيد أو المعدة الوحيدة . . كانت هناك العربات المدرعة والصواريخ المضادة للدبابات وقطع المدفعية و . . . و . . . بالإضافة إلى أطنان من الذخيرة .

وخطة الاختراق الإسرائيلى غرب القناة تعتبر أسلوباً تقليديًّا للفكر العسكرى الإسرائيلى طبقه خلال معاركه المتعددة مع العرب والذى يعتمد على الاندفاع والالتفاف والتطويق وقطع طرق الانسحاب لإصابة القيادة المصرية بالارتباك مما يؤدى فى النهاية إلى تحقيق الأهداف المبتغاة برغم مافى هذا الأسلوب من مخاطر . .

ولوضع هذا الأسلوب موضع التطبيق فعليه أن يختار بين ثلاثة اتجاهات يمكن أن يتحقق منها الاختراق من الجانبين أو من الوسط إذا كانت هناك ثغرة بين جيشين أو بين قوات صديقة وهى ما يطلق عليها نقطة التمفصل . .

ويتضمن التاريخ العسكرى كثيراً من عمليات الاختراق والوصول خلف القوات من أهمها الهجوم الألمانى المضاد عام ١٩٤٤ الذى نفذ الاختراق من الثغرة الموجودة بين الجيشين الأول والثالث الأمريكى فى منطقة الأردن . .

وقد نجح الاختراق وشكل نقطة غير مضيئة فى تاريخ الجنرال عمر برادلى قائد مجموعة الجيوش الموجودة فى المنطقة . .

ونجح الجنرال شارون فى حشد قوات الهجوم فى مواجهة المنطقة التى تفصل بين الجيش الثانى شمالا والجيش الثالث جنوباً وكان الحشد شرق ممر الجدى .

وبدأ الهجوم المضاد على الجيشين الثانى والثالث خاصة على الجانب الأيمن للجيش الثانى والجانب الأيسر للجيش الثالث جانبى نقطة التمفصل لمنع هذه القوات من التدخل بفاعلية ضد محاولة الاختراق وفى نفس الوقت بدأت المحاولة الإسرائيلية للوصول إلى غرب القناة . .

وقد كنت مع اللواء أحمد بدوى قائد الفرقة ٧ المشاة عندما تلق بلاغا عن نجاح ٩ دبابات فى الوصول غرب القناة فى نفس الوقت الذى تجمعت لديه المعلومات عن حشد معاد على جانبه الأيسر استعداداً لهجوم مضاد جديد . .

وكانت هذه الدبابات طليعة قوات الاختراق بعدها نجح العدو فى زيادة العدد إلى سرية وواصلت قوات شارون دعم قواتها فى الغرب مع بدء عملية إنشاء كوبرى عسكرى شمال نقطة الدفرسوار التى اختيرت كمنطقة للاختراق . .

ونتيجة لوجود الفرقة المدرعة شرقاً التى كانت تعمل كاحتياطى ونسق ثان للهجوم بدأت وحدات شارون فى تذوق طعم النجاح . .

واحتلت قوات شارون مطار فايد واستخدمته كمركز قيادة ونقطه إمداد . .

وبرغم تحمل قوات الاختراق الإسرائيلية لخسائر كبيرة كافية للتراجع عن تنفيذ المهمة والانسحاب شرقاً إلا أن هذا الأمر لم يكن مطروحاً نتيجة للظروف السياسية والعسكرية . .

فلم يكن ممكناً أن تتحمل المؤسسة العسكرية فشل هجومها المضاد للوصول غرباً خلف قواتنا ولا أن يتحمل الرأى العام الإسرائيلى هزيمة جديدة ولا هذا القدر الكبير من الخسائر دون ثمن معقول . .

كما أن هذه الهزيمة كانت ستدعم مركز القوة المصرى وتجعله فى موقف يسمح له بإملاء الشروط . .

وعلى هذا قررت القيادة الإسرائيلية مواصلة العمل بهذا الحجم الهائل من الخسائر على أمل أن يتحقق بعض أهداف هذه المحاولة . .

وقد التقطت أجهزة التصنت المصرية سيلا من الشتائم المتبادلة بين الجنرال شارون قائد قوة الاختراق والجنرال أبراهام أدان قائد المنطقة الجنوبية والذى عين خلفاً للجنرال جونين . .

وبعدها تبادل القادة الإسرائيليون الشتائم على صفحات الجرائد والمجلات . .

* قام العدو بهجوم مضاد بقوة كتيبة دبابات ضد الجانب الأيسر للفرقة الثانية المشاة . .
* وجه العدو هجومين مضادين متتاليين . الأول بقوة سرية دبابات والثانى بقوة كتيبة دبابات ضد منتصف مواجهة الفرقة ١٦ مشاة . .
* فى الساعة السادسة والنصف مساء يوم ١٥ أكتوبر قام العدو بالهجوم على مواجهة

الفرقة السابعة المشاه بقوة كتيبه دبابات . . .

وحاول العدو دفع ٤ دبابات استطلاع نصف جنزير ودبابتين لجس الدفاع فى مواجهة اللواء الخامس المشاة فاصطدم بكمين سبق إعداده . .

ودارت معركة قصيرة أسفرت عن تدمير الدبابتين وبعض العربات المدرعة . .

وبعد أن نجح العدو فى الاختراق والوصول غرباً قامت وحدات المهندسين العسكريين بسحب الكبارى شمالا إلى بحيرة التمساح حتى لا يقع أحدها فى يد العدو وحتى لا تكون وسيلة تزيد من معدل تدفقه غرباً . .

وكان هناك كوبرى بالكامل تحت الساتر الترابى أى شرق القناة لحمايته من القصف المدفعى وبواسطة لنش قام القائد بسحب الكوبرى يوم ١٥ / ١٠ . .

كما استطاع الرجال سحب كل العربات المخصصة لحمل أجزاء الكبارى فى اتجاه القاهرة حتى لا تقع فى يد العدو وتمكنت وحدات المهندسين أيضاً من سحب كل المعدات من منطقة الثغرة قبل أن تقع فى يد العدو . .

ومرة أخرى وبقرار من القيادة العامة تدفع الكتيبة ٣٨ (فهد) من لواء اقتحام جوى بعد إعادة تجميعها لصد محاولة العدو الاختراق من منطقة فايد . .

كان العدو قد حشد قواته فى منطقة تل سلام للاختراق من منطقة فايد التى تدافع عنها القوات الفلسطينية « عين جالوت » وكتيبة صاعقة كويتية . .

وبدأت أطقم الكتيبة المسلحة بصواريخ موجهة مضادة للدبابات فى اتخاذ مواقعها لصد دبابات العدو التى نجحت فى الاختراق . .

واستطاعت الأطقم الـ ٢٤ أن تدمر للعدو ٨٦ دبابة وكان الثمن عدداً كبيراً من الشهداء ولم يبق من هذه الأطقم سوى طاقم واحد . .

النشاط الجوى

معركة جوية لمدة ٥٠ دقيقة

قبل أن تمضى ٢٤ ساعة على معركة الـ ٥٠ دقيقة ، عاد العدو الجوى لتكرار المحاولة التى فشلت بالأمس . .

عندما أشارت الساعة إلى الثانية عشرة وعشر دقائق ظهر تشكيلان للعدو أحدهما على ارتفاع ٤ كيلو مترات وبدأ واضحاً من خط سير الأهداف المعادية على شاشة الرادار أنها تتجه لناحية إحدى القواعد الأمامية فى منطقة شمال الدلتا . .

كان العدو يسلك نفس الطريق الذى سلكه بالأمس ويقترب من اتجاه البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى الساحل الشمالى والدلتا جنوبا . .

ومثلما حشد العدو مجموعتين أخريين بالأمس شمال شرق وشمال غرب بور سعيد انتظاراً لنجاح التشكيلات الأولى فى تأدية مهامها ، حشد عدة تشكيلات جوية على ارتفاعات منخفضة ومتوسطة فى مجموعتين فى اتجاه رأس البر . .

وكذلك دفع العدو ما بين ٦٠ و ٨٠ طائرة للهجوم على القواعد الجوية التى فشل فى الهجوم عليها بالأمس وكان له فى منطقة الانتظار مثل هذا العدد وقد كانت تشكيلاته مكونة من قاذفات مقاتلة من طراز فانتوم . .

وكان واضحاً أن العدو لم يقتنع بفشله بالأمس . . وإذا كانت محاولته النيل من القوات الجوية المصرية وتأديبها لم تنجح فإنه تصور أنه قادر على النجاح عند تكرار المحاولة . .

ومازال هدفه منع القوات الجوية من الاشتراك فى المعركة ، لذلك كان كل همه هو « كسر شوكة » الطيارين المصريين الذين ارتفعت معنوياتهم بفضل النتائج التى حققوها منذ بدء العمليات وإعادة الهيبة للسلاح الجوى المصرى . .

وأتت محاولة ثانية للهجوم بمثل هذه الأعدادالكبيرة تعبيراً عن مدى « الورطه » ، التى يشعر بها السلاح الجوى الإسرائيلى وقيادته . . فقد بدأ السلاح الذى اعتمدت عليه الاستراتيجية الإسرائيلية عاجزاً عن تأدية دوره برغم كل الإمكانيات المتوفرة لديه (والدلال) الذى يحظى به . .

وأن يحاول العدو تكرار هجوم فاشل فليس فى ذلك ما يدل على أنه استطاع أن يستوعب درس الفشل ، وإنما هو دليل على عناد القيادة الإسرائيلية ورفضها قبول النتائج التى أسفرت عنها محاولة الأمس . .

وللقيادة الجوية المعادية الحق فى أن تعاند وترفض ما تحقق من نتائج منذ بدء معارك

العاشر من رمضان (السادس من أكتوبر) لأسباب منها التفوق العددى بالنسبة للطائرات والطيارين وطائراتها من طرز حديثة ولها ميزات عديدة سواء من ناحية التسليح أو المدى أو الحمولة أو السرعة أو القدرة على المناورة أو من ناحية التجهيز بالمعدات الإلكترونية الحديثة التى تيسر للطيار أداء مهمته . .

وكانت القيادة الجوية تدرك أن العدو سيخرج كل ما فى جعبته من حيل ومكر لتجاوز هزيمة الأمس وكانت مستعدة لمواجهة كل الاحتمالات ، وعندما وجدت القيادة أن العدو بدأ يخترق المجال الجوى المصرى وجهت طائرات المظلة للاشتباك معه وبدأت نقاط المراقبة بالنظر تذيع عن اقتراب مجموعتين أخريين على ارتفاع منخفض من اتجاه رأس البر وبلطيم ودفعت القيادة بتعزيزات جديدة لصدهم . .

وانضمت المجموعتان الجديدتان إلى المجموعتين السابقتين ودار القتال الجوى فى منطقتين الأولى شمال مدينة طنطا . والثانية شمال مدينة المنصورة وكان للعدو فى كل منطقة ما بين ٢٠ و ٤٠ طائرة . .

ونتيجة لتطور القتال دفعت القيادة بتعزيزات جديدة حتى وصل عدد طائراتنا المقاتلة الاعتراضية إلى ٥٢ طائرة .

وبعد الدقائق الأولى للمعركة بدا واضحاً أن طائرات العدو تحاول التخلص من الاشتباك . فقد أيقن طيارو العدو أنهم سيواجهون نفس النتيجة التى انتهت إليها معركة الأمس . .

ربما تصوروا أنهم سيتمكنون من مفاجأة القوات الجوية ، لو عاودوا الهجوم مرة أخرى قبل مضى ٢٤ ساعة ، ربما تصوروا أنهم قادرون على ضرب المقاتلات الاعتراضية خلال الدقائق الأولى للهجوم . والتخلص منها وإتاحة الفرصة للقاذفات المقاتلة لتنفيذ مهمتها ، ولكن لما مضت الدقائق الأولى دون أن يستطيعوا ضرب المقاتلات الاعتراضية بل واكتشفوا أن القيادة التى تتحمل مسئولية المعركة قد دفعت بهذه الأعداد الكبيرة لصد الهجوم . . كان معنى هذا واضحاً بالنسبة لهم . . لذلك حاولوا التخلص من الاشتباك . .

ومعركة جوية ثانية

وهناك بدأ الطيارون المصريون يمنعونهم من تحقيق بغيتهم ، إنهم لا يريدون للعدو أن يتخلص من هذا القتال . .

وبدأ كل طيار يرغم طياراً معادياً على خوض قتال جوى وبدأت التشكيلات المصرية ككل تعمل لمنع العدو من الاتجاه شمالا ناحية البحر المتوسط . .

ومارست القيادة دورها ، تابعت القتال ، وأصدرت أوامرها بسحب الطائرات التى يوشك وقودها على النفاد أو تنفد ذخيرتها من المعركة . . وناورت بالتشكيلات الجوية فى القواعد الجوية والمطارات المختلفة الموجودة فى المنطقة والمناطق المجاورة واحتفظت باحتياطى مستعد للإقلاع .

وحقق المهندسون والفنيون والميكانيكيون الجويون أكثر مما توقعوه . . ونجح الموجهون الجويون فى توجيه مقاتلاتنا إلى أماكن وجود العدو ومناطق اقترابه . .

وشهدت المنطقتان ، مسرح القتال الجوى ، كل أنواع المناورات التى يمكن أن يقوم بها طيار ، مناورات رأسية وأفقية . . المتابعة . . الدوران لليمين واليسار مناورات تحسين الوضع . . محاولة وضع الطيار المعادى فى الوضع المناسب..الطيران على الارتفاعات المختلفة . . والتسلق ، محاولة إحباط هجمة معادية والانقلاب للهجوم على العدو ، محاولات ناجحة للهجوم وضغطه على زر إطلاق النيران وبعدها تنفجر طائرة معادية وتسقط حطاماً . . وأتيحت الفرصة للطيارين المصريين لكى يحققوا أرقاماً قياسية فى إسقاط طائرات العدو ، وقد استطاع أحد الطيارين المصريين أن يسقط خمس طائرات للعدو . . واستطاع كثير من الطيارين أن يسقطوا ثلاث طائرات للعدو خلال هذين الاشتباكين وبعد ٤٥ دقيقة انتهى الاشتباك وخسر العدو فى هذه المعركة ٧ طائرات من طراز فانتوم وخسرت قواتنا الجوية طائرة واحدة . .

النشاط البحرى :

عندما ساد الظلام ميناء الإسكندرية خرج من القاعدة البحرية سرب من لنشات الصواريخ بسرعة بطيئة حتى لا يكتشفه العدو . كانت مهمة هذا السرب كما كلفته بها القيادة الانتظار فى مرسى أبى قير لتوجيه ضربة صاروخية ضد أى أهداف تقترب من المنطقة بين رشيد وأبى قير أو تحاول الاقتراب من الإسكندرية من جهة الشرق . .

وحوالى الساعة ١,٢٣ يوم ١٦ أكتوبر غير التشكيل البحرى خط سيره ليدخل مرسى أبى قير ويرابط خلف جزيرة « دسوقى » (نلسن) وحوالى الساعة ١,٢٧ اكتشف التشكيل هدفين بحريين فتوجه للاشتباك معهما وقبل إطلاق الصواريخ ظهر هدفان جديدان أى أن للعدو أربع وحدات تعمل فى مجموعتين يفصلهما حوالى أربعة أميال بحرية . .

فى الساعة ١,٣٥ أطلق التشكيل المصرى صواريخه على لنشات العدو كما أطلقت الصواريخ الساحلية نيرانها على نفس التشكيل وكانت النتيجة غرق لنشين وشحط الثالث أمام رشيد . .

وقد أصيب أحد اللنشات المصرية بصاروخ معاد واشتعلت فيه النيران وتمكن من الوصول إلى القاعدة ، وفجر يوم ١٦ أكتوبر هاجمت القوات الجوية اللنش المصاب فأجهزت عليه . . وتم الحصول على صاروخ جابرييل كامل من حطام ذلك اللنش . .

اليوم الحادى عشر للقتال يوم ١٦ / ١٠

ركز العدو هجماته المضادة لليوم الثانى ضد الفرقة ١٦ مشاة مع شغل باقى قواتنا شرق القناة . ووصل حجم مجهود العدو الجوى فى قطاع الفرقة فى اليوم إلى حوالى ١٣٠ طلعة طائرة،وتتمكن القوات الإسرائيلية بعد معارك عنيفة وقاسية من إزاحة اللواء ١١٦ يمين الفرقة ١٦ مشاة شمالا .

وبدأت المجموعات التى وصلت إلى غرب القناة والتى كمنت فى المناطق المشجرة بالمنطقة فى العمل على شكل مجموعات مدرعة صغيرة لمهاجمة قواعد الصواريخ المضادة للطائرات غرب القناة اعتباراً من أول ضوء يوم ١٦ / ١٠ لفتح ثغرة فى دفاعنا الجوى وهاجمت

القواعد الإدارية وجمعت أعداداً من الأسرى . كل هذا فى إطار خطة لإرباك قواتنا وإصابة القيادة بالذعر ودفعها للانهيار .

وتحت ستر هذه الأعمال القتالية بدأت طلائع مجموعة العمليات رقم ٤٥ بقيادة الجنرال إريل شارون التى تضم ثلاثة لواءات مدرعة ١٤ ، ٦٠٠ ، ٤٢١ ولواء مظلياً فى العبور بواسطة المعديات ثم الكبارى التى أنشأها المهندسون اعتباراً من ليلة ١٦ / ١٧ أكتوبر ويستمر العدو شرق القناة فى الضغط على يمين الفرقة ١٦ المشاة ويتبادل مع قواتنا الهجمات والهجمات المضادة ويتمكن من احتلال قرية الجلاء .

وجه العدو هجومه المضاد بقوة لواء مدرع ضد منطقة تل سلام على الجانب الأيمن لرأس كوبرى الفرقة ١٦ المشاة .

وقد نجح العدو فى اختراق رأس الكوبرى وتمكن من إبرار سرية دبابات فى منطقة الدفرسوار وبدأ فى دعم الثغرة .

* هاجم العدو اللواء الأيسر للفرقة السابعة المشاة لتثبيت الجناح الأيسر للجيش الثالث الميدانى ومنعه من التدخل لعرقلة سير عمليات الاقتحام .

* فى الساعة الواحدة ظهراً هاجم العدو بقوة سرية دبابات اللواء السابع مشاة من الفرقة ١٩ .

وبرغم الخسائر التى لحقت بالعدو فإنه استمر فى الضغط متقبلا هذا الحجم الكبير من الخسائر .

النشاط الجوى :

عندما قام تشكيل ميج ١٧ بتنفيذ مهمة كلف بها على طريق بير حبيطة فى القطاع الشمالى تدخل العدو ودار قتال جوى فى ظل الحقيقة التى انتشرت بين الطيارين المصريين « أن الميج ١٧ » قادرة على إسقاط الميراج :

واندفع الطيارون المصريون . كل منهم يناور بطائرته مستهدفاً وضع عدوه فى الموقف الذى يمكن فيه إطلاق النار وإصابته .

وينجح الطيار المصرى الأول فى إطلاق صاروخه وتنفجر طائرة معادية ولا تمضى لحظات حتى يدوى فى المنطقة انفجار آخر . . لقد أصيبت الميراج الثانية خلال معركة واحدة . .

النشاط البحرى :

حاول العدو الإغارة على قاعدة بور سعيد البحرية وقد أغرقت له قواتنا قارباً من المطاط قبل الوصول إلى الميناء ، وتم تدمير مجموعة الضفادع البشرية المعادية بالميناء ، وانتشلت جثث أفرادها .

كما كان فى انتظارهم رجال الضفادع البشرية المصرية المكلفون بحماية الميناء ومدخل القناة وتأمين المنشآت البحرية والوحدات العائمة ومسح القاع وحاجز الأمواج والجزر المحيطة بميناء بور سعيد . .

وحدث صباح اليوم التالى لمصرع الضفادع الإسرائيلية أن تضاعف القصف الجوى على منطقة بور سعيد . كانت هناك غارة كل ١٥ دقيقة ، فأصبح بين الغارة والثانية نصف هذا الوقت ، وذلك لإتاحة الفرصة للضفادع الإسرائيلية للهرب تحت هذه الظروف على افتراض أنهم أنهوا مهمتهم .

واستمرت الغارات على هذا النحو المكثف أياماً من الشروق حتى الغروب ، على أمل عودة الضفادع أو إجراء اتصال معهم ، فقد كان ضمن معدات الضفدع الإسرائيلى جهاز لاسلكى يكفل له الاتصال من حيث هو تحت الماء . . بطائرة فوقه . . وعلى ظهر الضفدع جهاز إيريال صغير لتأمين هذا الاتصال كما كان مع الضفدع الإسرائيلى لوحة شفرة للتخاطب مع الطائرات من تحت الماء وجهاز ترانزستور يعمل على عدة قنوات ، وأجهزة للتخاطب مع زملائه تحت الماء والتعرف على أماكنهم باستخدام جهاز على شكل ساعة يعمل بالأشعة تحت الحمراء وجهاز فى حزام حول وسطه لشحن الساعة والتى يظهر مكان زميله عليها كنقطة فوسفورية مضيئة ومع الضفدع أيضاً جهاز فى حجم القلم يطلق طلقات إشارة وخراطيش ملونة بالضغط على زر صغير فى جانبه .

وفوق ملابسه يرتدى الضفدع جاكيت نجاة تمتلئ بالهواء فى الأعماق وبالجاكيت وسيلة للإضاءة ليلا ليسهل التقاطه من البحر ، وفى معصمه بوصلة ودينامو صغير .

قتال الصاعقة فى منطقة سرابيوم . . وأبو سلطان

– المنطقة أبو صوير

– التوقيت الساعة الواحدة ظهراً يوم ١٦ أكتوبر .

كانت أول كتيبة من وحدات الصاعقة تصل إلى منطقة الثغرة للاشتباك مع قوات العدو . .

ودفع القائد سرية فى اتجاه كوبرى سرابيوم . . وسريتين فى اتجاه أبو سلطان . .

وعندما وصلت السرية الأولى إلى حدود المطار اصطدمت بكمين للعدو وأصيبت عربة الاستطلاع بنيران العدو . .

كان قدرها أن تكون أول سرية من الصاعقة تدخل فى حوار بالنيران مع العدو فى هذه المنطقة .

الرجال منذ بدأت الحرب يشعرون بخيبة الأمل . . وقد تنتهى الحرب دون أن يكون لهم دور . .

هم للقتال . . سواء فى البحر والبر والجو .

كانوا يعلمون دورهم فى الخطة العامة وتدربوا عليه ، وكانوا ينتظرون تنفيذ هذه الخطة . .

وعلى نيران الكمين تحركت كل أشواقهم للقتال وردوا بالنيران فوراً . . وكانت النيران دليلهم إلى أماكن وجود أفراد الكمين . .

واندفعوا بنيرانهم فى اتجاه مصادر نيران العدو . . ولم يستمر القتال طويلا . . لقد حققوا نجاحهم الأول بقضائهم على الكمين المعادى . .

وأثناء تقدمهم . . اصطدموا بالكمين الثانى . .

هذه المرة أوقفهم الكمين وإن لم تحدث خسائر بينهم . . واستمروا طوال الليل . . وأخيراً نجحوا فى القضاء على الكمين الثانى . . ووصلوا إلى كوبرى سرابيوم . . واحتفظوا به خلال يوم ١٧ أكتوبر وتوقعوا الاصطدام بالعدو فى أية لحظة . . واتخذوا أوضاعاً دفاعية . . وكما توقعوا حاول العدو الوصول إلى كوبرى سرابيوم عن طريق كوبرى السكة

الحديد المجاور بواسطة دبابة وأربع عربات مدرعة .

وكان قرار القائد . . أن يفتح الجميع نيرانهم فى نفس الوقت . . وبصفة مستمرة . . وتوقفت الدبابة . . وواصلت العربات الأربع تقدمها . . الآن عرف العدو موقع الرجال وسيتجه بنيرانه إليهم . . وفوت القائد على العدو هذه الفرصة وغير مواقع رجاله باتجاه السكة الحديد . . واتجه العدو بنيرانه إلى المواقع الخالية ولم يستمر فى إطلاق نيرانه فقد فاجأته نيران الرجال من مواقعهم الجديدة لتدمر كل العربات . . ويقفز منها ٤٤ فردا . . يعلمون مصيرهم . .

وغنم الرجال مدافع العربات من عيار نصف بوصة . .

وتدخلت الدبابة بنيران كثيفة . . ولم يدم ذلك طويلا . . دمرها الرجال بقذيفة آر .بى . جى . .

أما السريتان الأخريان فلم يلتقيا بالعدو إلى يوم ١٧ أكتوبر فعندما تقدم الرجال يوم ١٦ أكتوبر لجأ العدو إلى السكون تماماً فى منطقة تقدمهم .

وفى اليوم الثانى أخبرهم فلاح من المنطقة بوجود دبابتين للعدو فى مدرسة أبو سلطان الابتدائية .

ودخل رجال منهم إلى أبو سلطان ومعهم ٣ قواذف أر .بى . جى . . . . ونجحوا فى إصابة أول دبابة . . وعندما خرج الطاقم حصدته النيران . . واندفعت عربة مدرعة تحاول بالنيران القضاء على هذه الجماعة . وسقط شهداء وجرحى قبل أن يدمرها الرجال . . بكل طاقمها، ولمدة ساعةونصف تعرضوا لقصف متواصل من مدفعية العدو .

وأدرك القائد أن لجوء العدو للقصف المدفعى . . يعنى أنهم يغلقون عليه طريقاً أو محوراً رئيسيًّا للتقدم . . ومعناه أيضاً أن الدبابات الإسرائيلية ستتقدم عندما يتأكد العدو أن نيران المدفعية قد قضت عليهم .

واستعد رجاله لمواجهة الموقف . .

وصدق توقعه . . فقد تقدمت دبابتان معاديتان فى اتجاه فصيلة يقودها الدعرورى . . فاستقبلتهما نيران الرجال ونجحوا فى تدميرهما . . بعدها تقدمت دبابتان أخريان وعربتان نصف جنزير . . وبتدميرها تكون هذه الفصيلة قد نجحت فى تدمير ٦ قطع معادية مكونة

من أربع دبابات وعربتين نصف جنزير .

وعندما حاول الرجال التقدم أكثر من ذلـك أوقفتهم نيران العدو . . واكتشفوا أن هناك رشاشاً فوق فنطاس المياه نيرانه تقطع عليهم الطريق . .

وحاول الدعرورى وسيف تدمير هذا الرشاش ، فأصيبا واستشهد سيف وواصل الدعرورى الاشتباك وهو مصاب بطلقتين . . ومن موقعه وهو مصاب اشتبك مع عربة مدرعة . . فأصابها ونتيجة إصابته سقط شهيداً ودون أوامر قرر جنديان الثأر للدعرورى وتدمير هذا الرشاش .

وكان سلاح الأول منهما البندقية وسلاح الثانى قاذف ار . بى . جى . . وزحفا إلى منطقة يسهل منها اصطياد الرشاش ، وعندما خرج حامل البندقية وحاول إصابة فرد الرشاش الإسرائيلى أصيب . . وواصل العدو إطلاق النيران على المنطقة التى سقط فيها وسنحت الفرصة لفرد الا أر . بى . جى لضرب المدفع وتدميره وبعد نجاحه حمل زميله الجريح لعلاجه وواصل الرجال تقدمهم . .

ولجأ العدو إلى قصف المنطقة بالمدفعية . . قبل معاودة الاشتباك مع القوات العنيدة . . التى استمرت تتشبث بالأرض طوال الليل . . وعند منتصف الليل وصل « قول » يضم ٤ عربات نقل محملة بالذخيرة إلى الرجال فى أماكنهم ولم يصدق الرجال كيف استطاع « القول » المرور دون اشتباكات .

واستعد الرجال لاستقبال يوم جديد . . وفى الساعة السادسة صباح يوم ١٨ أكتوبر بدأت مدرعات العدو تتدفق على المنطقة وقرر القائد الصاوى أن يطلق الرجال قذائف أر . بى . جى معاً أثناء الاشتباك مع الدبابات .

وعند ظهور أول دبابتين استقبلتهما ١٨ قذيفة . وقد وصف العدو هذه اللحظة بأنه كان يرى مدافع « البازوكا » تنطلق مثل نيران مدافع الماكينة .

وكانت وجهة نظر القائد من هذا الأسلوب فى استخدام القذائف المضادة للدبابات أن يتأكد من إصابة الدبابات بمجرد ظهورها حتى لا يتعرض رجاله للخطر من هذه القلاع الحديدية . .

وظهرت أربع عربات مجنزرة . . وبنيرانها أصيب العليمى بعد أن تم تدمير اثنين منها . .

ووقفت ثلاث دبابات وأربع عربات مدرعة بعيداً . . وبدأت تطلق نيرانها على مواقع الرجال فى وقت واحد . . وبسرعة رهيبة اندفعت إلى مواقع الرجال بعد أن تصورت أنها نجحت فى جعلهم يخفون رؤوسهم . . واستطاع خيرت أن يصيب ثلاث دبابات بثلاث طلقات ار.بى . جى متتالية ، وخلال أقل من ١٦ ثانية وتمكنت العربات الأربع من الدخول على الرجال . . وبدأت أطقمها فى إلقاء القنابل اليدوية والاشتباك بنيران المدافع عيار نصف بوصة . . وسقط شهداء وجرحى وأصيبت عربة للعدو . . بعدها انفجرت عربة أخرى . . وعندما شاهد الرجال أفراد العدو يقفزون من العربتين المدرعتين حصدوهم بالنيران . . وحاولت العربتان الباقيتان الخروج من المنطقة باستخدام أسلوب القصف المستمر بالرشاشات فى كل اتجاه . . مع إلقاء القنابل اليدوية لشق طريقها . . وتمكن الرجال من إصابة واحدة ونجحت الرابعة فى الفرار . .

ودفع العدو بكتيبة مظلات إلى المنطقة وبدأت محاولته لتطويق رجال الصاعقة الساعة الثانية ظهر يوم ١٨ أكتوبر وفى نفس الوقت بدأت وحدات العدو فى المنطقة تتفادى المرور من الطرق التى تسيطر عليها الصاعقة .

ومن اتجاه جديد ، أثناء رحلة التطويق بدأ الهجوم مجدداً . . ومع ازدياد ضراوة القتال ووحشيته . . وسقوط القتلى والجرحى من الجانبين . دفع العدو بقوات جديدة .

وتمكن الرجال من تدمير دبابتين وعربتين . . ولاحظ الرجال أن بعض الأفراد يلقون القنابل اليدوية دون أن يسحبوا منها « الفتيل » فبدأوا يستخدمونها ضدهم . . واستمر تطويق العدو وهجومه على الرجال من ثلاث جهات . .

وكان رجال الصاعقة يحتلون منطقة مساحتها ١٠٠ × ٥٠ متراً . .

ومع اقتراب أفراد كتيبة المظلات الإسرائيلية من المنطقة . . حبس الرجال نيرانهم . . وغيروا مواقعهم . . واستعدوا . .

كانوا يدركون أنه قتال النهاية . . وعندما وصل العدو إلى المرمى المؤثر لنيرانهم . . فتحوها بقسوة وبأقصى معدلاتها . .

ووصل الأمر بالعدو إلى استخدام مدافع دبابات وهى من عيار ١٠٥ ملليمترات فى ضرب الأفراد .

ولم يكن هناك تعبير عن ضيقهم من مقاومة الرجال لهم أكثر من هذا سوى قيامهم بالتمثيل ببعض جثث شهدائنا .

وكانت القيادة على علم بموقف الرجال . . وقررت استخدام المدفعية عيار ١٣٠ ملليمتراً فى الضرب على العدو فى المنطقة .

ونجح رجال الصاعقة فى توجيه نيران المدفعية . . وفشلت خطة التطويق وبدأ العدو ينسحب من المنطقة . .

واستمروا فى تصحيح نيران المدفعية وتوجيهها إلى المنطقة التى انسحب إليها العدو . .

واشتد القصف من الساعة الثالثة والنصف إلى الساعة الرابعة . .

وكان هذا سبباً فى تجاوز أحرج موقف تعرضوا له منذ وصولهم إلى المنطقة . .

ووجهت مدفعية العدو نيرانها للنيل من مدفعيتنا . . ولم يتوقف قصف العدو بالمدفعية إلا فى الساعة الخامسة مساء . .

وفى المساء . . قرر القائد تقسيم رجاله إلى مجموعات صغيرة للخروج من المنطقة بعد أن أدوا مهمتهم . . .

اليوم الثانى عشر للقتال يوم ١٧ / ١٠

حشد العدو حوالى ٢٥٠ دبابة شرق القناة فى مواجهة الفرقة ١٦ المشاة وركز مجهوده على جانبها الأيمن كما هاجم نقط الفصل بين لواءات الفرقة . .

ونتيجة للضغط المتواصل نجح العدو فى إزاحة الفرقة ٤ كيلو مترات شمالا .

وكان قرار قائد الفرقة بالتحرك شمالا نتيجة تصوره أن العدو يستهدف الوصول إلى معابر الفرقة وتدميرها لقطع وسيلة الاتصال بها تمهيداً لتوجيه ضربات مضادة قوية مؤثرة عليها فأراد أن يحمى قواته بزحزحة حدها الأيمن إلى الشمال وتقوية خطوطها الدفاعية لدعم قدرتها على الصمود

ويتمكن العدو من السيطرة على جزء من الساتر الترابى شرق القناة فيتمسك به لتأمين عبور مجموعة العمليات ٤٥ إلى الضفة الغربية .

وفى الساعة العاشرة صباح يوم ١٧ أكتوبر تصل قوة العدو غرب القناة إلى كتيبة دبابات من اللواء ٤٢١ المدرع ، وكتيبة مظلات وبدأت قوات العدو الجوية تنشط غرب القناة نتيجة فتح ثغرة فى نظام الدفاع الجوى المصرى .

* تقرر أن يقوم اللواء ١١٦ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٢٣ بالتعاون مع الكتيبة ٨٥ اقتحام جوى بتطهير المنطقة المحصورة بين أبو سلطان ومطار الدفرسوار .

وقدرت قوات العدو فى المنطقة بـ ٧ دبابات وكلف اللواء والكتيبة ببدء تنفيذ المهمة أعتباراً من الساعة العاشرة صباح يوم ١٧ أكتوبر .

وكان على الكتيبة أن تعمل بالتعاون مع كتيبة دبابات اللواء وفعلاً قامت بالالتفاف من وصلة أبو سلطان سرا بيوم فى اتجاه الدفرسوار .

ومن المجموعات الثلاث التى قسمت إليها الكتيبة وصلت مجموعة أقرب ما يمكن إلى المطار واكتشفت ٤ أرتال للعدو كل رتل يتكون مما يقرب من ٤٠ دبابة وعربة مدرعة .

كما اكتشفت مجموعة أخرى منطقة تجمع للعدو فى منطقة الجناين تضم ما يقرب من ٣٠ دبابة .

وبعد أن اكتشف العدو قواتنا قام بقصفها بنيران مركزة من المدفعية والدبابات فلم تستطع تنفيذ المهمة المكلفة بها .

* اندفع اللواء ٢٣ المدرع من الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكى للهجوم على منطقة مطار الدفرسوار .

وقبل الوصول إلى منطقة المطار ونتيجة نقص المعلومات وعدم إتاحة الفرصة الكافية للاستطلاع وخدمة المعركة وقع اللواء فى كمين معاد .

المرحلة الرابعة :

اليوم الثالث عشر للقتال يوم ١٨ / ١٠

شكل العدو مجموعتين جديدتين للعمل ضد قواتنا شرق وغرب القناة المجموعة الأولى وتحمل رقم ١٣١ بقيادة الجنرال إبراهام أدان وتضم لواءين مدرعين ٤٠١ ، ٢١٧ ولواء مشاة ميكانيكى ومهمتها تطوير الهجوم جنوباً فى اتجاه السويس وقطع خط إمداد وعزل

قوات الجيش الثالث شرق القناة مع استمرار المجموعة ٤٥ فى العمل شرق وغرب القناة . ومهمتها شرق القناة ، دفع الفرقة ١٦ شمالا وفتح الثغرة وتأمين إنشاء المعابر ومهمتهاغرب القناة دعم وتأمين رأس الكوبرى .

المجموعة الثانية وتحمل رقم ٢٥٢ ويقودها الجنرال كالمان ماجنى وتضم خمسة لواءات منها لواءان مدرعان ٧ ، ٥٠٠ ولواءان مشاة ميكانيكى ولواء مشاةعادى ومهمة هذه المجموعة تثبيت القوات المصرية فى رؤوس الكبارى شرق القناة والاستمرار فى الهجوم عليها .

وأصبح حجم القوات الإسرائيلية غرب القناة مع أول ضوء يوم ١٨ / ١٠ / ٧٣ لواءين اللواء المدرع ٤٢١ واللواء المظلى ، وعبر اللواء المدرع ٢١٧ خلال نفس اليوم وتمكن العدو خلال هذا اليوم من إنشاء كوبرى فى منطقة الدفرسوار .

وبدأت الهجمات المضادة المصرية تشكل خطورة على رأس الكوبرى الإسرائيلى وإن بدت أمام القيادة المصرية مشكلة مواجهة قوات العدو بأسلوب قتال الجيوش لأن القوة الإسرائيلية كانت تقاتل بأسلوب جديد بواسطة مجموعات سرايا مختلفة تضم دبابات ومشاة ميكانيكية تنتشر فى كل اتجاه وتحاول التمسك بمفارق الطرق والهيئات الحيوية أى أنه لم يكن هناك جسم يمكن لقواتنا أن تهاجمه وتقضى عليه .

اليوم الرابع عشر للقتال يوم ١٩ / ١٠

واصل العدو الضغط على الفرقة ١٦المشاة لتأمين المعابر إلى غرب القناة كما تابع العبور لدعم قواته غرباً . . وواصل هجومه المضاد فى اتجاه الجانب الأيمن لرأس كوبرى الفرقة ١٦ المشاة بقوة لواء ميكانيكى وكتيبتى دبابات ، وتمكن من توسيع منطقة الاختراق

(وفى نفس الوقت استمر هجومه على الجناح الأيسر للفرقة السابعه المشاة شرق القناة)

وصباح يوم١٩ أصبح للعدو ٣ لواءات مدرعة ولواء مشاة ميكانيكى ولواء مظلات عرب القناة .

كان الرئيس السادات قد كلف الفريق الشاذلى يوم ١٦ أكتوبر بالسفر إلى الجبهة وحمله مسئولية تصفية الثغرة .

وعاد الفريق الشاذلى يوم ١٩ وعرض وجهة نظره على القيادة بسحب قواتنا من الشرق لمواجهة العدو غرباً ، وكان أن أعفاه الرئيس من المسئولية ولم يعلن هذا القرار إلا بعد ذلك .

قتال فى منطقة الثغرة

كان موقف العدو فى منطقة الثغرة بالدفرسوار فى هذا الوقت يتمثل فى احتلال مطار الدفرسوار ونقطة قوية مصرية غرب القناة على حافة المياه بالقرب من الدفرسوار ومصاطب شمال هذه النقطة القوية حتى طوسون ، ومركز لإدارة نيران مدفعية الميدان بعيدة المدى وبعض العناصر فى محطة ضخ المياه ، وكان هذا الموقف يمثل خطراً على قواتنا شرق القناة . أما موقف العدو فى الضفة الشرقية للقناة فكان يتمثل فى وصول قواته إلى قرية الجلاء التى تبعد ٧ كيلومترات شمال نقطة الثغرة واستخدامها كمنطقة تجمع لدباباته وكانت قواتنا شرق القناة فى المنطقة تضم الفرقة ٢١ المدرعة والفرقة ١٦ المشاة . أما قواتنا غرب القناة فتضم الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكى وقوات أخرى فى مناطق للشئون الإدارية . .

وطبقا للخطة كان على لواء الاقتحام الجوى رقم ١٥٠ استعادة المصاطب التسع التى احتلها العدو وتأمينها واستعادة النقطة القوية لتأمين مؤخرة قواتنا شرق القناة ، ثم منع العدو من الاختراق خاصة فى منطقة الدفرسوار ، وتطهير قوات العدو فى المنطقة بالتعاون مع القوات المدرعة الموجودة فيها .

ولتنفيذ هذه المهام كان لابد من خطة . . وعندما بدأ القائد فى وضعها كان اعتماده الأساسى على فدائية الرجال وروحهم المعنوية العاليه ، لكن المسئولية الكبيرة فرضت على القائد وجنوده العمل فى سرعة وبغير اهتمام بالصعوبات وانقسمت القوة إلى مجموعات . .

الأولى : كان عليها أن تهاجم بحذاء القناة ابتداء من طوسون لاستعادة المصاطب التى احتلها العدو وإعادة السيطرة عليها بما فى ذلك النقطة القوية .

والثانية : عليها أن تهاجم بحذاء الترعة الحلوة ابتداء من منطقة عين غصين الضعيفة للقضاء على قوات العدو فى منطقة سرابيوم وتأمين محطةالضخ ودفع عناصر استطلاع حتى مطار الدفرسوار .

وقد نجحت هذه المجموعة بعد سير على الأقدام لمدة ساعتين خوفاً من الوقوع فى

كمائن العدو من تدمير نقطة ملاحظة المدفعية المعادية وعدد ٣٠ عربة مدرعة فى سرابيوم بالإضافة إلى ٦٠ قتيلا .

بعدها كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة صباحاً بقليل ، تقدمت فى اتجاه محطة الضخ فاكتشفت أن العدو قد غادرها هارباً .

وبذلك حققت مهمتها ، وبدأت فى دفع دوريات استطلاع إلى مطار الدفرسوار ونجحت المجموعة الأولى فى استعادة المصاطب التسع ، وتمكنت من تدمير عناصر العدو الموجودة بها . وتركت عند كل مصطبة قوة صغيرة لتأمينها ، وظلت تتقدم حتى وصلت إلى النقطة الحصينة التى يحتلها العدو غرب القناة .

موقعة النقطة الحصينة

كانت قوة العدو فى النقطة الحصينة وحولها تقدر بسرية مشاة ميكانيكى وسرية دبابات ، والسريتان متخندقتان بالإضافة إلى سرية هاون ١٢٠ ملليمترا وكان للعدو كتيبة دبابات عدا سرية منتشرة فى منطقة الجناين القريبة من النقطة وهاجمت المجموعة النقطة الحصينة ، فقوبلت بوابل من نيران العدو وقصف شديد من المدفعية بعيدة المدى والطيران . واستمرت القوة تتعرض للنيران من كل اتجاه .

وبعد عملية إعادة تجميع ، عادت المجموعة تهاجم النقطة من جديد لكنها لم تنجح مرة أخرى فى الاستيلاء عليها .

ولم تؤثر الخسائر التى تعرضت لها المجموعة فى الأفراد والمعدات والأسلحة والذخيرة على روحها المعنوية العالية . . وهنا تتضح أهمية صلابة القائد والجنود . . فللمرة الثالثة قرر قائد اللواء مهاجمة النقطة من جديد بعد آخر ضوء . وفى نفس الوقت كانت توجيهات خاصة من القائد الأعلى للقوات المسلحة الرئيس أنور السادات تأخذ طريقها إلى القائد عزمى فى موقعه . . وكانت التوجيهات كلمات بسيطة لكن لها أثر السحر من الرئيس تقول فى بساطة للقائد عزمى . . إنه « أى الرئيس » لن يغادر مبنى القيادة إلا بعد احتلال هذه النقطة !

ونقل القائد توجيهات الرئيس واهتمامه بالمعركة وتشجيعه إلى رجاله الذين تفجرت حماستهم طوفاناً من إرادة القتال . وبدأ الهجوم مرة ثالثة على النقطة وكانت خطة القائد تعتمد على قصف مستمر بمدافع الهاون عيار ١٢٠ مم للنقطة الحصينة ، على أن يتم القصف من مسافة قريبة جداً ليحقق أكبر قدر من التأثير . ونجح المقاتل « محمد » قائد السرية فى إغراق النقطة بسيل من نيران المدفعية بصورة متواصلة ومن أقرب مكان واستطاع خلال دقائق أن يصب على النقطة أكثر من ٦٠٠ قذيفة . اشتعلت النيران فيها وتسببت فى انفجار مخازن الذخيرة بها .

حقل ألغام . . ثم حقل آخر

وتحت ساتر من نيران مدفعية الميدان بعيدة المدى التى طلبها القائد من مدفعية الجيش الثانى ، وقام هو بتوجيهها بدأت القوة المخصصة للهجوم – وهى أكبر من القوة التى هاجمت من قبل – تتقدم فى إصرار فى اتجاه النقطة القوية مدعمة بأسلحة خفيفة مضادة للدبابات وعناصر مدافع ماكينة . وفوجئت القوة عند اقترابها من النقطة بحقل ألغام كبير وخلال ٤٥ دقيقة تمكنت من فتح ثغرتين فيه وواصلت القوة تقدمها فاصطدمت بحقل ثان ونجحت خلال فترة مشابهة فى فتح ثغرتين يدوياً والتقدم منهما .

وطوال هذه المرحلة ، لم يفتح العدو الموجود فى النقطة نيرانه وظل محافظاً على حبس النيران . أما الرد ومقاومة الهجوم فكان مصدرهما مدفعية العدو ودباباته وهاوناته خارج النقطة . ولجأ العدو فى النقطة إلى استخدام أسلوب « أشكال الرماية » وهى عبارة عن « شواخص » يتصورها المهاجمون أهدافا حقيقية فيطلقون عليها النيران وبالتالى تستنزف النقطة نيرانهم واستمرت القوة تتقدم . . وفجأة فتحت جميع أسلحة العدو داخل النقطة نيرانها ، وواصلت القوة اندفاعها بتصميم انتحارى برغم الخسائر الكبيرة فى الأفراد ، ونجحت بالفعل فى الوصول إلى النقطة والميول الشمالية لها .

وطلب قائد القوة المهاجمة التى وصلت إلى النقطة أن تستمر مدفعية الميدان المصرية فى قصف النقطة برغم أنه ورجاله ، فى حدودها ، واستمر قصف المدفعية المصرى واستمر

هجوم الرجال برغم مقاومة العدو العنيفة واستمراره فى القتال برغم خسارته الكبيرة فى الأرواح والمعدات .

ومرة أخرى قرر القائد معاودة الهجوم عند أول ضوء بعد عملية إعادة تجميع جديد للقوات .

ولخطورة الهجوم على النقطة على عملية الاختراق غربا بدأ العدو فى قصف المجموعة بنيران المدفعية والدبابات من الشرق ابتداء من الساعة الرابعة مساء حتى الساعة الثانية والنصف من صباح يوم ١٩ أكتوبر . وبعد توقف استمر حتى الساعة العاشرة عاود العدو قصف التجمع الرئيسى لقوات لواء الاقتحام الجوى بالمدفعية تمهيداً لمحاولة إنشاء معبرين جديدين ، أحدهما للدبابات والآخر للأفراد ، لكى تعبر عليها القوات الإسرائيلية من الشرق .

تحطم الكوبرى والدبابات فوقه

وأبلغ القائد قيادة الجيش الثانى بالموقف وقام بتوجيه نيران مدفعية الميدان بعيدة المدى التى نجحت فى تدمير الكوبرى الثقيل وفوقه ثلاث دبابات بالإضافة إلى ١٢ دبابة كانت تستعد للعبور .

وبعد نصف ساعة من تدمير الكوبرى تمكن العدو من إنشاء كوبرى آخر ، فطلب القائد طلعة جوية من القيادة العامة ، وقبل أن تصل طائراتنا وصلت طائرات العدو لقصف قواتنا . واستطاعت القوة المصرية الصامدة أن تسقط ثلاث طائرات للعدو بواسطة الصواريخ الموجهة الخفيفة المضادة للطائرات « الاستريللا » .

وشاهدت القوة أرتالا من الدبابات المعادية تتقدم للعبور إلى غرب القناة فأبلغ القائد قيادة الجيش الثانى وطلب اشتراك نيران المدفعية ، وعلى الفور بدأت مدفعية الميدان قصفها وتمكن القصف الذى قام القائد بتوجيهه من تدمير ٤ دبابات .

قتال شرس طوال اليوم

ثم ظهرت طائراتنا فى سماء المنطقة وتمكنت من تدمير الكوبرى وإصابة عدد كبير من دبابات العدو فى الضفة الشرقية وخسرت قواتنا الجوية بضع طائرات . . وكان الصراع ضارياً ، فالعدو يصر على دعم خطة الاختراق غربا . . وقواتنا تحاول منعه ووقف تدفقه إلى الغرب ، وللمرة الثالثة أقام العدو معبراً جديداً .

وشاهدت القوة المصرية قولا من دبابات العدو يضم ما بين ١٢٠ ، ١٧٠ دبابة يأخذ طريقه إلى الغرب .

وبعد عبور دبابات العدو وتجمعها استعداداً للهجوم ، بدأت فى الساعة الواحدة والنصف ظهرا فى التقدم تجاه المجموعة التى سبق أن استعادت سرابيوم وطردت العدو من محطة الضخ ودمرت نقطة ملاحظة المدفعية .

وبعد تمهيد نيرانى عنيف من المدفعية والطيران وأسلحة الضرب المباشر ، اشتبك العدو مع القوة المصرية . وبعد قتال ضار نجحت القوة المصرية فى صد الهجوم وتدمير عدد كبير من دبابات العدو ، وإسقاط طائرتى ميراج . . وارتد العدو إلى مسافة كيلو مترين استعداداً للهجوم مرة ثانية .

وبدأ هجومه بالفعل بعد تمهيد نيرانى ، وللمرة الثانية نجحت القوة المصرية الصغيرة فى صد الهجوم وتدمير ١١ دبابة للعدو ، و٦ عربات نصف جنزير برغم التفوق الكبير للعدو . وارتد العدو للخلف واشتد القصف المدفعى والجوى المعادى ، وتمكنت القوة من إسقاط ٥ طائرات بواسطة الصواريخ « الاستريللا » .

وللمرة الثالثة عاود العدو الهجوم ، لكنه غير اتجاه الهجوم ، وهاجم من المنطقة الصحراوية ، وفى نفس الوقت قام بإبرار مجموعة قناصة بواسطة هليكوبتر خلف الكتيبة للضرب عليها من مؤخرتها .

وبعد اختراق العدو للموقع أمر القائد بشن هجوم مضاد بواسطة المشاة المزودين بمدافع الأر . بى . جى وبعد أن أصدر أمر الهجوم بدقائق . . استشهد القائد فى موقعه

وهو يقود معركة من أعنف معارك الحرب . وقاد رئيس العمليات هجوماً مضاداً ثانيا بفصيلة احتياط . . لم يمنع تدفق الدبابات . . وبعدها قرر القائد الذى حل محل القائد الشهيد خوض قتال تعطيلى ضد قوات العدو فى قرية سرابيوم ونجح القتال التعطيلى فى منع العدو من التقدم فى اتجاه الإسماعيلية الهدف الأساسى الذى يسعى إليه .واستمر تعثر العدو حتى الساعة السادسة مساء .

وبعد أن حصل القائد « إسماعيل » على تصديق رئيس الأركان أمر بتجميع قواته خارج القرية وقام بتوجيه نيران المدفعية على قوات العدو الموجودة بها واستمر القصف المدفعى المصرى لمدة ٤ ساعات متصلة بتركيز شديد . . ونتيجة لتقدم قوات العدو شرقى القناة باتجاه الشمال ازداد تعرض القوات المهاجمة للنقط القوية والقوات التى استولت على المصاطب التسع للنيران . فقرر القائد تعديل أوضاع قواته وتدعيم الأوضاع عند طوسون وبدء القتال التعطيلى وأعمال النسف والتدمير والكمائن .

وشهدت الساعات الأولى من يوم ٢٠ أكتوبر مجموعات الكتيبة التى تركت سرا بيوم وهى تقاتل العدو قتالاً تعطيلياً مع استمرار قصف مناطق تجمعه واحتشاده بالمدفعية لمنعه من الوصول إلى الإسماعيلية ، وكانت قوات العدو قد تمكنت من الوصول إلى مركز ملاحظة المدفعية السابق .

إغراق المنطقة بالمياه

وبعد دراسة للموقف قرر القائد إغراق المنطقة كلها بالمياه بنسف الترعة الحلوة وطريق قناة السويس .

وفعلا تم النسف ، ونتج عنه قطع فى الطريق الزراعى المجاور للترعة الحلوة بعرض يصل إلى ١٢ متراً وعمق ٥ أمتار ، وقد تدفقت المياه من الترعة إلى الأراضى الزراعية على الجانبين ، وتم نسف « بربخ » ونسف الطريق المجاور للقناة بالقرب من الشيخ حنيدق .

ونتيجة لذلك عجز العدو عن التقدم ولم تستطع دباباته أن تتقدم عبر الاراضى الزراعية التى أغرقتها المياه .

ونجحت هذه الطريقة فى وقف تقدم العدو نهائيًا عبر هذه المنطقة فى اتجاه الإسماعيلية . وفى نفس الوقت واصلت مجموعات القتال التعطيلى نصب العديد من الكمائن لاصطياد أية قوات متناثرة للعدو فى المنطقة . واضطر العدو إلى محاولة الالتفاف جنوباً من اتجاه نفيشة .

ودفع القائد ٣ عربات مدرعة « بردم » وسرية هاون فى اتجاه كوبرى نفيشة لمواجهة محاولة العدو الجديدة ، واستطاع قائد قوة العربات المدرعة أن يدمر للعدو ٣ دبابات كانت موجودة عند نفيشة .

وواصلت القوات أداء دورها بعد ذلك بالتعاون مع مجموعة الصاعقة التى وصلت يوم ٢٠ أكتوبر ومع وحدة الكوماندوز التى تعمل فى المنطقة ومع تشكيل مشاة ميكانيكى ، وكان نجاحهم فى مهمتهم هو السبب الأساسى لفشل العدو فى احتلال الإسماعيلية وحصار الجيش الثانى وتدمير معابره .

واعترف العدو نفسه حانقاً فى إشاراته اللاسلكية أن السر فى ذلك . . كان عزمى وجنوده رجال لواء المظلات الذين تحملوا أمانة مسئولية غيرت بحق سير المعركة . . ،

اليوم الخامس عشر للقتال يوم ٢٠ / ١٠

زاد حجم قوات العدو غرب القناة إلى ٤ لواءات مدرعة وركز العدو هجماته الجوية لمعاونة أعمال قواته البرية غرب القناة .

وواصلت قواتنا البرية وقواتنا الجوية العمل ضد القوات الإسرائيلية واندفعت قوات الصاعقة والمظلات لملاحقة القوات الإسرائيلية وتصيدها وألحقت بالعدو خسائر كبيرة .

* هدد العدو اعتباراً من يوم ٢٠ / ١٠ طريق الإمداد لفرقتى الجيش الثالث الميدانى شرق القناة . . بعد أن وصل بقواته جنوباً وقطع طريق القاهرة / السويس .
* فى الساعة الثانية صباح يوم ٢٠ / ١٠ وبعد انتهاء اجتماع الرئيس بالقادة فى مبنى

القيادة أرسل الرئيس هذه الرسالة إلى الرئيس حافظ الأسد .

أخى الرئيس حافظ الأسد

لقد حاربنا إسرائيل إلى اليوم الخامس عشر ، وفى الأيام الأربعة الأولى كانت إسرائيل وحدها فكشفنا موقفها فى الجبهتين المصرية والسورية ، وسقط لهم – وباعترافهم – ٨٠٠ دبابة على الجبهتين وأكثر من مائتى طائرة . . أما فى الأيام العشرة الأخيرة فإننى على الجبهة المصرية أحارب أمريكا بأحدث ما لديها من أسلحة .

إننى ببساطة لا أستطيع أن أحارب أمريكا أو أتحمل المسئولية التاريخية لتدمير قواتنا المسلحة مرة أخرى .

لذلك فإننى قد أخطرت الاتحاد السوفييتى بأننى أقبل وقف إطلاق النار على الحدود الحالية بالشروط التالية :

١ – ضمان الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة بانسحاب إسرائيل كما عرض الاتحاد السوفييتى .

٢ – بدء مؤتمر سلام فى الأمم المتحدة، للاتفاق على تسوية شاملة كما عرض الاتحاد السوفييتى .

إن قلبى ليقطر دماً وأنا أخطرك بهذا ، ولكننى أحس أن مسئوليتى تحتم على اتخاذ هذا القرار . ولسوف أواجه شعبنا وأمتنا فى الوقت المناسب لكى يحاسبنى الشعب .

مع أطيب تحياتى

أنور السادات

قصر الطاهرة

ساعة ٢٠٠ يوم ٢٠ / ١٠ / ١٩٧٣

اليوم السادس عشر للقتال يوم ٢١ / ١٠

تقدم طابور مدرع إسرائيلي يضم ١٣ دبابة من واحة المنايف شرق ترعة الإسماعيلية فى الطريق إلى الإسماعيلية .

كان الطابور المدرع إحدى محاولات العدو لاحتلال الإسماعيلية ومنها ينطلق لإغلاق كل الطرق المؤدية إلى الجيش الثانى ويفرض حصاراً على كل القوات الموجودة شرقاً فى القطاع الشمالى .

كانت الساعة الثانية ، ١٥ دقيقة ظهرًا ولم يكن أمام الطابور سوى موقع يضم عدداً من الأفراد المشاة . .

قلة من الرجال عراة الصدور كان عليهم مواجهة هذه الدروع .

إن المكشوف عندما يواجه المدرع يعرف أنه مقدم على مواجهة موقف حرج وصعب للغاية . .

هنا لا يمكن الجزم بأن المكشوف قد يفكر كثيراً . .

ربما يتصرف طبقاً « لرد الفعل المنعكس الشرطى » وقد يؤدى هذا إما إلى اندفاعه فى اتجاه الدبابات المتقدمة أو ربما يندفع فى الاتجاه الآخر .

موقف رهيب وغريب عندما يواجه فرد مشاة دروعاً تتقدم نحوه . . .

إن المنطق والطبيعى أن تتمكن الدروع من اجتياح الفرد المشاة إذا ما قرر أن يقاوم مواجهاً ومسيطراً على الفزع الذى تخلقه فى العادة رؤية المشاة للمدرعات .

لكن الرجال فى موقعهم هذا كانت أعصابهم هادئة . . .

وكان قرارهم تعبيراً عن تجاوزهم للواقع وسيطرتهم على أفكارهم . . كان تعبيراً عن تفوق مثلهم العليا . . وجدوا فرصة نادرة ليؤكدوا وجودهم . . كانوا يدركون أن أرواحهم ستكون ثمناً لوقف تقدم الطابور المدرع لوقت يسمح بوصول نجدات لتدميره . .

وما قيمة حياتهم إذا كانوا يؤمنون ويعشقون وطنهم مصر . .

وإذا كان غيرهم يتلاعب بالشعارات ويسمح لنفسه أن يكون صدى لأصوات خارجية ولا يعرف من فن القتال إلا القتال بالكلمات فإنهم يهبون أرواحهم دفاعاً عن كلمة

الله ومصر على طريق كل الشهداء من أجل الدين والوطن . . وسيطر الرجال على نيرانهم . . الطابور المدرع يفتح فى تشكيل قتال ، يتقدم فى اتجاههم مطلقاً نيران التفتيش ليكتشف بها وجود أى قوات أمامه . .

استمرت سيطرتهم على النيران . . كانوا قد اختاروا الموت فلم تفزعهم النيران الباحثة عنهم لتزيحهم من طريق الدبابات . .

واقتربت الدبابات أكثر وأكثر . . هدير الجنازير يصم الآذان . . والنيران والأتربة والدخان تجعل الرؤية بالعين المجردة عسيرة . .

ويحبس الرجال أنفاسهم حتى يدخل العدو فى مرمى نيرانهم المؤثر فتنطلق الصواريخ المضادة للدبابات واحداً خلف الآخر . . وتتفجر أربع دبابات بإصابات مباشرة . .

ويتوقف العدو . . ويزداد معدل إطلاق النيران . .

يحبس الرجال نيرانهم مرة أخرى ، وبسرعة يتحركون إلى موقع آخر . . لقد اكتشف العدو مكانهم . . ولقد حدث الذى توقعوه . . فتحول غضب العدو إلى سيل من النيران أحرق المنطقة التى كانوا يكمنون بها . . .

وتصورت قيادة الطابور المدرع أن الحياة بكل أنواعها قد ماتت فى هذه المنطقة التى صبوا عليها نيرانهم . . وتقدم الطابور مرة أخرى وإذا به يواجه بالنيران من موقع آخر . .

ويتوقف الطابور ليصب نيراناً رهيبة ويترجل مشاته ويتقدمون بعد أن ظنوا مرة أخرى أن النيران قضت على مقاومة المدافعين . . ولكن مرة أخرى ينفتح سيل النيران المصرى . . ويتساقط أفراد العدو قتلى ويتراجعون وتتراجع الدبابات . .

كانت الصورة أمامهم كما لو كانت الأرض فى المنطقة كلها مزروعة بالمقاتلين المصريين .

وانتهت المعركة التى دارت على مسافة كيلو مترين ، ٨٠٠ متر من واحة المنايف فى الساعة السادسة مساء .

* خلال هذا اليوم وجه العدو هجمتين مضادتين ضد الفرقة ١٦ المشاة.

الهجوم الأول بقوة كتيبة دبابات اخترقت الجانب الأيمن للفرقة وخسر العدو ٣٠ دبابة .

الهجوم الثانى فى اتجاه الجانب الأيسر للفرقة ١٦ مشاة بقوة كتيبة دبابات .

* قام العدو بالهجوم على الجانب الأيمن للفرقة الثانية المشاة بقوة سرية دبابات وسرية مشاة

النشاط الجوى

خلال القتال الجوى الذى دار بين تشكيلات من المقاتلات المصرية القاذفة من طراز ميج ١٧ وبين مقاتلات العدو من طراز ميراج فوق منطقة سرابيوم غرب القناة نجح أحد الطيارين فى إسقاط طائرة ميراج ويصل بذلك عدد الميراج التى سقطت خلال اشتباكات جوية إلى أربع طائرات .

اليوم السابع عشر للقتال يوم ٢٢ / ١٠ (ضربة الصواريخ أرض / أرض)

بأوامر من الرئيس السادات أطلقت المدفعية المصرية ٦ صواريخ أرض/أرض متوسطة المدى على القوات الإسرائيلية فى منطقة الثغرة وبالتحديد فى المنطقة بين فايد والدفرسوار وألحقت هذه الضربة بالعدو قدراً هائلا من الخسائر فبالإضافة إلى الرءوس المتفجرة التى تحملها هذه الصواريخ فإنها كانت تحمل وقوداً سائلا يصل حجمه إلى حوالى ٩ أطنان . . . انتشر فوق أرض المنطقة مشكلا بحيرة من اللهب والنيران أحرقت كل أفراد ومعدات العدو فى المنطقة .

الكوبرى رقم ١٠

الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً ظهرت دورية استطلاع مدرعة للعدو تتقدم فى الطريق من سرابيوم إلى الإسماعيلية كمقدمة لدفع أكبر . .

وبالقرب من كوبرى رقم ١٠ على ترعة المنايف كانت النيران المصرية فى انتظارها . .

وبمجرد اقتراب الدورية أصدر القائد الشاب أوامره بفتح النيران وأصابت القذيفة الأولى عربة مدرعة من طراز م ١١٣ فى المقدمة فنزعت غطاء الموتور من الأمام ودخلت بعض الشظايا إلى المركبة فأبطلت الموتور ونتج عنها بعض الفتحات فى الجسم المدرع .

وتراجعت باقى الدورية فى محاولة للخروج من مدى النيران .

* واصل العدو هجماته المضادة ضد الجانب الأيسر للفرقة ١٦ المشاة . بقوة سرية دبابات وسرية مشاة .

* تقدمت ٣ دبابات للعدو كمفرزة فى الطريق إلى الإسماعيلية فاصطدمت بكمين أعدته مجموعة من رجال الصاعقة .

ويأتى الطيران الإسرائيلى لتطهير المنطقة بعدها تتقدم قوة من المدرعات تصطدم بعدة كمائن ، ويعود الطيران إلى العمل ويصاب مجدى قائد الصاعقة بحروق وصمم كامل نتيجة إنفجار إحدى القنابل الحارقة على مسافة ٥ أمتار منه .

كمين عند أبو عطوة :

الساعة الخامسة مساء يوم ٢٢ أكتوبر . . وقبل موعد وقف إطلاق النار شاهدت إحدى مجموعات الصاعقة التى تقوم بواجب اصطياد العدو فى منطقة الثغرة والمشاركة مع باقى القوات فى منعه من دخول الإسماعيلية ٣ دبابات للعدو تتقدم بأقل قدر من الضوضاء نتيجة تغطية جنازير الدبابات بطبقة من « الكاوتشوك » لكتم الصوت على محور « أبو عطوة » الإسماعيلية وحبس أفراد الكمين نيرانهم انتظاراً لوصول الدبابات إلى أقرب مسافة من مرمى النيران .

وانهمرت النيران بمجرد دخول الدبابات إلى المنطقة التى رأى الرجال أنها مناسبة ، وتم تدمير الدبابات الثلاث .

. . . وكمين آخر

الساعة الثامنة والنصف من مساء نفس اليوم ، سمعت نفس المجموعة من رجال الصاعقة أصواتاً تتكلم اللغة العبرية كانت تقترب من المكان الجديد الذى كمنوا فيه ، فأدركوا أن العدو أرسل جنوده المترجلين فى محاولة لتحقيق نتائج أفضل فى القضاء على الكمائن المنتشرة فى المنطقة ، ولإنشاء كمائن لاصطياد دورياتنا التى تجوب المنطقة .

وقبل أن يصل أفراد العدو إلى حيث يكمن رجال الصاعقة بدأوا يحفرون الأرض لإنشاء خنادق وقاعدة يرتكزون عليها ويعيدون منها محاولة التقدم إلى المدينة .

وأصدر القائد أمره بفتح النيران دفعة واحدة ، ونتيجة المفاجأة ترك الإسرائيليون أسلحتهم ولم يأخذوا معهم سوى أدوات الحفر .

بعدها فتحت مجموعة معادية نيرانها فى اتجاه الرجال واستمر تبادل إطلاق النار لمدة ساعتين بعدها انسحب العدو .

وانتظر الرجال حتى مطلع الفجر لمهاجمة المنزل الذى كانت تحتمى به المجموعة الإسرائيلية الثانية ، ولكنهم لم يجدوا سوى أسلحة العدو فقط .

وشعر القائد أن هناك خدعة ما . . وأمر رجاله بالرقود فوراً على الأرض حول المنزل . .

كان التساؤل لماذا لم يأخذ العدو أسلحته معه ، لقد سحب قتلاه وكان لديه الوقت لسحب أسلحته ومعداته ولم يسترسل القائد فى تساؤلاته فلقد فتح العدو نيرانه على المنزل بكثافة وتركيز .

واشتبكت مع العدو المجموعة الثانية من الصاعقة التى تقوم بواجب الستر بالنيران .

* استطاع العدو أن يسيطر على المنطقة المحصورة بين جبل المنايف جنوب الإسماعيلية وعلامة الكيلو ١٠٢ على طريق القاهرة السويس ، كما نجح فى الوصول إلى ميناء الأدبية والعين السخنة ومرسى السادات على خليج السويس .

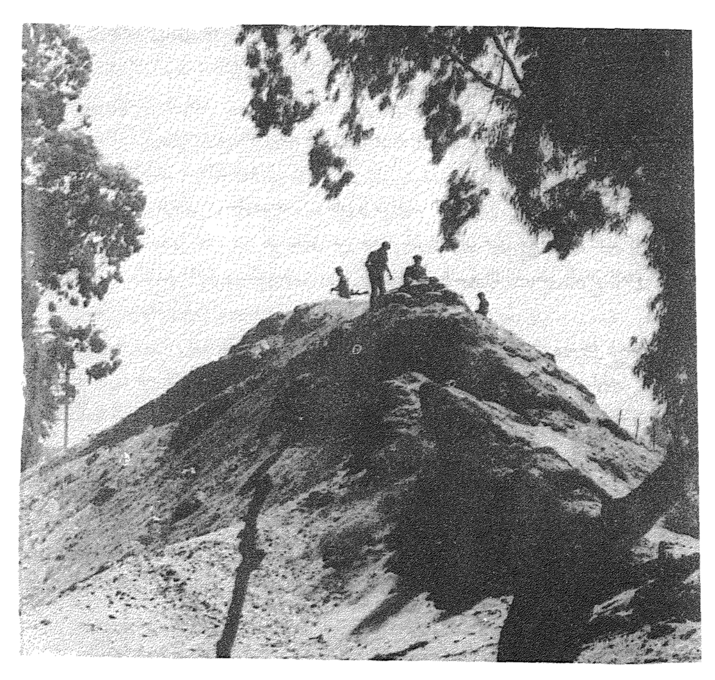
* نجحت إسرائيل فى الوصول بمجموعة عمليات كاملة غرب القناة وصلت بعد وقف إطلاق النار إلى حوالى ستة ألوية مدرعة ولواء مشاة ميكانيكى ولواء مظلات وثلاث كتائب مدفعية ميدان عيار ١٥٥ مم وعناصر مهندسين عسكريين وعناصر من الأسلحة المعاونة الأخرى وأسلحة الخدمات .

اليوم الثامن عشر للقتال يوم ٢٣ / ١٠

بعد وقف إطلاق النار يوم ٢٢ أكتوبر حاول العدو التقدم فى الطريق إلى الإسماعيلية مجدداً محاولة تحقيق أهدافه ، وكان التقدم هذه المرة عن طريق آخر شمال الطريق الأول . .

كان يسد طريق العدو هذه المرة أربعة من الرجال . . اثنان من الضباط أحدهما « الحداد » كان قد شارك فى صد تقدم الطابور المدرع ظهر يوم ٢١ أكتوبر . . واثنان من الجنود . .

وكانت محاولة العدو الجديدة بأربع عشرة دبابة . .



العدو غرب القناة

وبدأ الرجال الاشتباك مع العدو ، ودمروا له دبابة عندما دخلت فى مدى نيرانهم وتوقف الطابور المدرع هذه المرة لاستدعاء القوات الجوية لمعاونته فى القضاء على هذا الموقع الذى يقاوم ويعوق تقدمهم .

واشتركت نيران الطائرات والدبابات فى « تمشيط المنطقة » ، بعدها تقدم مشاة العدو ونيران رشاشاتهم تسبقهم . . ودفعة واحدة يسقط منهم أربعة قتلى ، فيصرخون وهم يتراجعون إلى الخلف ، وتعود مدافع الدبابات تهدر من جديد ، ويجىء الطيران مرة أخرى ليسقط عشرات الأطنان من الذخيرة . .

ويحتمى الرجال فى حفرهم بعد أن غادروا مواقعهم الأولى . .

ويعاود العدو الكرة بعد أن تحقق من جديد أن الطيران قد نجح فى إسكات كل مقاومة ، ويتقدم المشاة ويسقط منهم سبعة قتلى آخرون وللمرة الثالثة يعود طيران العدو ليقصف المنطقة بعشرات جديدة من الأطنان . .

لكنه فى هذه المرة يفقد عدداً من طائراته بنيران الدفاع الجوى المصرى ويترجل العدو مرة أخرى محاولا التقدم بحذر هذه المرة فلقد سقط له قتلى خلال محاولتين سابقتين ، ويدرك الرجال أن العدو سيكون أكثر حذراً هذه المرة فيحبسون نيرانهم لفترة أطول ويحبسون مع النيران أنفاسهم . .

ويتقدم مشاة العدو تسبقهم نيران الدبابات ثم تتوقف نيران الدبابات بعد أن يقترب أفراد العدو من مرامى نيرانها ، ويفتح العدو رشاشاته فى كل اتجاه بحذر ، والنيران غزيرة وأصوات الانفجارات قد توقفت وبقيت فقط أصوات طلقات الرشاشات ويقترب العدو الحذر أكثر وتنطلق نيران الرجال فجأة فيسقط أمامهم قتيلان ويفر الباقون .

وينسحب الطابور المدرع أخيراً مخلفاً دبابة محترقة و١٣ جثة . .

وأقول إنه لم يسقط لنا شهداء خلال هاتين المعركتين . .

أقول . . إن الرجل الذى كان له شرف الاشتراك فى المعركتين قد أصيب فقط ببعض الكدمات فى جسمه فقط نتيجة عنف القصف الجوى

أقول إننى كنت شاهد عيان للمعركة الثانية ، وإننى تصورت فعلا أن القصف الجوى سوف ينتج عنه بالقطع استشهاد رجالنا الأربعة ولكن . . كانت دهشتى الكبرى عندما

وصلت إلى المنطقــة ، ووجدت الرجال الأربعة على قيد الحياة . . وأمامهم أرض مفروشة بعشرات الأطنان من الذخيرة التى ألقتها الطائرات المعادية وأطنان أخرى من القذائف التى أطلقتها الدبابات ، ودماء ١٣ جثة ودبابة مازالت رائحة الطاقم المحترق داخلها تملأ المنطقة .

وأقول . . إن بسالة هؤلاء الرجال وزملاء لهم من الصاعقة الكوماندوز والمظلات والإبرار الجوى كانت السبب فى وقف تقدم قوات العدو إلى الإسماعيلية والحيلولة بينه وبين تحقيق هدفه فى حصار وتطويق الجيش الثانى كما كان مخططاً .

وكانت هذه هى النقطة التى تحولت فيها خطة الانتقال بمسرح العمليات غرب من عمل استراتيجى إلى عمل تكتيكى . .

وألقى العدو بثقله بعدها فى محاولة مستميتة لاحتلال السويس . .

* تقدمت إحدى وحدات العدو فى الساعة الرابعة والنصف صباحاً للهجوم على الوحدات المصرية التى تدافع عن المنطقة جنوب الإسماعيلية ودارت معركة مع رجال الصاعقة تستمر حتى الساعة التاسعة صباحاً بعدها يترك العدو ميدان المعركة .

النشاط الجوى :

فوق منطقة فايد كان الاشتباك الرابع بين الميج ١٧ والميراج . . وخلال هذا الاشتباك سقطت الميراج الخامسة خلال معارك أكتوبر بواسطة المقاتلات القاذفة المصرية .

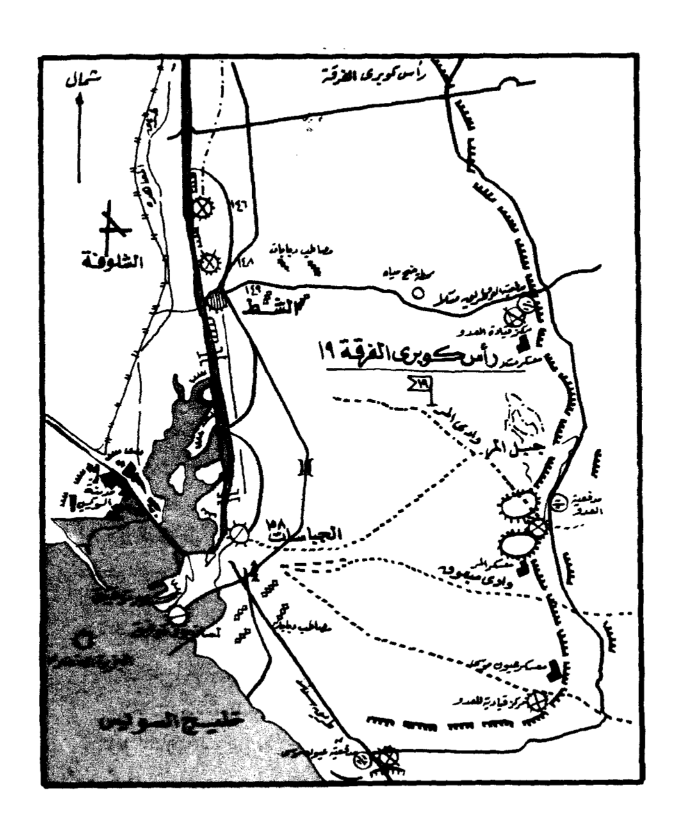
قصة السويس :

سوف تظل أيام السويس الأربعة المجيدة من أروع فصول ملحمة أكتوبر العظيمة .

خلالها . صدت المدينة – كلها – ثلاث محاولات إسرائيلية لاقتحامها .

وعلى مشارف السويس ومن حولها فقدت إسرائيل ٣٣ دبابة و ٧٠ قتيلاً دون أن تتمكن من دخولها .

وعندما بدأت طلائع العدو تقترب على طريق المعاهدة فى اتجاه المدينة كانت الخطة بسيطة بساطة الرجال الذين نفذوها . . .



رأس كوبرى الفرقة
شمال
الشلوفة
الشط
رأس كوبرى الفرقة ١٩
جبل المر
الجباسات
مصاطب دبابات
محطة ضخ مياه
معسكر المر
وادى مبعوق
خليج السويس

منع العدو من دخول المدينة وبأى ثمن . .

نعم قاتل المدنيون وقاتلت المقاومة الشعبية وقاتل رجال شرطة المدينة . . ولكن العبء الأكبر فى معارك الأيام الأربعة وقع على عاتق أفراد القوات المسلحة .

كانت قيادة القوات الموجودة شرق القناة تشعر أن ظهر قواتها سوف يتعرض للخطر إذا ما نجح العدو فى احتلال السويس . .

وكان هدف العدو الاستيلاء على المدينة لاستكمال تطويق الجيش الثالث الميدانى الموجود شرقاً بعد أن فشل فى محاولة تطويق الجيش الثانى ، كما أن الاستيلاء على مدينة كالسويس يمثل هدفاً استراتيجياً ، وقد يحقق مثل هذا الاحتلال للقوات الإسرائيلية غرب القناة نوعاً من التوازن الاستراتيجى الذى تفتقده ، وذلك فوق الأبعاد السياسية والنفسية والدعائية لمثل هذا النجاح .

ولأن قيادة العدو قررت الاتجاه جنوباً بعد رحلة استطلاعية بالهليكوبتر قام بها وزير الدفاع موشى ديان ورئيس الأركان دافيد اليعازر . . ولأن هذا القرار سيتم وضعه موضع التنفيذ بعد صدور قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار ، فقد أعلنت مقدماً سقوط مدينة السويس وكانت القيادة الإسرائيلية بهذا الإعلان تعلن أيضاً عن ثقتها فى قدرتها على احتلال المدينة ! !

وكان قتال القوات الإسرائيلية لاحتلال مدينة السويس هو الذى يطلق عليه العسكريون « قتال ما قبل النهاية » وفى هذا النوع من القتال فإن الطرف الجريح يلقى فى العادة كل ثقله فى آخر محاولة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه وتحقيق أى قدر من المكاسب !

وكان العدو قد نجح بعد وصوله غرب القناة فى تدمير بعض قواعد الصواريخ المضادة للطائرات فى المنطقة ووفر بذلك حرية العمل أمام قواته الجوية . . وكثف غاراته الجوية على قواتنا شرق وغرب القناة .

وتحركت قوات العدو واستطاعت الوصول إلى مشارف المدينة عند بداية ليلة ٢٣ أكتوبر ، حيث أحاطت بالمدينة من طريق القاهرة – السويس الصحراوى ، وطريق المعاهدة الذى يصل إلى الإسماعيلية ، وطريق الزيتية والطريق المؤدى إلى الجناين . .

وخلال الفترة التى سبقت وصول قوات العدو كانت قوات الفرقة ١٩ المشاة التى

تؤمن مساحة كبيرة من رأس كوبرى الجيش الثالث شرق القناة قد دفعت ببعض وحداتها إلى غرب القناة وأعاد « العميد » يوسف عفيفى – اللواء يوسف عفيفى الآن – قائد الفرقة توزيع وحداته استعداداً لملاقاة العدو ، وقامت بعض هذه الوحدات باحتلال الساتر الترابى على ضفتى القناة ، وأسلحتهم فى اتجاه العدو المتقدم فى اتجاه السويس ، وتم تلغيم الفتحات الشاطئية فى الساتر الترابى شرق القناة ودفعت مجموعات استطلاع ليلة ٢٢ / ٢٣ أكتوبر إلى منطقة معسكر « حبيب الله » على الضفة الغربية للقناة لإبلاغ الفرقة بنشاط العدو فى هذه المنطقة .

وابتداء من يوم ٢٢ أكتوبر تم توجيه بعض مدفعيات الفرقة لتغطية قطاعات معينة غرب القناة ، وكذلك دفع مركز ملاحظة للمدفعية على الساتر الترابى غرب القناة لإدارة نيران المدافع التى خصصت لتغطية هذه القطاعات . .

وبالفعل اشتبكت تلك المدافع يوم ٢٣ أكتوبر ، لمدة ثلاث ساعات ونصف ساعة نفذت خلالها خمس مهام نيرانية (منها ٢ حشد نيران) و (٣ مهام نيرانية بالضرب على قطاعات متفرقة) فمنعت بذلك دبابات العدو من اقتحام مركز القيادة المتقدم للجيش الثالث غرب القناة والذى يبعد عن مواقع هذه المدافع الموجودة شرقى القناة بحوالى ٢٠ كيلو متراً .

وفى الساعة العاشرة من صباح نفس اليوم تم تحريك سرية صواريخ موجهة مضادة للدبابات بقيادة المقاتل « حسام » إلى غرب القناة عابرة فوق ناقلة جنود برمائية وتحت وابل كثيف من القصف الجوى والأرضى للعدو ، وفى الساعة الثانية والنصف من ظهر هذا اليوم احتلت تلك السرية « خط نيران » على بعد ٨ كيلو مترات شمال مدينة السويس لملاقاة دبابات العدو المتجهة على طريق المعاهدة شرقى مطار الشلوفة .

وفى الساعة الخامسة والنصف بعد ظهر يوم ٢٣ أكتوبر تقدم لواء مدرع إسرائيلى (١١٠ دبابات) إلى الكيلو ١٠٩ على طريق السويس ، وقام العدو بدفع كتيبة دبابات وسرية مشاة ميكانيكية فى اتجاه المدينة ، وعند وصولها إلى منطقة المثلث شمالى المدينة كانت تنتظرها قذفة نيران قوية مفاجئة من مدفعية الفرقة كبدتها خسائر كبيرة بلغت ثمانى دبابات ، وتشتتت الدبابات الباقية شمالا وغرباً .

وفى الوقت نفسه كانت هناك ١٠ دبابات للعدو تعمل كمفرزة جانبية لتأمين اللواء المدرع الإسرائيلى على طريق المعاهدة ، وعندما بدأت فى مهاجمة إحدى قواعد الصواريخ المضادة للطائرات شرقى مطار الشلوفة مستخدمة فى ذلك الذخيرة شديدة الانفجار والرشاشات نصف بوصة . .

اشتبكت سرية الصواريخ المضادة للدبابات بقيادة المقاتل « حسام » مع تلك الدبابات وأمكن على الفور تدمير ٤ منها وارتد الباقى شمالا مبتعداً عن قاعدة الصواريخ .

وعندما وضح ليلة ٢٣ أكتوبر أن السويس أصبحت هدفاً رئيسيًّا للعدو تم تنظيم دفاعات المدينة إلى جانب تدعيمها بقوات من الصاعقة وأطقم اصطياد دبابات من الفرقة ١٩ المشاة وبعض وحدات المشاة الميكانيكية بالإضافة إلى مجموعة مقاتلى منظمة سيناء ، وهم أصلاً من رجال السويس المدنيين الذين تطوعوا للعمل الفدائى ودربتهم المخابرات الحربية للقيام بأعمال ذات صفة خاصة ، وأيضاً وحدات الدفاع الشعبى والمدنى والشرطة .

باختصار ، تحول الجميع إلى مقاتلين . . كان السلاح فى أيديهم . . وكان يسيراً على الذين لا يحملون السلاح أن يحصلوا عليه .

فى الساعة السادسة والنصف صباح يوم ٢٤ أكتوبر بدأ العدو هجومه على المدينة بغارات جوية مكثفة استمرت حتى الساعة التاسعة والنصف استهدفت جانبى طريق القاهرة وجانبى الطريق الرئيسى المؤدى من المثلث إلى بورتوفيق ، بينما بدأ القصف بالدبابات والمدفعية على وسط المدينة وسائر أنحائها بشكل عشوائى .

وفى الساعة الثامنة والنصف تقدم العدو بعشر دبابات جنوبى المنطقة التى هاجمها بالأمس على طريق المعاهدة وشمال قاعدة الصواريخ ، ولكنه خصص ١٥ دبابة أخرى للتقدم من اتجاه الغرب إلى الشرق فى اتجاه الطريق الأسفلت ومعسكر الشلوفة .

وتدخل مرة أخرى المقاتل « حسام » وسريته التى كان قد تعطل أحد قواذفها ، وأمكن تدمير ٩ دبابات للعدو على محورين ، فاضطر إلى الارتداد شمالا مرة أخرى .

ولأن عربة ذخيرة السرية المضادة للدبابات قد دمرت ، فقد صدرت إليها أوامر قائد الفرقة لاسلكيًّا بالتوجه إلى مدينة السويس والقتال بالقواذف « آر . بى . جى » التى

معها حتى يعاد إمدادها بالصواريخ اللازمة . وبالفعل وصلت السرية إلى السويس الساعة العاشرة والدقيقة ٣٠ صباحاً من خلال كفر أحمد عبده ، وأخفوا قواذف الصواريخ بين مبانى المدينة ثم عملوا على هيئة مجموعات اقتناص دبابات عند منطقة الأربعين والمثلث .

وعند توجه إحدى المجموعات إلى المنطقة الأخيرة تبين أن العدو نجح فى التسلل منها بدبابتين وأربع عربات مجنزرة ، فقام رجال هذه المجموعة بإطلاق القذيفة الأولى التى سرعان ما تبعتها نيران كثيفة من بعض عناصر القوات المسلحة وقوات الدفاع الشعبى والشرطة ورجال منظمة سيناء ، فتحولت المنطقة إلى كتلة من النيران أسفرت عن تدمير مركبات العدو الست بمن فيها .

كان العدو يهاجم من اتجاهين رئيسيين هما الزيتية والمثلث واتجاه ثانوى من منطقة الجناين ، ولم يكن يتوقع أى مقاومة من المدينة بعد القصف الجوى العنيف ! هنا ينبغى ابداء ملاحظة عامة ، وهى الصعوبة التى يتميز بها القتال فى المدن ، حيث يصبح مدى الرؤية محدوداً أمام المدافع والقدرة على إجراء المناورة الواسعة محدودة أيضاً . وبالنسبة للمهاجم فإنه يواجه بأنواع من القتال لم يتوقعها .

وبالفعل نجح العدو فى اختراق المناطق المكشوفة عند مشارف المدينة ووصل حتى قسم الأربعين .

ولم تكن الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة عندما انطلقت أول قذيفة مضادة للدبابات من مدفع يحمله الشهيد إبراهيم سليمان فى نفس الوقت خرجت قذيفتان مضادتان للدبابات من أطقم اقتناص الدبابات التى صدرت لها الأوامر بالعمل داخل المدينة والتى سبق أن وصلت إلى داخل المدينة فى الساعة العاشرة والنصف .

وفى لحظات أصبح الجميع محاربين .

وواصلت القوات المسلحة اشتباكها مع وحدات العدو على مشارف المدينة وأحدثت بها خسائر وصلت إلى ٣٣ دبابة وعربة مدرعة .

وفى حوالى ساعة ونصف تم وقف هجوم الطابور المدرع الإسرائيلى ، وقفز عدد من جنوده إلى الطريق واختفوا داخل البيوت ، خاصة فى مبنى قسم الأربعين ، وهكذا بدأ قتال متلاحم داخل المدينة ذاتها ، وسقط أحد عشر جندياً من رجال الشرطة شهداء

أثناء الدفاع عن قسم الأربعين .

وعاود العدو هجومه على المدينة فى المساء بسريتى دبابات وسرية مشاة ميكانيكية من ثلاث اتجاهات .

– الجناين فى اتجاه السويس .

– طريق مصر السويس فى اتجاه الأربعين .

– طريق الزيتية فى اتجاه بورتوفيق .

وتمكنت المدينة الباسلة من صد هذا الهجوم برغم تعرضها للقصف الجوى المركز .

ولما كانت مدفعية الفرقة ١٩ قد قامت بالقصف المستمر على العدو فى هذه الأثناء لمنع تقدمه جنوباً فقد نقل العدو هجماته الجوية إلى قوات الفرقة المتمركزة فى منطقة رأس الكوبرى شرق القناة بعنف وضراوة من الساعة الحادية عشرة إلى الخامسة مساء وبتركيز خاص على منطقة الشئون الإدارية والمعابر ومرابض المدفعية المضادة . . للطائرات ومدفعية الميدان .

أثناء ذلك دمرت بعض الكبارى المقامة على قناة السويس خلف الفرقة ولكن سرعان ما استعيض عنها بالمعديات والناقلات البرمائية . .

وفى نفس اليوم ضغط العدو بدباباته وركز ضرباته الجوية على القوات المدافعة فى منطقة الترعة الحلوة من اتجاه طريق المعاهدة وطريق القناة فاضطرت إلى تعديل أوضاعها بعد معركة مريرة إلى منطقة حوض الدرس الواقعة بين قناة السويس ومدينة السويس شرقاً والتى كانت تتمسك بها الفرقة لحماية ظهرها فكانت المنفذ الذى يصل قوات رأس كوبرى الجيش الثالث الميدانى بمدينة السويس .

واستمر القتال بين القوات الإسرائيلية التى نجحت فى الوصول إلى داخل المدينة واحتمى بعضها داخل قسم الأربعين والقوات التى تدافع عن المدينة . .

وحوالى الساعة الرابعة مساء اندفع عدد من رجال قواتنا المسلحة ، ورجال منظمة سيناء لاقتحام قسم الأربعين واستشهد عدد من رجال القوات المسلحة ومن أفراد منظمة سيناء خلال الهجوم ، وفى تمام الساعة الرابعة مساء تم تطهير القسم وأخطر بذلك العقيد فتحى عباس أحد قادة السويس وأحد الذين تحملوا مسئولية الدفاع عن المدينة وصمودها .

وفى المساء وصلت إلى قائد الفرقة ١٩ مشاة إشارة من المقاتل « حسام » والمقاتل « عزت » ضابط ملاحظة المدفعية الذى كان يوجه نيران مدفعية الفرقة الفرقة تفيد بتماسك المدينة وتدمير قوات العدو التى تسللت إليها والتى بلغت ١٩ دبابة و ٩ عربات مجنزرة ، ٤ لوريات ومقتل ٣٩ جندياً ترك العدو جثثهم داخل المدينة وعلى مشارفها .

وكان طبيعياً بعد ذلك كله أن يلجأ العدو إلى أساليب الحرب النفسية للضغط على قوات الجيش الثالث شرق القناة فقد ألقى منشورات موقعة من الجنرال جونين قائد الجبهة الجنوبية يطالبها فيها بالاستسلام ، وأنها قد أبلت بلاء حسناً ولا فائدة فى استمرار القتال .

وعندما جاء الليل أدرك الجميع أنهم قد نجحوا فى وقف محاولة العدو . . ولكنها لن تكون الأخيرة على أى حال .

وفى الساعة الحادية عشرة يوم ٢٥ أكتوبر قام العدو بالاتصال بمحافظ السويس تليفونياً عن طريق تليفون موجود بشركة السويس لتصنيع البترول « الزيتية » وأبلغوه أنهم يعلمون بعدم وجود مرافق صالحة بالمدينة ، وعدم وجود مياه أو مؤن غذائية ، وأن عليه أن يقوم بإعلان تسليم المدينة وإلا محوها بالطيران والأسلحة الأخرى . وأعطى القائد الإسرائيلى المحافظ إنذاراً مدته نصف ساعة .

كان شكل التهديد يوحى بأنهم لن يحاولوا اقتحام المدينة مرة أخرى . وبدأ العدو يوجه إذاعاته إلى المدينة ، وقام عدد من رجال الدين ورجال التنظيم الشعبى بالمرور فى الشوارع بالمكبرات الصوتية ، يطلبون من الأهالى اليقظة والوعى . . ويعلنون « اتصل القائد الإسرائيلى ، وطلب تسليم المدينة وهدد بتدميرها بالطيران » .

وأثار الشيخ حافظ سلامة إمام مسجد الشهداء حماس المواطنين وأعلن من خلال مكبر الصوت بالمسجد « أن حى على الكفاح » .

ووصلت إشارة لاسلكية من الرئيس السادات « السويس . . لا تسليم ، القتال حتى آخر رجل . الله معكم » .

واتصل العقيد فتحى عباس بمدير التليفونات ليعطل الخطوط المتصلة « بالزيتية » حتى لا يستطيع العدو إجراء أية محاولة جديدة للاتصال بالمدينة .

وبدأت فى نفس الوقت عملية تنظيم موارد المدينة حتى يمكن استخدامها بأفضل طريقة ممكنة .

وفى هذا اليوم تحسنت إمكانيات الدفاع عن المدينة وكانت كل ساعة تمضى تعنى تحسين موقفها الدفاعى .

وفى الساعة الواحدة ظهراً ، وبعد تطور الأحداث على هذا النحو توقعت قيادة الفرقة ١٩ أن العدو سيعاود هجومه مرة أخرى على المدينة وبتركيز أكبر مما سبق . فأعيد توزيع كمائن اقتناص الدبابات انتظاراً للعدو .

وزادت رغبات التطوع بين رجال الفرقة ١٩ للدفاع عن المدينة فقام القائد باختيار بعض المجموعات ومن بينهم من هم أصلا من أبناء المدينة ووقع الاختيار على المقاتل « رضا » لقيادة هؤلاء الرجال . وتم تشكيل هذه القوة على صورة أطقم اقتناص دبابات ، وتم دفعهم بواسطة اللنشات إلى غرب القناة وكانت مهمتهم الأساسية أن يربضوا عند مداخل المدينة ويتعاملوا مع دبابات العدو التى تحاول الاقتراب من أى اتجاه .

وبنفس هذا المعنى أرسل قائد الفرقة خطاباً إلى محافظ السويس يطمئنه فيه بإجراءات حماية مداخل المدينة والتقاطعات والمراكز الهامة فى المدينة ، وفى الساعة الرابعة مساء كرر العدو محاولة الاتصال بالمحافظ ورد عليهم نائب مدير الأمن . . ومرة أخرى يكرر العدو إنذاره للمدينة بالتدمير بالطائرات إذا لم تستسلم . . وكانت مدة الإنذار هذه المرة ربع ساعة !

وتقدمت بعض دبابات العدو من طريق « الزيتية » بهدف محاولة حصار مبنى المحافظة فتوجه المقاتل « عبد الرحيم » مع رفاقه لملاقاتهم ونجح فى تدميرهم ، فى حين كان هناك المقاتل « حسام » وسريته يقاتلون مدرعات العدو بقواذف « آر . بى . جى » ثم كان أن نفد من هذه السرية إمدادها من ذخائر الصواريخ المضادة للدبابات ، وعلى الفور أخرجت القواذف والعربات التى كانت تخفيها بين شوارع المدينة وأزقتها ودخل عنصر جديد بين خطة الدفاع عن المدينة بالإضافة إلى نيران مدفعية الفرقة المستعدة . .

وليلة ٢٥ ، ٢٦ أكتوبر قامت وحدة صغيرة بقيادة كل من المقاتلين « رضا » و « مراد » بالإغارة على وحدات العدو على الشاطئ الغربى للقناة عند علامة الكيلو ١٥٢ ، واستطاعت أن تكبد العدو ثلاث دبابات وعربة نصف جنزير من طرازم -- ٣ وعدداً من القتلى .

وكان تحول القوات الموجودة داخل المدينة من الدفاع إلى الهجوم نقطة تحول هامة . . فلم يعد دورها أن تنتظر هجمات العدو لتصدها .

وقد برز خلال هذه الفترة الشاب السويسى « محمد » بروحه المعنوية العالية وبدوره فى نقل الذخيرة ومساعدة المقاتلين برغم حداثة سنه . وأصدر قائد الفرقة ١٩ تعلياته إلى قائد مجموعات الدفاع عن السويس لمقابلة المحافظ وإبلاغه بأن الصواريخ المضادة للدبابات قد أصبحت جاهزة للعمل مرة أخرى وإطلاعه على خطة الدفاع المضادة للدبابات عن المدينة .

وانتشرت مجموعات الرجال فى أفضل الأمكنة المتاحة وسيطرت على جميع المداخل وطرق الاقتراب إلى المدينة علاوة على حماية محطة المياه والدفاع عنها لحيويتها . وخلال هذا اليوم واصلت قوات العدو الجوية الإغارة على مواقع قواتنا شرق القناة .

كان اليوم أول أيام عيد الفطر ، واعتقد العدو أن الرجال سيفقدون حذرهم وأنها فرصة مواتية لمواصلة الضغط لإرغامهم على التسليم واستمرت غارات العدو الجوية من الحادية عشرة صباحاً حتى آخر ضوء .

واستعدت المدينة للحياة تحت الحصار . . تم حصر الإمكانيات المتوفرة للسيطرة على توزيعها . وأبدى المدنيون روحاً عالية من الانضباط .

وخلال يومى ٢٦ ، ٢٧ أكتوبر استمر العدو فى محاولاته المتكررة لدخول المدينة وحوض الدرس بهدف عزل رأس كوبرى الجيش الثالث وأيضاً لاحتلال أجزاء من المدينة قبل وصول قوات الطوارئ الدولية ولكن تصدت له صواريخ السرية المضادة للدبابات ودمرت له ٤ دبابات فى منطقة المثلث شمال السويس كما تصدت له مجموعة قنص الدبابات بحوض الدرس ودمرت له ٣ دبابات أخرى وعربة نصف جنزير كما قام المقاتل الشهيد « فاخر » بإغارة ضد دبابات العدو فجر يوم ٢٧ أكتوبر شمال حوض الدرس ودمر له ٧ دبابات وعربة نصف جنزير .

وقام المقاتل « حسام » وسريته بتدمير دبابات للعدو على مسافات أبعد بكثير من هذه المداخل .

وتوقفت محاولات العدو . .

وفى يوم ٢٩ أكتوبر وصلت قوات الطوارئ الدولية لتتخذ أماكنها وكان العدو قد نجح فى احتلال الأدبية وعندما استردتها قواتنا بعد ذلك بـ ٢٤ ساعة تمكن من إعادة احتلالها مرة أخرى .

وبوصول قوات الطوارئ انتهى قتال « ما قبل النهاية » وكانت خسائر العدو ٤٣ دبابة داخل وخارج السويس خلاف العربات المدرعة ، كما تبين فيما بعد من الكشوف التى قدمتها إسرائيل لهيئة الصليب الأحمر ، بشأن ضحاياها التى لم يمكن العثور على جثثهم أن السويس فتكت بقادة الهجوم الإسرائيلى وعلى رأسهم يورى أريل والنقباء موشى مندسون وآمون زهار وكارمن أدلر وذلك من بين جثث ٦٨ ضابطاً ، ٢٣ طياراً و ٣٧٣ جندياً ومدنياً هم مجموعة القتلى الذين لم تعثر إسرائيل عليهم خلال عملية القتال غربى القناة .

صمود كبريت

كان عددهم لا يتجاوز المائتين ولم يزد العنصر المدرع الموجود معهم عن عدد محدود من الدبابات مع هذا صمدوا طوال ١٣٤ يوماً من الحصار والضغط المستمر عليهم .

كانت قواتنا قد أتمت الاستيلاء على موقع شرق كبريت الذى يرتكز على شاطئ البحيرات المرة يوم ٩ أكتوبر ، أتمت تطهيره واتخذت أماكنها فى المنطقة طبقاً لظروف المعركة المتغيرة .

وحاول العدو استرداد الموقع دون جدوى .

وطورت قواتنا هجومها يوم ١٤ أكتوبر ، بعدها بدأ العدو هجومه للاختراق والوصول غرب القناة .

ونجحت قوات العدو فى فتح ثغرة فى نقطة تمفصل الجيشين الثانى والثالث ووصلت قواته إلى غرب القناة .

وأحاطت القوات الإسرائيلية التى صنعت الثغرة بموقع شرق كبريت ، وأصبح الموقع كجزيرة صغيرة محاطة ببحر من القوات الإسرائيلية .

وهاجمت القوات المعادية الموقع بإعداد ضخمة من كل اتجاه مدعمة بأكثر من

أربعين دبابة غير المدفعيات المختلفة ، كما تركز القصف الجوى عليه بكثافة من الطائرات .

ولم يستسلم الموقع واستمر يدافع بشرف وفدائية ويصد هجمات العدو المتتالية ويدمر له العديد من دباباته .

اجتمع القائد مع رجاله ، ودرسوا الموقف واحتمالاته المختلفة ، ثم أجمعوا على قرار واحد الاستمرار فى مكانهم وأقسموا على الدفاع عن كل شبر يقفون فوقه . .

توقعوا أن يستمر الحصار لفترة طويلة فكان عليهم أن يتغلبوا على عدة مشاكل : الماء والطعام والوقود والذخيرة . . وأخيراً ضغط العدو المستمر . .

وتقرر أن يشرب كل فرد كل يومين للاقتصاد فى كمية المياه الموجودة ، وأن يقتسم كل أربعة أفراد طعام فرد وأن يقتصدوا فى استهلاك الوقود ، وأن يكون استخدامهم للذخيرة بالقدر الذى يحقق استمرار وجودهم فى موقعهم . .

حقيقة كانت كل الظروف تؤدى بهم إلى الاستسلام . لم تكن أمامهم أدنى فرصة للصمود . . العدو يطوقهم ويضغط عليهم بعنف . . نيران العدو لا تتوقف ومخزونهم من التعيينات والوقود والمياه ينفد دون تعويض ، ورغم كل هذه الظروف واصلوا صمودهم .

قائدهم « عبد التواب » الشهيد كان قدوة لهم جميعاً . .

كان أقلهم استهلاكاً للمياه والطعام وأكثرهم جهداً . .

وقرروا ألا يقتصر دورهم على صد هجمات العدو . خرجوا فى عمليات تعرضية لمواجهة العدو . فقد كان هذا يرفع من معنوياتهم ويحقق لهم بعض الغنائم .

نشطت دورياتهم للنيل من العدو .

وزاد العدو من ضغطه عليهم وطالت المدة . .

الرجال بينهم أطباء ومهندسون وخريجون من كلية العلوم . وكان مطلوباً الوصول إلى حلول جديدة لمشاكلهم .

وبدأوا يجربون تقطير المياه المالحة ، استخدموا خشب أعمدة التليفونات و « فلنكات » السكة الحديد لتبخير المياه واستخدموا مياه البحيرة لتكثيف البخار فى « جركن » آخر .

وزادت هجمات العدو ضراوة للتخلص من هذا الجيب الذى يقاوم .

وخسر العدو كثيراً . . فهاجم جواً بكثافة وسقط شهداء وجرحى ولكن ذلك لم يقلل

من إصرار رجال الموقع على الصمود .

وبدأت قيادة الجيش الثالث فى إمداد الرجال المحاصرين بالقوة عبر البحيرات لدعم صمودهم . وفشلت كثير من قوافل الإمداد فى الوصول ، واستشهد كثير من أفرادها . ومع ذلك لم تتوقف قوافل الإمداد . كانت هذه القوافل تحمل للرجال الذخيرة أولاً ثم المياه والوقود وأخيراً الطعام .

وكانت القوافل تحمل أثناء عودتها الجرحى ، وفى إحدى المرات غرق القارب الذى يحمل الجرحى مع طاقمه .

وفى إحدى العمليات الهجومية استشهد قائد الموقع ، وحزن الرجال . ولم يتأثر صمودهم .

بل يمكن القول إن استشهاد القائد كان حافزاً لاستمرارهم فى التشبث بالموقع .

وعرض عليهم العدو الأستسلام فرفضوا . . وضغط العدو . . وخسر . . وسقط من الموقع شهداء . . وأعاد العدو عرضه بخروجهم بدون أسلحتهم . . ورفضوا .

وواصل العدو ضغطه .

وأيضاً يسقط للموقع شهداء . وخسر العدو كثيراً من قطعه المدرعة وأفراده .

وأخيراً أمام صمود الرجال ، عرض العدو عليهم الخروج بأسلحتهم . ورفض الرجال العرض بإصرار .

وفى منطقة بالموقع أقاموا مقبرة للشهداء .

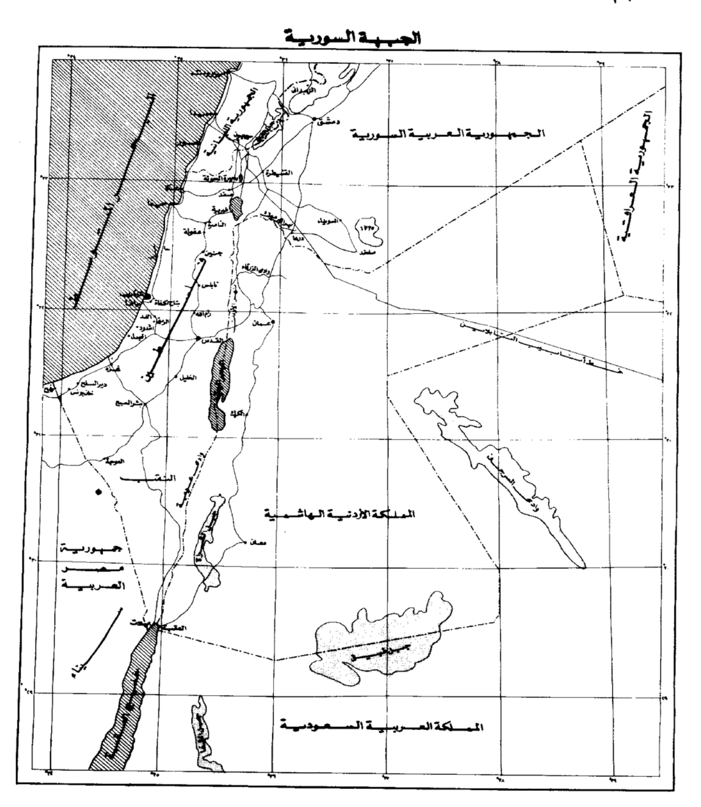
وعرف الرجال الكثير . .

كانوا باستمرار قادرين على التغلب على أى مشاكل تواجههم . وتأقلموا على ظروف حياتهم الجديدة .

وشد صمودهم انتباه العالم عندما أعلن العدو عن استمرار وجود هذه القوة تحت الحصار منذ ١٥ أكتوبر .

وبعد ١٣٤ يوماً انتهى الحصار وبقيت قصتهم رمزاً لصمود أبناء مصر .

الجبهة السورية



البَابُ الثانى

سوريَا

مقدمة

كان الهدف العسكرى المباشر للقوات السورية هو طرد القوات الإسرائيلية من مرتفعات الجولان لتحريرها ثم السيطرة على الطرق التى يتعين أن يأتى منها أى هجوم مضاد وكذلك لكى تكون موقعاً تهدد منه الجليل الأعلى .

الجبهة هنا محصورة بين جبل الشيخ فى الشمال ووادى نهر اليرموك فى الجنوب ، وعرضها حوالى ١٧ ميلاً فقط .

الأرض صخرية وعرة بصفة عامة . وهناك طريق رئيسى واحد يربطها بسوريا وهو الممتد من دمشق إلى القنيطرة ، ومع أن التحركات خارج هذا الطريق ممكنة ، إلا أنه توجد فى أماكن كثيرة صخور ومضايق تمنع تحرك العربات والمدرعات خارج الطريق .

كانت الدفاعات الإسرائيلية ، المنشأة خلف خط وقف إطلاق النار لعام ١٩٦٧ مباشرة ، تتكون أساساً من حقول ألغام ومواقع مضادة للدبابات مخططة بحيث تغلق طرق الاقتراب وتوجه القوات المهاجمة إلى مناطق القتل . وكانت الدفاعات ببعض العمق ولكن طرق الاقتراب الرئيسية من إسرائيل حتى الأرض المرتفعة والتى يتعين أن تأتى عليها الإمدادات كانت مقصورة على طريقين جيدين .

الأول : إلى الجنوب من بحيرة طبرية والثانى يمر عبر نهر الأردن عند جسر بنات يعقوب . وهناك طريقان ثانويان فى أقصى شمال المنطقة يوفران اقتراباً محدوداً ، ولكنهما يقعان تحت سيطرة جبل الشيخ .

كانت القوات السورية المشتبكة فى الهجوم مكونة من : ثلاث فرق مشاة ميكانيكية وفرقتين مدرعتين وكان مجموعهما يتراوح بين ٩٠٠ ، ١٢٠٠ دبابة وحوالى ٤٥ ألف رجل . أما الحامية الإسرائيلية للجولان ، فكانت تتكون من لواءين مدرعين بهما حوالى ١٨٠

دبابة وحوالى ٤٥٠٠ رجل وكان لدى الطيران السورى أكثر من ٣٠٠ طائرة مقاتلة . ولكن أعظم ميزة جوية لدى سوريا كانت تكمن فى دفاعاتها الجوية الثقيلة ، وتضم مدافع مضادة للطائرات وصواريخ مضادة للطائرات من طرازسام ٢ ، سام ٣ ، سام ٦ .

وقد أوقعت هذه القوات خسائر فادحة بالطيران الإسرائيلى .

ولنبدأ قصة الحرب على الجبهة السورية من البداية .

معارك الجولان

خاضت سوريا القتال . . وكانت مفاجأة لم يتوقعها العدو فقد اندلعت النيران من جبهتين فى وقت واحد .

وربما لم يواجه العدو مفاجأة مشابهة منذ دخلت الجيوش العربية فلسطين فى ١٥ مايو عام ١٩٤٨ .

نعم لقد أعد العدو قواته المسلحة للحرب على ثلاث جبهات فى نفس الوقت وأعد مسرح العمليات لهذا الغرض وأعد الدولة كلها للوفاء بمتطلبات هذه السياسة ، ولكن بعد سنوات طويلة من التعامل مع العرب فى ميادين القتال بدأ يقتنع أن مثل هذا الموقف لن يحدث وأن المبادأة ستظل فى يده باستمرار . . وبدأ بالتالى يفقد حذره . .

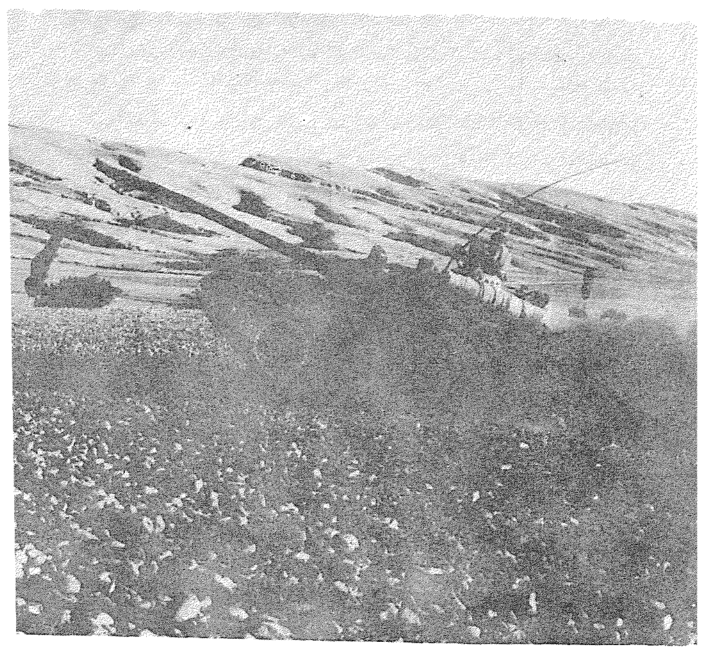
ولم تكن هذه هى البداية . . كانت البداية بعد هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ وبعد انتصار العدو وإحساسه بالمقدرة على سحق عظام العرب فى أى وقت وتحت أى ظروف . .

وبرغم كل ما تردد فى الدهاليز والشوارع الخلفية عن موقف القوات المسلحة السورية والقيادة السورية فى ذلك ، فقد كانت نتيجة المعركة صدمة امتدت إلى أعماق كل إنسان عربى بما فى ذلك المواطن السورى . .

وبدأت سوريا فى تطوير القوات المسلحة وبناء الفرد المقاتل . .

اكتشفت القيادة السورية نتيجة الصدام العسكرى عام ١٩٦٧ أن الجيش السورى لم يكن مستعداً أومؤهلاً لخوض المعركة الحديثة ، معركة الأسلحة المشتركة ، كما لم يكن السلاح المتوفر كافياً لتحقيق الانتصار من ناحية الكم ولا الكيف .

وخطت سوريا فى اتجاه تنظيم وتطوير القوات المسلحة بالتحول إلى نظام الفرق وزيادة



تقدم فى الجولان

حجم القوات المسلحة من ناحية الأفراد والسلاح . .

وبعد المعركة التصحيحية التى قام بها الفريق حافظ الأسد اتسم التطور بمزيد من الجدية . .

خلال هذه الفترة كان على القيادة السورية أن تحتفظ بقدرتها على رد أية محاولات عدوانية من جانب إسرائيل وما يتطلبه ذلك من وجود قوات على درجة كبيرة من اليقظة على امتداد خط وقف إطلاق النار وفى نفس الوقت كان من الضرورى سحب جزء من هذه القوات بصفة مستمرة لإعادة تدريبها . .

وخصصت القيادة السورية ٩٠ ٪ من برنامج التدريب للتدريب على الهجوم واستطاعت القيادة السورية أن تجد حلاً لهذه المعادلة . .

ومع بداية عام ١٩٧٣ وبالتحديد فى شهر فبراير بدأ الإعداد للمعركة . . وبدأت أجهزة التخطيط فى القيادة العامة فى العمل للتخطيط للمعركة وإعداد مسرح العمليات . . والتنسيق مع القوات المصرية المسلحة .

وقام وزير الحربية المصرى يرافقه قادة أفرع القوات المسلحة الرئيسية البحرية والطيران والدفاع الجوى ووفد كبير من كبار القادة بزيارة سرية إلى سوريا لتنسيق التعاون .

بعدها صدر قرار بتشكيل مجلس أعلى موحد للجيشين المصرى والسورى .

وصدقت القيادة السياسية فى مصر وسوريا على قرار إنشاء هذا المجلس فى يولية عام ١٩٧٣ .

وفى ٢٢ أغسطس عقد المجلس اجتماعاً حاسماً فى الإسكندرية تقررت فيه الخطوط النهائية للعمل العسكرى المشترك على الجبهتين كما تقرر فيه بدء العمليات الحربية فى الساعة الثانية ظهر يوم « ى » أى يوم بدء القتال . وعاد القادة السوريون إلى دمشق لمواصلة عملهم التاريخى . .

وظل المجلس الأعلى للقوات المسلحة السورية فى حالة انعقاد مستمر لوضع اللمسات النهائية للخطة .

وقبل بدء العمليات قرر الرئيس الأسد زيارة الاتحاد السوفييتى زيارة سرية لاستكمال

النقص فى الأسلحة والمعدات وقبل أن يبدأ هذه الزيارة قدم إلى مصر فى زيارة سرية واجتمع بالرئيس السادات فى استراحة برج العرب ، بعدها طار إلى موسكو . وكان من نتائج هذه الزيارة حصول كل من سوريا ومصر على بعض الأسلحة والمعدات مما ساعد على سد جزء كبير من احتياجات العمليات الحربية .

وقبل بدء القتال مباشرة استدعت القيادة العامة السورية جميع القادة من رتبة اللواء الذين لهم خبرات عسكرية ويعملون بعيداً عن التشكيلات للإستفادة بخبرتهم فى إدارة العمليات الحربية ومن الذين تم استدعاؤهم . . مدير كلية القادة والأركان ورئيس هيئة التدريب ورئيس هيئة التفتيش واستغلت القيادة السورية مناورات الخريف لتدريب القوات على المهام المكلفة بها أثناء العمليات دون أن تدرك هذه القوات الهدف الحقيقى من التدريب .

وكان على القيادة السورية أن تواجه بعض المشكلات عند التخطيط للعمليات وأهمها الخندق المضاد للدبابات . . كان العدو قد حفر خندقاً على امتداد الجبهة خاصة المناطق التى تصلح للتقدم لمنع الدبابات من العمل . .

وكان هذا الخندق بداية الخط الدفاعى المحصن الذى أقامه العدو فى الجولان على امتداد خط وقف إطلاق النار .

ومن حول الخندق أقام العدو نطاقات كثيفة من الأسلاك الشائكة وبعض حقول الألغام المضادة للدبابات . . ومن خلف الخندق أقام العدو مجموعة من النقط القوية المحصنة على غرار مواقع خط بارليف استغل فى إنشائها خط التلال الحاكمة التى يقف عليها من الشمال إلى الجنوب شرق خط وقف إطلاق النار مباشرة . وأحاط هذه المواقع بنطاقات من الأسلاك الشائكة وحقول الألغام . وأنشأ فى العمق الغربى شرق هذا الخط مجموعة أخرى من المواقع القوية تساند النقط القوية للخط الأول وتدعمها بالنيران وتسد الثغرات الموجودة بينها . . وكانت هذه المنطقة تشكل منطقة قتل لإعاقة تقدم أى قوات مهاجمة .

وكان العدو قد بدأ العمل فى هذا الخط عام ١٩٧٠ واستمر فى دعمه وتطويره باستمرار . . واحتفظ العدو باحتياطياته على مسافة تتراوح بين ١٠ ، ١٥ كيلو متراً وهى مسافة قريبة

للاحتفاظ باحتياطيات ، إلا أن العمق المحدود لجبهة الجولان والذى لا يتجاوز ٢٥ كيلو متراً وقرب خط وقف إطلاق النار من أرض إسرائيل وإمكانية تهديد المستعمرات الغربية عند تقدم أى قوات سورية دفع العدو إلى هذا الإجراء .

وبدأت القيادة فى البحث عن حلول . .

عشرات الابتكارات والحلول تقدم بها المهندسون السوريون . تقرر اختيار أحدها . . وبدأت تجربته ونجحت التجربة فعلا . . بعدها وصلت دبابات كبارى وكان يجب تدريب القوات على اجتياز هذا الخندق . .

وجهزت القيادة ميداناً للتدريب مشابهاً لمسرح العمليات بدأت القوات تكتسب فيه المهارات اللازمة للعمل .

واقتضت ظروف مسرح العمليات أن تهاجم القوات السورية من مواقعها الدفاعية مع كل الجوانب السلبية لهذا الاختيار .

فبعد أكثر من ست سنوات فى الخنادق يصاب الجنود بمرض الخنادق ويفقدون القدرة على الأعمال الهجومية .

واستطاعت القيادة العامة بالتدريب ورفع الروح المعنوية للجنود مواجهة هذه المشكلة . وباستمرار التدريب استطاعت القوات المسلحة أن ترتفع بمستوى كفاءتها القتالية . .

وأثناء مناورات الخريف كانت الفرصة المواتية لمراجعة أخيرة لمدى التقدم الذى حققته القوات . .

وقد اجتمع الرئيس الأسد بالقادة العسكريين قبل بدء العمليات وناقش معهم الموقف تفصيلا . . كان قد تم الاتفاق على بدء العمليات الساعة الثانية ظهراً . ومثل هذا الموعد يمثل تجديداً فى الفكر العسكرى فقد درج القادة على الهجوم إما فى أول ضوء أو آخر ضوء . .

وكان هذا الموعد أحد عوامل تحقيق مفاجأة العدو . وفى نفس الوقت كان هذا الموعد يحقق لكل من الجبهتين الفترة الكافية للعمل فى ظروف أفضل ضد العدو . . كانت ظروف العمل ضد العدو فى سيناء وضرورة اقتحام قناة السويس واجتياح خط بارليف فى ظل تفوق العدو جويًّا تتطلب بدء العمليات الحربية مع آخر ضوء لحرمان العدو الجوى من التدخل بفعالية ضد قواتنا . .

وفى نفس الوقت كانت الشمس ستظاهر القوات المصرية المهاجمة وكانت ظروف المسرح فى الجولان تتطلب بدء العمل مع أول ضوء لإتاحة الفرصة للدبابات والقوات لاجتياز الخندق وخوض المعارك مع قوات العدو . .

وأثار بعض القادة السوريين خلال اجتماع الأسد بهم مشكلة توقيت بدء العمليات الحربية ، واحتاج الأمر أن سافر وزير الحربية المصرى لمناقشة الأمر وإقناع القادة السوريين بالتوقيت المختار . .

وكان على القيادة السورية أن تضع خطة للخداع الاستراتيجى والتعبوى والتكتيكى لتضليل العدو عن النوايا السورية .

لقد كان طبيعياً ومنطقياً أن يرى العدو ويكتشف عملية الحشد وكان من الضرورى أن يرى ولا يفهم . .

وفى إطار خطة الخداع الاستراتيجى نشرت أجهزة الإعلام السورية يوم ٥ أكتوبر أن الرئيس حافظ الأسد سيزور محافظة دير الزور وبعض المحافظات الأخرى يوم ٦ أكتوبر لعدة أيام . . وكان معنى هذا الخبر أن الأسد القائد العام للقوات المسلحة السورية سيكون بعيداً جداً عن القيادة العامة وبالتالى ليس هناك أى خوف من عمليات سورية عسكرية خلال هذه الفترة كما راعت القيادة السورية عامل السرية طوال مرحلة الاستعداد . .

ولإجراء الحشد للهجوم لجأت القيادة إلى دفع القوات إلى احتلال أوضاعها الهجومية على فترة زمنية طويلة وبالتدريج . .

وكانت القيادة السورية قد روضت العدو على هذا الإجراء . . فقد سبق أن حشدت قواتها على امتداد الجبهة مع احتلال مواقعها المتقدمة واتخاذ الأوضاع الهجومية أربع مرات خلال عام ١٩٧٣ ، حتى لا تثير انتباه العدو أثناء إجراء الحشد الحقيقى للعمليات وقد صاحب إجراء الحشد توترات على الجبهة وفى الموقف العام . .

فقد قام العدو الجوى باستدراج القوات الجوية السورية إلى كمين جوى أسقط خلاله ١٣ طائرة يوم ١٣ سبتمبر عقب عودة الرئيس الأسد من اجتماعات مؤتمر عدم الانحياز فى الجزائر ومؤتمر القمة الثلاثى للسادات والأسد وحسين فى القاهرة .

كما كان بعض أفراد المقاومة الفلسطينية قد نجحوا فى اختطاف قطار للمهاجرين الروس عند الحدودالنمساويةيوم ٢٧ سبتمبر وكان من الطبيعى توقع رد فعل معاد . .

وتحت ستار اتخاذ الإجراءات الدفاعية لتوقى أية محاولات معادية للثأر لنجاح عملية النمسا وإغلاق معسكر شوناو والاستعداد لمواجهة أية محاولات عدوانية جديدة بعد المعركة الجوية نجحت القوات السورية فى اتخاذ أوضاعها تحت سمع وبصر العدو دون أن يدرك الهدف الحقيقى لهذا الحشد .

وأعلنت سوريا أن قواتها المسلحة تتخذ الإجراءات اللازمة لمواجهة حشود العدو على الجبهة السورية إمعاناً فى نشر الضباب حول حقيقة النوايا السورية من الحشد . .

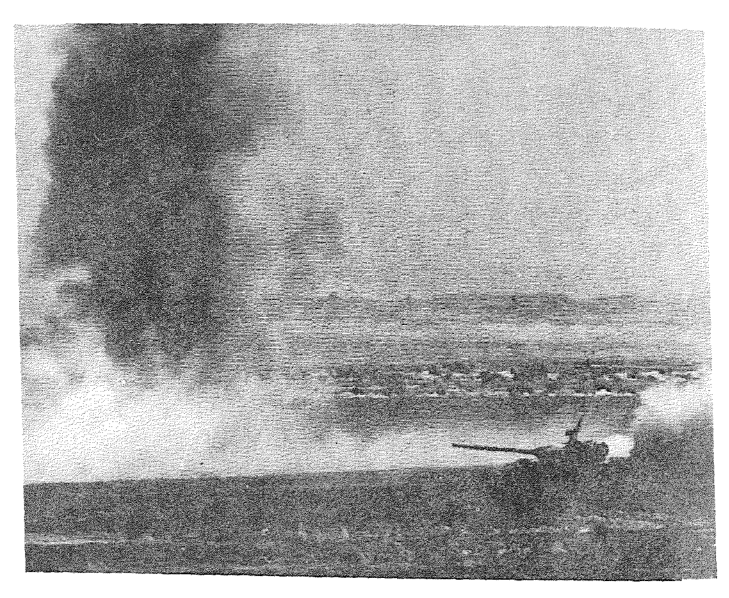
وساعد على تحقيق المفاجأة الاستراتيجية :

* الجهود السياسية للسياسيين العرب التى تركزت خلال هذه الفترة للوصول إلى حلول سلمية والتظاهر بعدم قدرة العرب على الدخول فى معركة مع إسرائيل .
* انتصار العدو فى يونية عام ١٩٦٧ وبالتالى اقتناع القادة العسكريين فى إسرائيل بقدرتهم على هزيمة العرب فى أى وقت وأى مكان ، وإيمانهم بأن القوات المسلحة الإسرائيلية غير قابلة للهزيمة .
* اختيار يوم الهجوم يوم سبت وهو عطلة فى إسرائيل وكان أيضاً يوم عيد الغفران .
* اختيار بدء العمليات الحربية يوم ٦ أكتوبر ، ١٠ رمضان واقتناع العدو أن العرب لا يحاربون وهم صائمون .
* اختيار ساعة الصفر ظهراً وكان ذلك يعنى فى نظر العدو أن المعركة الرئيسية ستكون ليلا واقتناعه بأن القوات العربية غير قادرة على القتال الليلى .

ولم تتمكن القوات السورية من تحقيق المفاجأة التكتيكية نظراً لطبيعة مسرح العمليات فى الجولان .

وكان من نتيجة المفاجأة الاستراتيجية حصول القوات السورية على المبادأة . .

قبل أن تحين ساعة الصفر انتقل الرئيس الأسد إلى مركز القيادة واتخذ مكانه ، وعلى يمينه ويساره كل من اللواء مصطفى طلاس وزير الحربية ونائب القائد العام واللواء عواد باغ نائب وزير الدفاع واللواء يوسف شكور رئيس الأركان واللواء عبد الرزاق الدردرى



واجتازت القوات السورية الخندق المضاد للدبابات

رئيس هيئة العمليات واللواء ناجى جميل قائد القوات الجوية والدفاع الجوى واللواء جبرائيل بيطار رئيس الاستطلاع واتخذ القادة فى غرفة العمليات أماكنهم استعداداً لأوامر العمليات الحربية . .

فى نفس اليوم صباحاً سقطت أمطار غزيرة على الجبهة السورية وكانت هناك بعض المخاوف من استمرار هذه الأمطار . . فقد كان ذلك يعنى عدم قدرة الدبابات والقوات السورية على العمل طبقاً للخطة .

وكان ذلك يعنى نقص كفاءة المطارات السورية مما يؤثر على مدى نجاح الضربة الجوية المركزة . . ولم تستمر الأمطار كثيراً واستراحت الأعصاب المتوترة . وبدأ العمل فى مناطق كثيرة للحد من آثار الأمطار خاصة داخل بعض القواعد الجوية .

وطبقاً لخطة العمليات بدأت الوحدات البحرية السورية تتخذ أوضاعها فى مواجهة الساحل السورى لتشكل خطاً دفاعياً لحمايته من أية هجمات معادية قبل أن تحين ساعة الصفر .

وداخل التشكيلات والوحدات بدأت الأوامر تصدر تباعاً . . وبدأ الجميع يعرفون أنهم فى الطريق لاسترداد الأرض المحتلة .

الهجوم

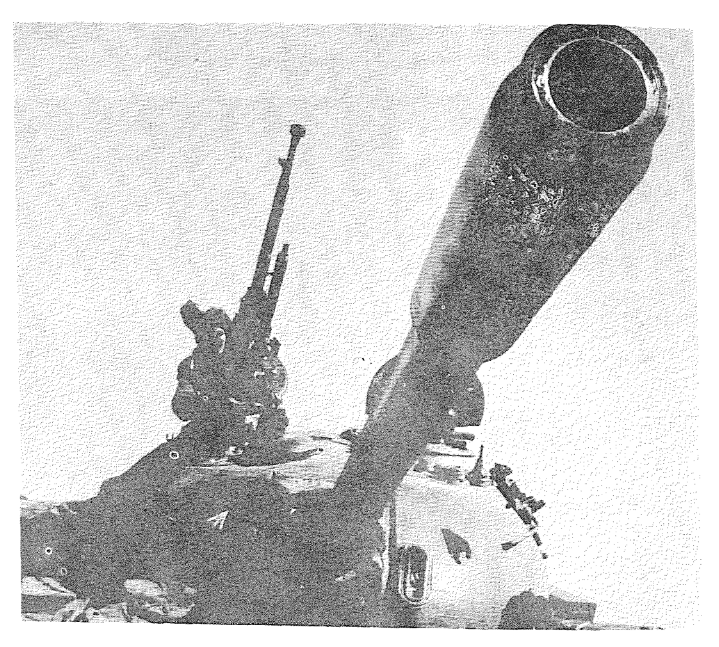
وبدأت القوات فى إزالة شبكات التمويه من فوق الدبابات والمدافع . .

وبدأت أجهزة الرادار الخاصة بقواعد الصواريخ فى العمل . . وأقلعت ٧٠ طائرة من القواعد الجوية والمطارات فى الساعة الواحدة و ٤٥ دقيقة لوضع الضربة الجوية المركزة موضع التنفيذ . .

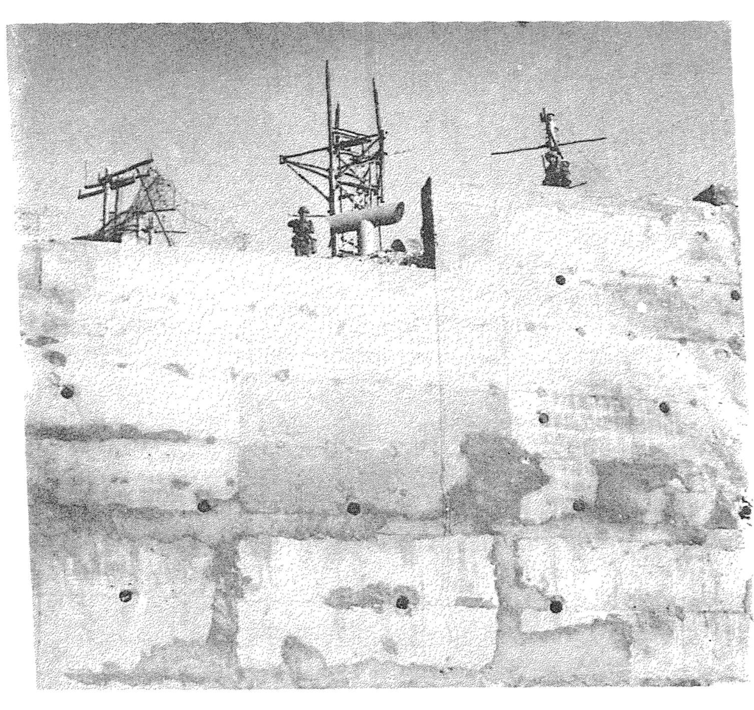
وكان هناك سرب مصرى من طراز ميج ١٧ مشترك فى الهجوم على الأهداف المعادية .

واتخذت الطائرات عدة مسارات للوصول إلى أهدافها ومنها من طار فى المجال الجوى اللبنانى لمفاجأة العدو .

كانت الأهداف التى تسعى إليها الطائرات تشمل الرادارات وقواعد الصواريخ هوك المضادة للطائرات والمدفعية البعيدة المدى ومناطق الحشد والمستعمرات . .



واحدة من دبابات الهجوم السورى من طراز ت ٦٢



موقع جبل الشيخ الإسرائيلى

بدأ الهجوم السورى فى الساعة ١٤٠٠ يوم السبت ٦ أكتوبر وسبقته وصاحبته غلالة من نيران المدفعية الثقيلة فقد هدرت آلاف من قطع المدفعية عندما حانت ساعة الصفر ويعد التمهيد النيرانى بدأ هجوم القوات البرية .

وشهدت القوات أثناء تقدمها طائراتها تعود بعد أن حققت أهدافها بنجاح . .

وتلقت القيادة فى القاهرة برقية تفيد بدء العمليات على الجبهة السورية ونجاح القوات الجوية وبدء هجوم القوات البرية فى نفس الوقت الذى تلقت فيه القيادة السورية برقيات عن بدء العمل على الجبهة الغربية ونجاح الضربة الجوية المركزة . .

وطبقاً لظروف المسرح فى الجولان كانت هناك ثلاثة محاور تتقدم عليها القوات البرية السورية بالإضافة إلى موقع جبل الشيخ .

وعلى كل محور بدأت فرقة مشاه تتقدم . . الفرقة السابعة المشاة تهاجم فى القطاع الشمالى . . الفرقة التاسعة المشاة تهاجم من القطاع الأوسط . . الفرقة الخامسة المشاة تهاجم من القطاع الجنوبى . .

وكان على القوات المتقدمة أن تنجح فى اجتياز الخندق واحتلال رؤوس جسور لتأمين عملية اجتياز باقى القوات خاصة الدبابات على أن تقوم وحدات المشاة والدبابات بعد اجتيازها للخط بمهاجمة مواقع العدو الحصينة فوراً .

فلم يكن من الممكن مهاجمة المواقع الحصينة لخط آلون – هكذا سمى السوريون الخط الحصين – بدون الدبابات .

وكان الثقل الرئيسى للهجوم فى البداية على جانبى طريق القنيطرة عند الأحمدية ، وبعد ذلك انفصلت العناصر المدرعة متجاوزة مدينة القنطرة نفسها ثم اتجهت نحو الشمال لمهاجمة غرب المدينة ونحو الجنوب لتطهير الطريق إلى « فيق » ولتغطية طريق الاقتراب من وادى الأردن جنوب بحيرة طبرية .

وشنت القوات السورية هجومين ثانويين أيضاً عند « الخشنيه » فى الوسط و « رافد » بالجنوب .

وتحركت المشاة الميكانيكية السورية صوب المنحدرات السفلى لجبل الشيخ ولكنها فشلت فى ذلك الوقت وفيما بعد فى زحزحة القوات الإسرائيلية من دفاعاتها .



الهجوم ينجح على موقع جبل الشيخ

على أنه فى الساعة ٢٢,٠٠ تمكن حوالى ١٨٠٠ من الجنود المغـاربة من الاستيلاء على قمة جبل الشيخ .

وتكبدت القوات الإسرائيلية خسائر جسيمة ، وخاصة فى الدبابات أمام ثقل الهجوم المدرع الحاشد والمشاة السورية التى استخدمت الصواريخ المحمولة المضادة للدبابات استخداما فعالا جداً وكانت تتحرك عبر الأراضى أكثر مما كانت تمشى على الطريق .

وكانت القوات السورية تترك الأرض فى الوسط وكأنها نجحت فى الاستيلاء على الأجناب المرتفعة .

واستطاعت قوات القطاع الجنوبى أن تحقق قدراً كبيراً من النجاح منذ الساعات الأولى ونجحت فى اجتياز الخندق المضاد للدبابات ودحر قوات العدو الموجودة فى المواقع الحصينة وصد الهجمات المضادة التى قام بها العدو .

ونجحت قوات القطاع الأوسط فى خرق دفاعات العدو بالمواجهة خلال اليوم الأول للقتال وإن واجهت بعض المتاعب مما أثر على معدلات تقدمها وقد تعرضت هذه القوات التى كانت تتقدم على محورين الأول فى اتجاه القنيطرة والثانى فى اتجاه منطقة الخشنية لهجوم مضاد من الجانب الأيمن بعد ساعتين من ساعة « س » وهجوم آخر على الجانب الأيسر بعد ثلاث ساعات من ساعة « س » .

وواجهت قوات القطاع الشمالى مقاومة عنيفة من جانب العدو مما أثر على قدرتها على تنفيذ المهام المكلفة بها .

وعندما كانت الساعة تقترب من الثامنة والنصف كانت القوات المغربية التى تعمل فى القطاع الشمالى تحقق النجاح فى عبور الخندق المضاد للدبابات وفى نفس اللحظة التى كانت القوات السورية تنطلق فيها فى اتجاه الشرق كان هناك هجوم آخر تقوم به القوات الخاصة تستهدف به احتلال وصد العدو فى جبل الشيخ .

كان الهجوم من اتجاهين ، قوات تتقدم براً متسلقة الجبل فى اتجاه الموقع وقوات تم إبرارها بواسطة الهليكوبتر ، وبعد أكثر من ساعة من القتال الدامى والمرير تم احتلال الموقع المعادى .

وكان هذا النجاح المبكر فى السيطرة على هذا الموقع الذى يضم معدات فنية للتشويش

والشوشرة والتصنت والاستطلاع الالكترونى والإنذار المبكر سبباً فى التأثير على قدرة العدو فى استخدام قواته الجوية وتأخير رد الفعل المعادى لفترة ليست بالقصيرة .

وقد حاول العدو مساندة قواته الموجودة فى الموقع بواسطة القوات الجوية ، إلا أن ذلك لم يمنع الموقع من السقوط واستسلام القوات الموجودة به .

وتصدت قوات العدو المدرعة ومدفعيته بعيدة المدى للهجوم السورى محاولة إيقافه أو عرقلته على الأقل .

ودفعت القيادة الإسرائيلية بالاحتياطيات لصد الهجوم السورى فى القطاعات الثلاثة .

وكان هذا بالضبط ما أرادته القيادة السورية عندما قررت الهجوم على المحاور الثلاثة . . تشتيت جهد العدو وإجباره على بعثرة قواه . . وأيضاً بعثرة مجهوده الجوى . . وبالتالى عدم قدرته على العمل بكل إمكانياته فى اتجاه واحد . .

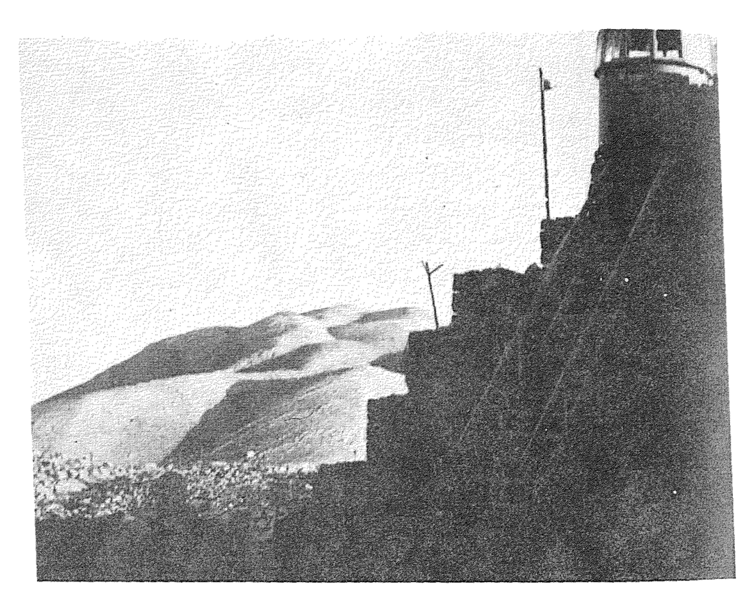
وقبل آخر ضوء أغارت الطائرات السورية على مواقع العدو فى مدينة القنيطرة للنيل من معنويات العدو الموجود بها وإسكات مصادر نيرانه لدعم القوات البرية المتقدمة من القطاع الأوسط فى اتجاهها .

وحاول العدو قبل حلول الظلام السيطرة على الموقف فدفع بمزيد من احتياطياته لوقف الهجوم السورى على كافة الاتجاهات بعد أن أدركت القيادة الإسرائيلية حقيقة الموقف . .

كان واضحاً أن إسرائيل تواجه حرباً على جبهتين فى نفس الوقت وكان واضحاً أن القوات المصرية والسورية استطاعت أن تحقق مفاجأة استراتيجية كاملة وتمكنت من الاحتفاظ بعامل المبادأة . . وكان معنى ترك القوات السورية تتقدم بنجاح تعريض إسرائيل لخطر فادح .

ولم تتمكن القوات التى دفعتها القيادة الإسرائيلية من وقف الهجوم السورى .

لقد حاولت هذه القوات تدمير الجسور التى أنشأتها القوات السورية المتقدمة فوق الخندق المضاد للدبابات . . وحاولت عرقلة تقدم القوات المتقدمة ولم تحقق أى من هذه المحاولات نجاحاً يذكر . .



. . من هنا كانوا يراقبون النشاط السورى

وعندما حل الظلام بدأت طائرات العدو فى إضاءة أرض المعركة بالمشاعل المضيئة وبدأت الطائرات تتدخل ضد أرتال الدبابات الزاحفة .

وامتدت العمليات الحربية لتشمل القوات البحرية فقد دفع العدو تشكيلات بحرية للاشتباك مع القطع البحرية السورية .

وقد كان واجب القوات البحرية السورية نظراً لحجمهامقصوراًعلى حماية الساحل السورى . . ودار أول اشتباك بحرى الساعة الثانية عشرة فى المنطقة شمال غرب اللاذقية وشاركت المدفعية الساحلية فى قصف قطع العدو البحرية . وبعد ساعتين انتهت المعركة .

واشتبكت الوحدات البحرية السورية مع الوحدات البحرية الإسرائيلية فى أول معركة بالصواريخ فى منطقة غرب رأس ابن هانى . .

وخسر العدو المعركتين . . واضطر للانسحاب من المنطقة . . لتواصل القطع البحرية السورية أداء دورها دون أن تتأثر بالخسائر الطفيفة التى لحقت بها . .

وحاول العدو استخدام الهليكوبتر للإبرار فى اللاذقية . . فدفع بطائرتين لم تتمكنا من تحقيق المهمة نتيجة إسقاط واحدة وإصابة الأخرى . .

وقبل أن ينتهى اليوم الأول للقتال كانت فرق المشاة الثلاث التى تعمل على الاتجاهات المختلفة للجبهة تتقدم بنجاح لتحرير الأرض المحتلة فى منطقة الجولان وإن اختلفت معدلات التقدم بين قطاع وآخر .

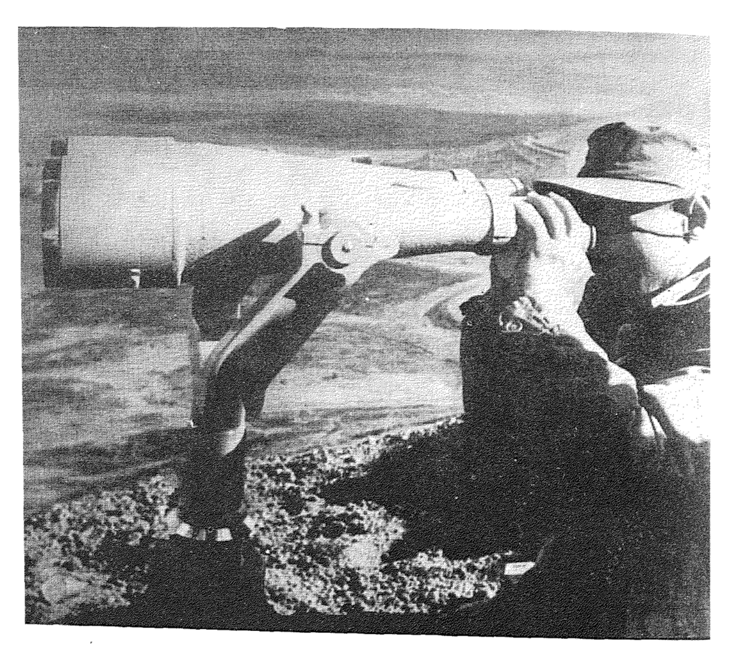
وخلال تقدمها نجحت فى تحرير عدد من المواقع والقرى فى هضبة الجولان المحتلة .

وقد تمكنت القوات السورية فى القطاع الأوسط من دخول القنيطرة وإن لم تتمكن من البقاء فيها طويلاً .

ومع بداية الدقائق الأولى لليوم الثانى للقتال يوم ٧ أكتوبر كان واضحاً أن العدو سيحاول استغلال تفوقه الجوى للتأثير على سير العمليات الحربية . .

وفعلاً بدأت طائرات العدو من الساعة الخامسة والربع صباحاً فى الإغارة بصفة مستمرة على القوات المتقدمة وعلى المدن السورية .

وبدأت المواجهة بين الدفاع الجوى السورى سواء الصواريخ الموجهة المضادة



ديان يتابع محاولات وقف الهجوم السورى

للطائرات بأنواعها المختلفة والطائرات الأعتراضية والمدفعية المضادة للطائرات وبين قوات العدو الجوية . . وبدأت طائرات العدو تتساقط وكانت أولى خسائره ما يقرب من عشر طائرات سقطت قبل منتصف الساعة السادسة صباحاً . .

ولم تتوقف إغارات الطائرات الإسرائيلية . . وشهدت المنطقة تدخلاً جويًّا معادياً كثيفاً استهدف وقف تقدم القوات البرية . .

وألحقت الصواريخ من طراز سام ٦ المحمولة على عربات مدرعة قدراً كبيراً من الخسائر بالسلاح الجوى الإسرائيلى . . واستطاعت إحدى كتائب الفرقة التاسعة المشاة أن تحقق أكبر نجاح حققته وحدة برية سورية أثناء العمليات ، فقد وصلت إلى مشارف نهر الأردن بالقرب من الحدود الدولية بين سوريا وفلسطين المحتلة عند منطقة « الدابورة » على حافة الجرف المشرف على نهر الأردن . . تقريباً خط الدفاع قبل يونيو ١٩٦٧ .

وقد حققت الكتيبة هذا النجاح قبل أن تشير عقارب الساعة إلى الثامنة والنصف صباحاً . . ولكنها أوقفت هناك .

خلال هذا التوقيت كانت الفرقة الخامسة التى تقاتل فى القطاع الجنوبى تواصل تقدمها بنجاح وبدأت فى حصار موقع العدو فى منطقة تل الفرس . . فى نفس الوقت الذى كانت فيه بعض وحداتها تطهر وتدمر هجمات العدو المضادة وتواصل مطاردتها ، وقد حاول العدو بعناد وقف تقدم الفرقة التاسعة فى القطاع الأوسط لمنعها من استغلال نجاح الكتيبة التى وصلت إلى منطقة « الدابوره » وأصبحت تشكل « أسفينا » فى عمق القوات الإسرائيلية فى منطقة الجولان .

وبعد مقاومة عنيفة للعدو فى القطاع الشمالى لصد هجوم الفرقة السابعة بدأ فى الانسحاب فواصلت الفرقة تقدمها لتحقيق المهام المكلفة بها .

وخلال ساعات الصبح الأولى قررت القيادة السورية تطوير الهجوم ودعم نجاح القوات المتقدمة بدفع تشكيل من الدبابات .

واندفعت الدبابات والعربات المدرعة السورية إلى الدفاعات الإسرائيلية المجهزة فوقعت تحت النيران الجانبية ، وبدأت القـوات السورية تتعرض للخسائر نتيجة النشاط الفعال للقوات الجوية الإسرائيلية ورغبة القيادة الإسرائيلية المحمومة فى وقف الهجوم السورى



وتمكنت قوات الدفاع الجوى السورى من إلحاق الخسائر بالعدو

بأى ثمن وإعطاء الجبهة السورية الأسبقية لخطورتها وقربها من الأراضى الإسرائيلية ، وكانت القوات السورية قد تجاوزت نطاق الغطاء الجوى والمدى المؤثر لشبكة الصواريخ المضادة للطائرات .

وفى صباح نفس اليوم دارت معركة بحرية بين لنشات الصواريخ السورية والإسرائيلية فى منطقة « اللاذقية » اضطرت بعدها اللنشات الإسرائيلية إلى الانسحاب .

وقبل نهاية اليوم الثانى للقتال تزايدت أعداد الأسرى الإسرائيليين ، وزادت المساحة المحررة من الأراضى المحتلة .

وقد تميز اليوم الثانى للقتال بإصرار العدو على دفع أية قوات يتم استدعاؤها لوقف الهجوم السورى .

وكان واضحاً أن القيادة الإسرائيلية تعطى اهتماماً كبيراً لاحتواء الهجوم السورى .

وفى نفس اليوم احتفظ الهجوم السورى بقدرته على الاندفاع للأمام وصد كل الهجمات المضادة المعادية .

وواصلت القوات الجوية السورية دعم القوات البرية المتقدمة برغم النشاط الجوى المعادى الكثيف ودورها فى اعتراض الطائرات الإسرائيلية .

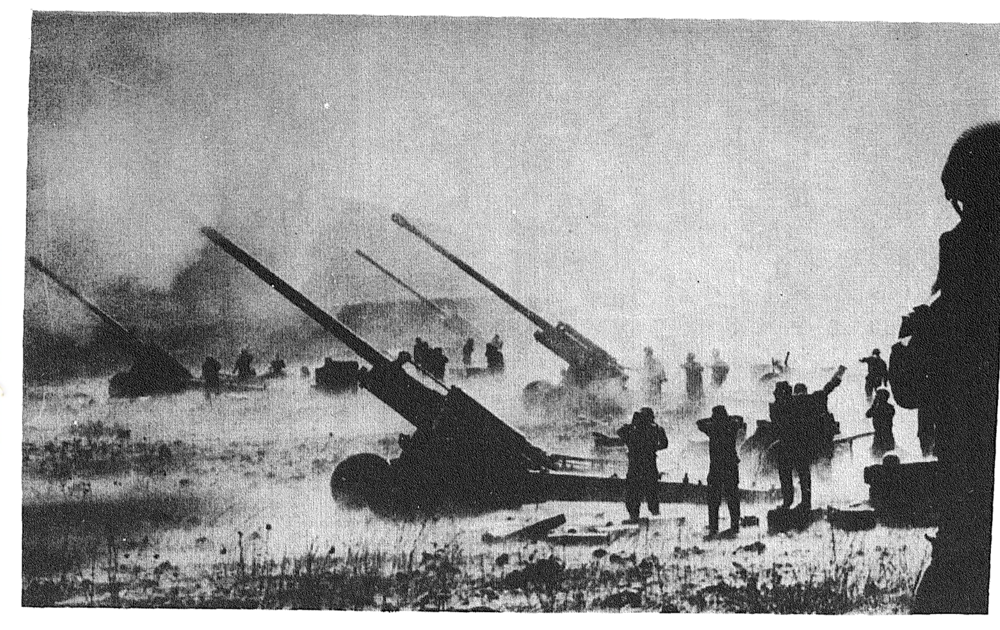
الاثنين ٨ أكتوبر

بدأ اليوم الثالث للقتال والعدو يواصل نشاطه الجوى برغم خسائره الكبيرة سواء بواسطة قوات الدفاع الجوى أو المقاتلات الاعتراضية .

وقامت قوات العدو الجوية بقصف القوات البرية المتقدمة فى الجولان بما فى ذلك الفرقة الأولى المدرعة التى دفعتها القيادة السورية لدعم الهجوم واستغلال ما تحقق من نجاح ، كما قصفت طائرات العدو القواعد الجوية والمطارات .

وشهدت سماء المعركة الطائرات السورية تقوم بواجب اعتراض طائرات العدو وفى نفس الوقت تقصف أهداف العدو الحيوية وتدعم القوات المهاجمة .

وقد شهد هذا اليوم معارك ضارية فى كل القطاعات أدت فى النهاية إلى توقف مد الهجوم السورى .



المدفعية تحاول صد الهجوم بالجولان

فى القطاع الجنوبى :

دارت عدة معارك مع قوات الفرقة الخامسة المشاة والفرقة الأولى المدرعة .

وقد تمكنت قوات الفرقة الخامسة من صد هجمات العدو المضادة . وكان من نتيجة ذلك أن اتخذت بعض وحدات الفرقة مواقف دفاعية . وعندما حاول العدو الاشتباك بدبابات الفرقة المدرعة لم ينجح فى تحقيق أهدافه بالكامل ، وخسر كثيراً من دباباته ، وقد ساعد على زيادة حجم خسائر العدو اشتراك القوات الجوية السورية فى المعركة .

فى القطاع الأوسط :

تمكنت القوات السورية من تحقيق معدل تقدم بطىء واستمرت أرتال مدرعاتها تصطدم بأرتال دبابات العدو . فقد كان العدو يواصل قذف قواته الاحتياطية إلى الجولان وبمعدلات أكبر .

فى القطاع الشمالى :

تمكنت قوات الفرقة السابعة من التقدم بنجاح فى اتجاه القنيطرة لاستردادها مرة أخرى من العدو .

وخلال نفس اليوم فشلت محاولة للعدو لاسترداد مرصد جبل الشيخ .

الثلاثاء ٩ أكتوبر

وخلال اليوم الرابع للقتال بدأت قوات العدو الجوية فى قصف الأهداف المدنية : فأصيبت دمشق ودمر معمل تكرير البترول فى حمص ومحطة لتوليد الكهرباء ، كذلك قذفت ميناء طرطوس ونهاية خط أنابيب البترول والميناء فى بنياس ، وميناء اللاذقية ، حيث كانت بعض السفن السوفييتية تفرغ معدات حربية .

وهاجمت إسرائيل أيضاً محطة رادار كبيرة على جبل الباروك قرب بيروت .

وكان العدو قد أعلن أن سوريا قد قصفت بعض المستعمرات الزراعية الموجودة



آلاف القتلى وأضعافهم من الجرحى

بالقرب من قاعدة رامات ديفيد الجوية بالصواريخ أرض – أرض لتغطية قصفه الأهداف المدنية السورية .

وبدا من سير العمليات طوال اليوم أن العدو بعد أن حقق تفوقاً فى قواته المقاتلة فى جبهة الجولان يصر على وقف كل القوات السورية المهاجمة فى جميع القطاعات ودفعها إلى الخلف .

فطوال أيام ٧ ، ٨ ، ٩ لم يتوقف عن دعم قواته بمزيد من القوات المستدعاة واستعواض خسائره فى الأفراد والمعدات والأسلحة بمعدلات كبيرة .

واستمر العدو فى الضغط بقواته الجوية رغم الخسائر الكبيرة التى منى بها فى الطائرات والطيارين .

كانت القوات السورية المهاجمة قد وصلت فى القطاع الجنوبى إلى منطقة تل الفرس وفى القطاع الأوسط إلى منطقة الخشنية وفى القطاع الشمالى إلى القنيطرة .

وكانت القوات المغربية قد توقفت أثناء اتجاهها إلى بحيرة مسعدة .

وهكذا كان على القيادة الإسرائيلية أن تعمل لمواجهة ما حققته القوات السورية من نجاح .

وبعد معارك ضارية خسر العدو فيها كثيراً جداً بدأت معظم القوات السورية تعود لاحتلال مواقعها الدفاعية غرب خط وقف إطلاق النار لعام ١٩٦٧ عند نهاية اليوم الرابع وبداية اليوم الخامس للقتال .

واستمرت القوات الموجودة فى مرصد جبل الشيخ محتفظة به .

اليوم الخامس يوم ١٠ أكتوبر :

استمرت القوات الجوية والدفاع الجوى فى صد هجمات العدو الجوية التى لم تتوقف وامتدت لتشمل مدن دمشق وحمص وطرطوس واللاذقية بالإضافة إلى الأهداف العسكرية .

وقد عزز العدو هجومه بقوات جديدة استطاعت رد القوات السورية للخلف حتى خط وقف إطلاق النار لعام ١٩٦٧ ثم تجاوزته شرقاً .

وقامت قوات القطاع الجنوبى بالهجوم على قوات العدو وكبدته بعض الخسائر .

اليوم السادس للقتال يوم ١١ أكتوبر :

بدأ العدو فى اختراق خط وقف إطلاق النار لعام ١٩٦٧ فى القطاع الشمالى وقد تمكنت القوات السورية من وقفه عند منطقه خان أرنبه .

ودارت معركة بين قوات العدو وقوات سوريا وفرقتين ميكانيكيتين عراقيتين كانتا قد اشتركتا لتقوية خط الدفاع السورى شرق خط وقف إطلاق النار مباشرة .

ودارت معركة بحرية فى الساعة الواحدة والنصف صباحاً عندما حاولت وحدات العدو البحرية قصف الساحل السورى فى مناطق برج إسلام ومدن اللاذقية وبانياس وطرطوس اشتركت فيها القطع البحرية السورية والمدفعية الساحلية .

وانسحبت قطع العدو البحرية بعد ساعتين من المعركة مخلفة وراءها عدداً من الزوارق واللنشات الغارقة والمحترقة .

ونتيجة للتركيز الجوى المستمر فوق الأراضى السورية خسر العدو أكثر من ٧٠ طائرة خلال هذا اليوم .

واستهدفت هجمات العدو الجوية تدمير قوات الدفاع الجوى خاصة حول مدينة دمشق وحرمان القوات الجوية السورية من العمل وذلك بتدمير المطارات والقواعد الجوية ودعم القوات البرية بقصف مواقع القوات السورية .

وخلال هذا اليوم وصلت الوحدات الأولى من الفرقة المدرعة العراقية إلى سوريا .

اليوم السابع للقتال يوم ١٢ أكتوبر :

شهد استمرار نشاط العدو الجوى ضد قوات الدفاع الجوى والقواعد الجوية . كما شهد أيضاً دخول القوات العراقية المعركة لوقف تقدم القوات الإسرائيلية عند منطقتى دير العدس وكفرناسخ. وقد تمكنت القوات العراقية من إجبار العدو على التراجع برغم تدخل طائراته بكثافة ضدها ، وقد تكبد العراقيون خسائر عالية فى محاولتهم تغطية الانسحاب إلى المواقع الدفاعية الأساسية على جانبى الطريق إلى دمشق .

وواصل العدو محاولاته لتعميق الثغرة وأستطاع أن يصل إلى جنوب مزرعة بيت جن فى القطاع الشمالى .

اليوم الثامن للقتال يوم ١٣ أكتوبر :

كانت المعارك مازالت مستمرة حول مزرعة بيت جن . واستطاعت القوات السورية طرد العدو منها وأضطرته إلى الانسحاب فى اتجاه السفوح الغربية بعد تكبيده خسائر فادحة وعندما ساد الظلام عاد العدو واسترد بيت جن مرة أخرى وكان مقدراً أن تدور معارك طاحنة حولها طوال الأيام القادمة .

واستمر القصف الجوى الكثيف للمطارات السورية وقد نجحت طائرات العدو فى ارغام القوات العراقية على التراجع بالتعاون مع الأسلحة المضادة للدبابات وعادت القوات العراقية لتشن هجوماً ليلياً صامتاً استردت به كفر ناسخ وتل فورتين .

ولجأ العدو إلى إرسال مجموعات تخريب داخل سوريا لتدمير الطرق والكبارى والتأثير على معنويات الجبهة الداخلية . وقامت بعض وحدات العدو البحرية بقصف الساحل السورى عند اللاذقية وطرسوس .

وطوال الفترة الماضية استخدمت سوريا وإسرائيل الأسلحة المضادة للدبابات بكثافة لم تشهدها ميادين القتال فى الجولان من قبل . لجأ العدو إلى أسلوب الكمائن المضادة للدبابات واستخدمت سوريا أسلوب جماعات اقتناص الدبابات المتسللة داخل خطوط العدو .

وقد حقق الأسلوب السورى قدراً كبيراً من النجاح .

ويمكن القول إن العدو استمر يضغط لمد هجومه فى اتجاه الشرق فى منطقتى القنيطرة سعسع وبيت جن – قطنة دون أن يحقق النجاح .

كان هدف القيادة الإسرائيلية اختراق الخط الدفاعى السورى الجديد عند سعسع لفصل القوات السورية عن مؤخرتها لخلق حالة من الفوضى .

وخلال نفس اليوم تمكنت الميج ١٧ من إسقاط طائرتين من طراز فانتوم خلال اشتباك جوى ، أسقط إحداهما الطيار المصرى فكرى الجندى فى منطقة قريبة من الزبدانى .

وخلال نفس اليوم وصل اللواء الأردنى المدرع رقم ٤٠ .

وقبل نهاية اليوم شعر الإسرائيليون أنهم أصبحوا أقوياء بدرجة كافية تمكنهم من تحويل الإمدادات إلى سيناء .

اليوم التاسع يوم ١٤ أكتوبر :

تمكن العدو من أختراق المواقع السورية فى تل شمس ووصل جنوب سعسع كما تقدم العدو من مزرعة بيت جن فى اتجاه حبنه .

وكانت المعارك قد بدأت فى الساعة الثانية صباحاً وكان ثمن هذا النجاح المعادى قدراً كبيراً من الخسائر .

ولم يتوقف القتال

استمرت المعارك . . وأخذت الجبهة السورية فى الاستقرار تقريباً منذ ذلك الوقت .

وعندما وصلت أنباء تطوير الهجوم المصرى فى سيناء وتقدم القوات المصرية على امتداد الجبهة فى اتجاه الشرق ارتفعت الروح المعنوية للقوات السورية وتمكنت من استرداد تل شمس من يد العدو ، بعدها عادت قوات العدو مرة أخرى إلى تل شمس .

وتبادلت القوات العراقية والإسرائيلية الهجمات المضادة .

ودارت معركة بحرية عندما حاولت وحدات العدو البحرية قصف مستودعات البترول فى طرطوس وبانياس .

وتمكنت قوات الدفاع الجوى السورى من إسقاط طائرتين للاستطلاع .

اليوم العاشر للقتال يوم ١٥ أكتوبر :

ألحقت القوات السورية خسائر كبيرة بالقوات الإسرائيلية ، كما قصفت القوات الجوية السورية قوات العدو المتقدمة وأرغمته على التوقف .

وواصلت القوات العراقية القتال لمنع العدو من إحراز أى تقدم .

وقبل نهاية اليوم كان العدو مازال يقاتل عند خط يمتد بين بيت جن وتل شمس - تل عنتر - مسحرة بعد أن فشل فى تطوير هجومه باتجاه دمشق لأكثر من عدد قليل من الكيلومترات .

وأسقطت قوات الدفاع الجوى طائرة استطلاع معادية كانت تحلق على ارتفاعات عالية فوق منطقة أبو الشامات .

وقد كانت عمليات العدو نشيطه فى اتجاه القطاع الشمالى خاصة بعد اجتياز خط وقف إطلاق النار لعام ١٩٦٧ . واقتصر النشاط فى القطاعين الأوسط والجنوبى على القصف بالمدفعية وبعض العمليات الهجومية المحدودة .

اليوم الحادى عشر للقتال يوم ١٦ أكتوبر :

شنت القوات السورية هجوماً مضاداً ناجحاً استولت خلاله على تل عنتر وحاصرت تل المال ومسحرة وكفر ناسخ ، واستمر القتال دائراً داخل مزرعة بيت جن . ولم تتمكن القوات السورية من الاحتفاظ بتل عنتر طويلاً فقد استرده العدو قبل نهاية اليوم .

وشنت القوات العراقية والأردنية هجوماً مضاداً لم يحقق النجاح المتوقع خاصة أن القوات الأردنية أمضت أكثر من ثلاثة أيام للاستعداد .

وكان هناك قتال فى عدد من الأماكن وعلى الأخص فيما بين دمشق ودرعا حيث اشترك لواء مدرع من الجيش الأردنى ومفرزة سعودية وقوات أخرى فى هجوم مضاد على المواقع الإسرائيلية .

اليوم الثانى عشر للقتال يوم ١٧ أكتوبر :

بدأ الهدوء النسبى يسود الجبهة السورية .

كانت حدة القتال قد بدأت تخف تدريجياً ابتداء من ١٥ أكتوبر نتيجة تركيز العدو على الثغرة غرب قناة السويس .

وبدأ نشاط العدو الجوى فى الانخفاض ولم تتجاوز طلعاته الجوية ٣٠٠ طلعة يومية بعد أن وصلت فى بعض الأحيان إلى أكثر من ١٠٠٠ طلعة يومياً .

كما تميز النشاط الجوى السورى بالهدوء النسبى أيضاً .

وخلال هذه الفترة بدأت القيادة السورية فى إتمام عملية إعادة تجميع قواتها البرية والجوية .

وليس معنى هذا أن القتال قد توقف ، بل إنه استمر دائراً خاصة فى القطاع الشمالى وإن خفت حدته واستمر النشاط الجوى السورى والإسرائيلى ولكن بمعدلات أقل .

اليوم الثالث عشر للقتال يوم ١٨ أكتوبر :

بدأت القوات العراقية قتالها لاسترداد تل عنتر من يد العدو ، وفعلا نجحت فى إزعاجه وتكبيده خسائر كبيرة .

وقامت القوات السورية بإغارات مستمرة على مواقع العدو خاصة فى مزرعة بيت جن وتل الشمس أسفرت عن خسائر كبيرة للعدو .

اليوم الرابع عشر للقتال يوم ١٩ أكتوبر :

تمكنت القوات العراقية من احتلال تل عنتر وتل العلاقية وحاول العدو استرداد الموقعين ، وفعلاً نجح فى استرداد تل عنتر والتل الثانى من الفرقة العراقية قبل آخر ضوء .

وبدأ العدو محاولة لزيادة نطاق الجيب باتجاه الجنوب واتجاه الشرق .

اليوم الخامس عشر للقتال يوم ٢٠ أكتوبر :

خلال ساعات الصباح الأولى أغارت الطائرات السورية على معامل تكرير البترول فى حيفا .

اليوم السادس عشر للقتال يوم ٢١ أكتوبر :

تمكنت القوات البرية السورية مع دعم جوى فى القطاع الشمالى من استرداد تل مرعى واستطاعت قوات العدو إعادة الموقف إلى ما كان عليه .

وبدأ العدو محاولاته لاحتلال مرصد جبل الشيخ بقصف مركز بالمدفعية والطيران بعدها بدأ فى إبرار قواته بواسطة طائرات الهليكوبتر بالقرب من الموقع .

وتصدت القوات الجوية السورية للمحاولة وخاضت اشتباكاً جوياً مع طائرات العدو .
ودعمت القيادة السورية الموقع بقوات إضافية لصد هجوم العدو ومنعه من احتلال المرصد .

وفى نفس الوقت دعم العدو قواته المهاجمة لمواجهة الدعم السورى .

وشهدت سماء سوريا فى منطقة جبل الشيخ خلال هذا اليوم معركة جـوية طويلة

بدأت فى الساعة الثالثة إلا عشر دقائق بعد الظهر واستمرت حتى الساعة الخامسة إلا عشر دقائق ، سقط خلالها للعدو ١١ طائرة ٧ من طراز فانتوم ، ٤ من طراز ميراج .

واستمرت معركة مرصد جبل الشيخ حتى يوم ٢١ أكتوبر اليوم السادس عشر للقتال . خلال هذا اليوم تمكنت القوات الإسرائيلية من احتلال المرصد الإسرائيلى والمرصد السورى .

وحاول العدو تعزيز ما حققه من نجاح بالوصول إلى مناطق جديدة فى جبل الشيخ وإنشاء مواقع بها .

وقد خسر العدو أعداداً كبيرة من الضباط والجنود خلال هذه المعركة كما خسر ما يقرب من ٦ طائرات فى معركة جوية منها ٢ هليكوبتر كانتا محملتين بالجنود .

اليوم السابع عشر للقتال يوم ٢٢ أكتوبر :

كرر العدو غاراته الجوية فوق الأهداف المدنية دون اعتبار لقرار وقف إطلاق النار . كما استمر فى قصف قرية « عرنة » والقرى المجاورة لها على السفوح الشرقية لجبل الشيخ بالمدفعية والطيران . وقد انتهى القتال الوحشى على قمة جبل الشيخ التى استعادتها إسرائيل مرة أخرى يوم ٢٢ أكتوبر بعد أن صممت على ذلك بسبب موقعها الحاكم .

وقد حصلت إسرائيل على ٣٢٥ ميلا من الأرض أكثر مما كان لديها قبل أن يبدأ الهجوم .

ويوم ٢٤ أكتوبر أعلنت سوريا قبولها لقرار مجلس الأمن الخاص بوقف إطلاق النار .

مواقف عربية على الجبهة السورية

أسهمت العراق بالنصيب الأكبر على الجبهة السورية فقد كانت هناك ثلاث فرق وثلاثة أسراب طائرات مقاتلة عراقية . وقد لعبت القوات العراقية دوراً هامًّا فى تخفيف العبء عن كاهل القوات السورية لتتخلص من الاشتباك بالقوات الإسرائيلية الضاغطة .

وكانت قوات المغرب أول من اشترك فى المعركة فقد تمكن الجنود المغاربة الـ ١٨٠٠ من الاستيلاء على قمة جبل الشيخ خلال اليوم الأول للقتال .

وأرسلت الأردن لواءين مدرعين إلى جنوب سوريا حيث قاما بمساعدة كل من القوات السورية والعراقية فى الدفاع ضد المحاولة الإسرائيلية لتطويقها ، وقامت أيضاً بحماية الحدود الشرقية للأردن ضد أى محاولة للاعتداء من جانب إسرائيل .

كما كانت هناك مفرزة سعودية تعمل فى تلك المنطقة على أنه من الصعب تقدير القيمة القتالية للمجهود الذى أسهمت به هذه القوات .

كما رافق المستشارون السوفييت القوات السورية حتى مستوى الكتيبة (مستشار واحد لكل كتيبة) ، وكان هناك آخرون مع هيئة الأركان .

فهرس

الصفحة

الباب الأول : مصر

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

اليوم الثانى للقتال

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الباب الثانى : سوريا

الصفحة

رقم الإيداع	١٩٧٦/٤٥٥٢
الترقيم الدولى ٦ – ٤٥٨ – ٢٤٦ – ٩٧٧ ISBN	

١/٧٦/٢٥٠ مطابع دار المعارف–١٩٧٦

هذا الكتاب

أول كتاب يتناول سير العمليات الحربية بجبهتى سيناء والجولان استغرق إعداد الكتاب عامين ، حرص الكاتب خلالهما على جمع أكبر عدد من المعلومات والوثائق .

وضع الكاتب معركة أكتوبر ١٩٧٣ فى إطارها التاريخى بالنسبة لمعارك الجيش المصرى منذ أوائل القرن التاسع عشر ، فالمعركة ليست انتصاراً بقدر ماهى تحول محورى بالنسبة لتاريخ مصر والعسكرية المصرية .



دار المعارف بمصر



٢٣٩٢١/٠١

٨٥ قرشاً